# العذب الرقراق

# من فتح الخلاق

# في مكارم الأخلاق

تأليف السيد أحمد سعيد الدجوي

أ. محمد ناهض حنونة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

**قال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة:**

"أَدَبُ الْمَرءِ عِنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلاحِهِ، وقلة أدبه عِنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ،

فما استُجْلِب خيرُ الدُّنيا وَالآخِرَة بِمِثْلِ الأَدَبِ...

ولا استُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الأَدَبْ "

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المُحقِّق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أمَّا بعد:

فمن كرم الله على عباده، وعظيم لُطفه بهم، أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، يعلمون نسبه وشرفه، وصفته وخلقه، وصدقه وأمانته؛ فجاءهم بالحنيفية السَّمحة، والبيضاء النقيَّة، فدعاهم إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ وعبادته، وأمرهم بصلة الرحم، وبرّ اليتيم، وحسن الجوار، فكانت سيرته العطرة مداداً لا ينضب من الفضائل، ومعيناً لا ينفد من الأخلاق الكريمة، فأمدنا من عظيم أخلاقه بروافد صافية نقيَّة، نترشف من عبيرها أزكى المعاني وأقدس القيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد قال الله عزَّ وجل في وصف عظيم أخلاق نبيه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، فكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وأجود الناس صدراً، وأوفرهم عقلاً، وأصدقهم لهجة، وألينهم عريكة[١].

وقد انبجس به نور الإسلام الوهاج ساطعاً من ربوع مكَّة إلى مشارف المدينة، والتي أصبحت فيما بعد عاصمة المجد ومهد الحضارة؛ فلما هبط فيها، قويت شوكته، واشتدَّ عُوده، وقوي هدير الإيمان والتوحيد؛ حتّى عمَّ أرجاء المعمورة، فاندفع يجتاز الصحاري والوهاد، والسهول والجبال، وبلغت دعوته المباركة كل بيت مدرٍ ووبر، لا يقف أمامها شيء، حتى وصلت في أقلِّ من قرنٍ من الزمان إلى حدود الصين شرقاً، وإلى بلاد الأندلس غرباً.

وكانت بعثته ﷺ إحياءً للفضائل وإتماماً للمكارم، وإنارةً لآفاق الكمال حتَّى نسير على بصيرة، كما قال ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)[١].

---

(١) ليّن العريكة: أي سَلِس الخُلُق، سَهْل الانقياد، سَمْح. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤٨٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي من أصول الحياة وأركان الدين التي ارتضاها الشرع الحنيف، وحثَّ عليها في نصوص كثيرة.

ومن المعلوم بالضَّرورة أن الخُلق لا يتكوَّن في النَّفس فجأة، ولا يُولد قويَّاً ناضجاً، بل يتكوَّن على مُكثٍ، وينضج على مراحل.

وكما قال أبو تمام [٢]:

فلم أجد الأخلاقَ إلا تخلُّقا ... ولم أجد الأَفضَالَ إلا تفضُّلا

ويقول معروف الرَّصافي [٣]:

---

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده: ١٥/٣٦٤، برقم: ٨٩٤٩، والجنيد في فوائده: ١/١٢١، برقم: ٢٧٦ عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٢) هو: أبو تمّام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي الحورانيّ الأصل المصري ثم العراقي الموصلي، الأديب، الشاعر، المعروف بأبي تمام، المتوفي بالموصل سنة (٢٣١ هـ/ ٨٥١ م). انظر: معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم -المخطوطات والمطبوعات (٢/ ١٠٢٣).

(٣) هو: شاعر العراق في عصره معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافيّ. من أعضاء المجمع العلمي العربيّ (بدمشق) أصله من عشيرة الجبارة في كركوك، وتوفي سنة (١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هي الأخلاق تنبت كالنَّباتِ ... إذا سُقيت بماءِ المكرماتِ
فكيفَ تظنُّ بالأبناءِ خيراً ... إذا نشأوا بحضنِ السَّافلاتِ!؟

والغاية من الأخلاق هي تنظيف النفس من أدران النقص والرذيلة، والتسامي بالمجتمع إلى أعلى المراتب، والنهضة بالأمة ثقافيَّاً وحضاريَّاً.

وكما قال حافظ إبراهيم (١):

وإذا رُزقتَ خليقةً محمودةً ... فقد اصطفاكَ مُقَسِّمُ الأرزاقِ

وقال أحد الحكماء: إذا ضاعت الأخلاق قلَّت الأرزاق. وقيل: الخلوق إذا مدحته خجل، وإذا هجوته سكت.

وقال الجاحظ (٢): لا مروءة لكذوب، ولا ورع لسئ الخلق.

---

(١) هو: الشاعر المصري محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم، ويعتبر شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها نيفا وربع قرن، توفي سنة (١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م). انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٧٦).

(٢) هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل إن رجلاً سبَّ الشعبيَّ [(١)] –وهو من كبار الأئمة –فقال له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً، فغفر الله لك.

فالإسلام دين الأخلاق، ومنبع الفضائل، وكل تشريعاته تؤكد أنه دين الكمال والتناسق والأدب والأخلاق، ولا مكان فيه للبدع والأهواء، لأنَّ السُّنة واحدة، والحق واحد، والباطل له ألوانٌ كثيرة، والبدع على اختلافها لا تنتهي.

---

مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، سنة (٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م). انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٧٤).

(١) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، توفي سنة (١٠٣ هـ/ ٧٢١ م) انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ❁ عملي في هذا الكتاب

لما وقفت على كتاب (فتح الخلاق في مكارم الأخلاق[1]) للشيخ أحمد سعيد الدجوي[2]–رحمه الله –أعجبني نظمه وأسلوبه في الكتابة عن الأخلاق، ولكن كتابه لم يكن مُحقَّقاً أو منسقاً بطريقة تجذب القارئ إلى قراءته؛ فرأيتُ أن أُخرج هذا الكتاب بثوبٍ جديد بعد إعادة تنسيقه وترتيبه وتحقيقه؛ وذلك بعزو الآيات إلى سورها، والأحاديث إلى مظانها، مقتصراً في الأعم الأغلب على المقبول منها بقسميه الصحيح والحسن، وأبقيت على بعض الضعيف المنجبر[3]، وقمتُ بزيادة بعض الإضافات المُهمَّة، وشرح غريب الألفاظ، وترجمة الأعلام الواردة في الكتاب.

---

(١) صدر هذا الكتاب في العام (١٣٤٥ هـ) الموافق (١٩٢٦ م) عن مطبعة الشرق.

(٢) سيأتي الحديث عنه.

(٣) وقد قمتُ بحذف الأحاديث الواهية والموضوعة من مادة الكتاب الأصل، لأن الغاية من هذا العمل هو إفادة القارئ بما صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وتحقق الاستفادة لا مجرد السرد، وفي الصحيح والحسن غُنيةٌ عن كثيرٍ من الضعيف، وقد بيَّنتُ حكم كل حديث في موضعه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورأيتُ أن أُضيف إلى مادة الكتاب عباراتٍ نفيسة من كلام الشيخ محمد الغزالي[1] –رحمه الله –من كتابه العظيم (خلق المسلم) [2]، فجاء هذا الكتاب فريداً في بابه، عجيباً في تناسقه وترتيبه.

وآثرتُ أن أُسميه بـ(العذب الرقراق من فتح الخلاق في مكارم الأخلاق)، وذلك لما تضمنته فصوله من رقيق المعاني وعذب الألفاظ، وقد روَّيتُه بالحُبِّ المقرون بالنُّصح والجمال، حتى يشعر القارئ وهو يختال بين أفانينه، ويجتني من أزهاره، كأنَّ خواطره تتوضأ من نهر المكارم، وترتشف سجاياه من عيون الجنان.

وأهم ما يميز أسلوب الشيخ الدَّجوي –رحمه الله –هو طريقته الفذّة في ترتيب النصوص والأقوال، فيذكر الآيات الكريمة، ثم الأحاديث، فأقوال الصحابة، ثم أقوال الحكماء والأدباء والعقلاء، ويختم كل بابٍ بأبيات جميلةٍ من الشعر.

---

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) وقد نبهتُ على ذلك بوضع علامة (❁) بداية كلامه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك تميّز الشيخ الغزالي بأسلوبه الراقي في الحديث عن الأخلاق، والتناغم الدقيق في وصفها، والذي ينقل القارئ من عالم التلقين إلى عالم الواقع، بالإضافة إلى لمساته الحانية التي تُرقِّق القلب، ودأبه الجاد لإيجاد الحلول المناسبة لمشكلات المسلم المعاصر، فتجد أن الأخلاق في كتابه تنبض بالحياة، حتى تكاد تنطق بكل لسان.

وفي الختام لا أنسى أن أشكر أخي الحبيب محمد السطري، الذي شجعني على إتمام هذا العمل، كما أهدي هذا العمل إلى شيوخي الفضلاء الذين تعلمتُ منهم العلم والأدب جميعاً، كما أدعو اللهَ لوالديَّ الكريمين أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتهم.

وأسأل الله تعالى أن يهدينا لأحسن الأخلاق وأقومها، وأن يصرف عنَّا سيئها، وأن ينفع بنا الإسلام ويعزَّ المسلمين.

وكتبه الأستاذ

محمد ناهض عبد السلام حنونة

٢٤ –رجب –١٤٤٢ م



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ترجمة موجزة للشيخين الدجوي والغزالي [(١)]

لم أجد فيما اطلعت عليه ترجمةً للشيخ المؤلف أحمد سعيد الدجوي، ولكن وجدتُ في كتابه تقريظين للشيخين: عبد الرافع نصر الدجوي [(٢)]، والشيخ يوسف الدجوي [(٣)]، انظرهما في المُلحق.

## ترجمة الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى.

هو المفكر الإسلامي المصري محمد الغزالي، ويعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ولد بمصر سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)، ونشأ في أسرةٍ ملتزمة، وعُرف عنه الدعوة إلى التجديد، وله أسلوبه الأدبي المُميز في الكتابة والخطابة، وله تآليف كثيرة، وآراء لا يُوافق عليها، ولكنه بالجملة صاحب أدبٍ عفيف، وقلمٍ سيّال، وتوفي سنة (١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م) [(٤)].

---

(١) صدر هذا الكتاب في العام (١٣٤٥ هـ) الموافق (١٩٢٦ م).

(٢) لم أجد ترجمته، ولكن وجدت أن له كتباً منشورة، مثل (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) ط دار الحديث الكتانية.

(٣) هو: الشيخ الفقيه يوسف بن أحمد بن نصر بن سويلم الدجوي: مدرّس من علماء الأزهر، ضرير. ولد في قرية " دجوة " من أعمال القليوبية. وكف بصره في طفولته، وله العديد من الكتب والرسائل، وتوفي سنة (١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م). انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢١٦)

(٤) موقع ويكبيديا "الشيخ محمد الغزالي".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## مُقدِّمَةُ المؤَلِّف

الحمد لله عدد نعمه التي لا تحصى، والصلاة والسلام على نبيِّه المصطفى، وعلى آله وصحبه ذوي العزم والتُّقى.

(أمَّا بعد):

فلمَّا كان التخلُّق بالأخلاق الفاضلة عمادُ التقدُّم، والتأدُّب بالآدابِ الكاملة أسُّ السَّعادة، رغبتُ في وضعِ كتابٍ موجزٍ في الأخلاق مدفوعاً بدافعِ طولِ ممارسة تدريسها، ومارأيته من النَّقصِ فيها، والرَّغبةُ في الزِّيادةِ منها، ولو أنِّي لستُ من فُرسان هذا الميدان، ولكنَّ التَّشَبُّه بالكرامِ فلاحُ على كُلِّ حال.

وإنِّي أُقدِّمُهُ إلى كُلِّ مَن طَمُحَت نفسُهُ إلى الكمال، ورغب في بلوغ الآمال، وقد سميتُهُ (فتحُ الخلَّاق في مكارم الأخلاق)، وأوردتُ فيه مِن الأدلَّةِ القاطعةِ، والبراهين السَّاطعةِ من الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة الشَّريفة، وحِكَمِ الحُكَماء والعُلماء، وأدب الأُدباء، وشعرِ الشُّعراء مِمَّا يُحبِّبُ القارئَ الكريم إلى قراءته، وقطفِ ثمرته، وقد شرحتُ غامضَ لفظِهِ، وضبطُّت



شبكة الألوكة - قسم الكتب

غريبَ كَلِمِهِ حتَّى يكونَ عذبَ المَورِدِ، سهل المُتناوِلِ، متوسِّلاً إلى اللهِ أن ينالَ القبول، ويُثمرَ المأمول، وهو وليُّنا ونِعمَ النَّصير .

السَّيِّد أحمد سعيد الدَّجويّ

رحمه الله تعالى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ۞ الأدب (*)

هو التَّحلِّي بأحسن صفات الكمال، والتَّخلِّي عن الرذائل، والبُعد عن النقائص، بحيث يكونُ الإنسانُ في جميعِ أحوالهِ ومُعاملاتهِ في المُجتمع الإنسانيّ، على مُقتضى العقل الكامل والذّوق السليم، فلا يَصدُرُ منه ما يُوجبُ الذّم واللَّوم، ولا يقع منه ما يُخلُّ بشرفه، أو يَحطُّ مِن قدره، فالأدب عُنوان الكمال، يرفعُ الوَضيع، ويعلو بالسَّوَقة إلى مرتبة الملوك، ولهذا كان حقّاً على كُلِّ امرئٍ أن يتخلَّقَ به طِبقاً لما جاء به النَّبيّ ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧). وقال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩)، وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور:٢٧).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) [١].

---

(*) هذا هو أوَّلُ كتاب (فتح الخلاق) للشيخ أحمد سعيد الدجوي رحمه الله تعالى.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: (أَمَرَني رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِتِسْعٍ: الإِخلَاصُ فِي السِّرِ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ نُطقِي ذِكْرًا، وَصَمْتِي فِكْرًا، نَظَرِي عِبرة) (٢).

وقال عليه السَّلام: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَم صَغِيرِنَا، ويعرفُ لِعالِمنَا حقَّه) (٣).

---

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده: ١٥/٣٦٤، برقم: ٨٩٤٩، والجنيد في فوائده: ١/١٢١، برقم: ٢٧٦ عن أبي هريرة مرفوعاً به.

(٢) حسن بشواهده، قال شُعيب الأرناؤوط: أخرجه رزين، وقد روى الفقرات الثلاث الأولى الطبراني في "الأوسط" عن أنس، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن أبي هريرة "ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الرضى والغضب، والقصد في الفقر والغنى"، وهو حديث حس.

والفقرات الثلاث التي بعدها رواها البراز والطبراني والحاكم عن أبي هريرة، وأحمد والحاكم عن عقبة بن عامر، والطبراني في "الأوسط" عن علي، والطبراني عن معاذ بن أنس، والبزار عن عبادة بن الصامت، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده، والفقرات الثلاث الأخيرة لم أجد لها طرقاً وشواهد.

ورواه ابن أبي الدُّنيا في اصلاح المال: ١١/٦٨٧، برقم: ٩٣١٧، عن داود عليه السَّلام.

(٣) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ١١/٥٢٩، والطبراني في الأوسط: ٦/١٠١، برقم: ٥٩٢٧، ما عدا قوله: (ويعرف لعالمنا حقَّه).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليه الصلاة والسلام: (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عليكم) (١).

وقال: (إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، من أَجْلِ أَنْ ذلكَ يُحْزِنَهُ) (٢).

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه (٣): إنَّ الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومَحاسِنَها وصلاً بينه وبينكم، فحسْبُ (١) الرَّجُلِ أن يتَّصِلَ مِنَ اللهِ تعالى بخُلُقٍ منها. وقال: غايةُ الأدبِ أن يستحيِي الإنسانُ مِن نفسهِ.

---

ورواه الحاكم في المستدرك: ١/٢١١، برقم: ٤٢١، والطبراني في مكارم الأخلاق: ٣٦٧/ ١٤٧، بلفظ: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حقَّه).

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤/٦٦٥، برقم: ٢٥١٣، وابن ماجه: ٢/١٣٨٧، برقم: ٤١٤٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٨/٦٥، برقم: ٦٢٩٠، ومسلم: ٤/١٧١٨، برقم: ٢١٨٤.

(٣) هو: الصحابي الجليل، أبو الحسن: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشيأمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشيد، ن وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاما بعد خديجة. ولد بمكة، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه، وقتله عبد الرحمن بن ملجم سنة (٤٠ هـ/ ٦٦١ م). انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٩٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال معاوية بن أبي سفيان [٢]: الغريب من لا أدب له. وقال آخر: أهل الأدب هم الأكثرون وإن قلوا، وَمَحَلُّ الأنس أين حلوا.

وقال خالد بنُ صفوان [٣] لابنه: يا بُنيَّ الأدبُ بهاءُ المُلوكِ، ورياشُ السَّوَقة، والنَّاسُ بين هاتين فتَعلَّمْهُ تجدُ نفسَكَ حيثُ تُحِبُّ [٤].

---

(١) حسبه: أي كافيه.

(٢) هو: الصحابي الجليل معاوية بن (أبي سفيان) صخر ابن حرب بن أمية، القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار. كان فصيحا حليما وقورا، وتوفي سنة (٦٠ هـ/ ٦٨٠ م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٦١).

(٣) هو: خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو التميميّ المنقريّ: من فصحاء العرب المشهورين. كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار. ولد ونشأ بالبصرة. وكان أيسر أهلها مالا، ولم يتزوج. له كلمات سائرة، قيل له: أي إخوانك أحبّ إليك؟ فقال: الّذي يغفر زللي ويقبل عللي ويسد خللي. عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشئ وذمه، وجمع بعض كلامه في (كتاب). وكان يرمى بالبخل. وكف بصره، وتوفي نحو (١٣٣ هـ). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٧).

(٤) رياش: لباس فاخر. السَّوَقة: الرَّعيَّة من النَّاس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابنُ المُقفَّع [1]: ما نحنُ إلى ما نتقوَّى به على حواسنا من المطعمِ والمَشربِ بأحوجِ منَّا إلى الأدب الذي هو لِقاحُ [2] عقولنا.

وقال بزرجمهر [3]: ليتَ شعري أيَّ شيءٍ أُدركَ مَن فاتهُ الأدبُ، وأيَّ شيءٍ فات مَن أدركَ الأدبَ.

وقال لكِسرى [4] وعندَه أولادهُ: أيُّ أولادِكَ أحبُّ إليكَ؟، قال: أرغبُهم في الأدبِ، وأجزَعُهم [5] مِنَ العَار، وأنظرهُم إلى الطَّبقةِ الَّتي فوقَهُم.

---

(١) هو: أبو عمر عبد الله بن المقفع بن المبارك البصري البغدادي الأديب الكاتب للمنصور العباسي، المعروف بابن المقفع، وهو أول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق، وتوفي قتيلاً بالبصرة سنة (١٤٢هـ/ ٧٥٩ م) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٤٠).

(٢) سببٌ في نمائها.

(٣) هو: الحكيم الفارسي المشهور بُزُرجِمهْر من حكماء الشرق، استوزره أنوشروان ثم طرده وحبسه، ثم أخرج وأعيد إلى قصره ولم يزل على حاله إلى أن كفَّ بصره وضعف جسمه ومات. وله أخبار طويلة مذكورة في المفصَّلات. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٧٥).

(٤) هو: كِسْرَى يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْرِيَارَ بنِ بَرْوِيْزَ المَجُوْسِيُّ، الفَارِسِيُّ آخِرُ الأَكَاسِرَةِ مُطْلَقاً. انْهَزَمَ مِنْ جَيْشِ عُمَرَ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَى العِرَاقِ، وَانْهَزَمَ هُوَ إِلَى مَرْوَ، وَوَلَّتْ أَيَّامُهُ، ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ أُمَرَاءُ دَوْلَتِهِ، وَقَتَلُوْهُ سَنَةَ ثَلاَثِيْنَ. انظر سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢/ ١٠٩).

(٥) أجزعهم: أخوفهم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحُكِيَ عن الأصمعيِّ (١) رحمه الله تعالى أنَّ أعرابيّاً قال لابنِهِ: يا بُنيَّ دِعامَةُ (٢) أيَّدَ اللهُ بِهَا الألباب، وحلْيةٌ زيَّن اللهُ بها عواطِل الأحساب، فالعاقِلُ لا يستغني وإن صحَّت غريزته (٣) عن الأدبِ المُخرج زهرَته، كما لا تستغني الأرضُ وإن عَذُبت تربتها (٤) عن الماءِ المُخرجِ ثَمرتها.

وقال بعض الحكماء: الأدبُ صورةُ العقلِ، فصوِّر عقلك كيفَ شئتَ؟

وقال آخر: إذا كانَ الرَّج طاهِرَ الأثواب، كثيرَ الثِّياب، حَسَن المَذهب تأدَّب بأدبهِ وصَلُحَ بصلاحه جميع أهله وولده. وقال غيرهُ: من كَثُرَ

---

(١) هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي الأصمعي: راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا، توفي سنة (٢١٦ هـ/ ٨٣١ م) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٢).

(٢) دعامة: عماد.

(٣) غريزته: طبيعته.

(٤) صلح تربتها للزِّراعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أدبُه كَثُرَ شرفُه وإن كانَ قبلُ وضيعاً، وبَعُدَ صيتُه وإن كان خاملاً [(١)]، وسادَ وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان مُقتِراً [(٢)].

وقال غيرهُ: عليكم بالأدبِ فإنَّهُ صاحِبٌ في السَّفرِ، ومؤنسٌ في الوَحدة، وجمالٌ في المَحفَلِ، وسببٌ إلى قضاءِ الحاجة.

وقال بعضُ الأدباء: زَكِّ [(٣)] قلبكَ بالأدبِ كما تُزكِّي النَّارَ بالحَطَبِ، واتَّخِذ الأدبَ غُنماً، والحِرصَ عليهِ حظَّاً، يرتجيكَ الرَّاغب، ويخافُ صلولتك [(٤)] الرَّاهِبُ، ويُؤَمَّلُ نفعُكَ، ويُرجى عدلَكَ.

وقال آخر: شِبهُ العالِمِ الشَّريف العديمِ الأدبِ بالبُنيانِ الخَرَاب الذي كُلَّما علا سَمكُه كان أشدَّ وحشةً، وبالنَّهرِ اليابسِ [(٥)] الذي كُلَّما أعرضَ

(١) خاملاً: ساقطاً.

(٢) مقتراً: قليل المَال.

(٣) زكِّ: نمِّ.

(٤) صولتك: سطوتك.

(٥) اليابس: الجاف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأعمقَ كان أشدَّ وُعورةً، وبالأرضِ الجيّدة المُعطَّلةِ الَّتي كُلَّما طالَ خرابُها ازداد نباتُها غيرِ المُنتفَعِ به التفافاً، وصار للهوَامِ [١] مسكناً.

وقال بعض العلماء: العقلُ بلا أدب كالشَّجرِ العاقِرِ [٢]، ومع الأدب كالشَّجَرِ المُثمِر.

وقال آخر: الأدبُ وسيلةٌ إلى كُلِّ فضيلة، وذريعة إلى كُلِّ مَكرُمَة.

وقال بعض الفُصحاء: الفضلُ بالعقلِ والأدَبِ، لا بالأصلِ والحسب.

وقال غيره: من ساءَ أدبه ضاع حسبه.

وقال غيره: الأدبُ يستُرُ قبيحَ النَّسَبِ.

وقيل: طلب الأدب أفضل من الذهب.

وقيل: الأدب بين أهله نسب.

---

(١) الهوام: الأفاعي والعقارب والحشرات.

(٢) الشجر العاقر: العديم الثَّمر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل: الأدبُ مالٌ واستعماله كمال.

وقال المنفلوطي [1]: المرء بفضيلته لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله، وبأدبه لا بثيابه.

وقال عليٌّ بن أبي طالب:

حرِّض بنيك على الآدابِ في الصِّغَر ... كيما تقرَّ بهم عيناكَ في الكِبَرِ

وإنَّما مَثَلُ الآدابِ تجمعها ...في عنفوانِ الصِّبا كالنَّقشِ في الحجرِ

وقال أيضاً:

ليس الجمــال بأثوابٍ تزيننا ... إن الجمـال جمال العلم والأدبِ

ليس اليتيم الذي قد مات والده ... إن اليتيم يتيم العلم والحسبِ

وقال الشَّاعرُ:

---

(١) هو: مصطفى لطفي بن محمد لطفي المنفلوطي: نابغة في الإنشاء والأدب، انفرد بأسلوب نقيّ في مقالاته وكتبه. له شعر جيد فيه رقة وعذوبة. ولد في منفلوط (من مدن الوجه القبلي بمصر) من أسرة حسينية النسب مشهورة بالتقوى والعلم، نبغ فيها، من نحو مئتي سنة، قضاة شرعيون ونقباء أشراف، وفي سنة (١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٤ م). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٣٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لكلِّ شيءٍ زينةٌ في الوَرَى...وزينةُ المَرءِ تمامُ الأدب

قد يشرف المرء بآدابه...فينا وإن كان وضيع النسب

وقال آخر:

فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِثْلَ الْعُقُولِ ... وَلَا اكْتَسَبَ النَّاسُ مِثْلَ الْأَدَبْ

وَمَا كَرَمُ الْمَرْءِ إِلَّا التُّقَى ... وَلَا حَسَبُ الْمَرْءِ إِلَّا النَّسَبْ

وقال آخر:

مَا وهب الله لامرئٍ هبةً ... أشرفُ من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فإن عدما ... فإنّ فقد الحياة أجمل به

وقال آخر:

كن ابنَ مَن شئت واكتسب أدباً... يُغنيكَ محمودهُ عَنِ النَّسَبِ

إنَّ الفتى يقولُ ها أنا ذا .... ليس الفتى مَن يقولُ كـــانَ أبي

❁ ❁ ❁

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ❁ تأديب الأولاد:

وهنا أذكرُ بعضاً مِمَّا وردَ في الحثِّ على تهذيبِ الأولادِ منذُ نشأتهم، وغرسِ فضيلةِ الأدبِ فيهم حتَّى يَشِبُّوا وقد انطبع في قلوبهم حُبُّ الفضيلة وبُغض الرذيلة:

قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: (مَا نَحلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ) [1].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: (حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَأَدَبَهُ، وأن يُعلِّمَهُ الكتابةَ والسِّباحة والرِّماية) [2].

وقال ﷺ: (لَأَنْ يُؤَدِّبَ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ) [1].

---

(١) ضعيف، رواه الترمذي في سننه: ٣٣٨/٤، برقم: ١٩٥٢، وأحمد في مسنده: ٢٦٥/٢٧، برقم: ١٦٧١٠. نحل: أعطى ومنح.

(٢) ضعيف، رواه البيهقيُّ في الشعب: ١٣٧/١١، برقم: ٨٣٠٠، (وَ) ١٤٠/١١، برقم: ٨٣٠٦، ما عدا قوله: (وأن يُعلِّمَهُ الكتابةَ والسِّباحة والرِّماية).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: قلبُ الحَدَث كالأراضي الخالية ما أُلقيَ فيها مِن شيءٍ قَبِلَتْهُ.

وقال الإمامُ الغزالي [٢]: الولدُ أمانةٌ عند والديه، وقلبُهُ الطَّاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة خالية من كُلِّ نقشٍ وصورة، وهو قابلٌ لكلِّ ما يُنقَشُ عليه، ومائلٌ إلى عملِ ما يَميلُ إليه، فإن عودناه الخير وعَلِمَه وعمله نشأ عليه وسَعِدَ في الدُّنيا والآخرة.

وقال الإمام الماوردي [٣]: فَأَمَّا التَّأْدِيبُ اللَّازِمُ لِلْأَبِ، فَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ وَلَدَهُ بِمَبَادِئِ الْآدَابِ لِيَأْنَسَ بِهَا، وَيَنْشَأَ عَلَيْهَا، فَيَسْهُلَ عَلَيْهِ قَبُولُهَا عِنْدَ

---

(١) ضعيف، رواه الحاكم في المستدرك: ٤/٢٩٢، برقم: ٧٦٨٠، والبيهقي في الشعب: ١١/١٣١، برقم: ٨٢٨٨.

(٢) هو: الإمام الفيلسوف أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، حجة الإسلام، له نحو مئتى مصنف. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزَالة (من قرى طوس)، وتوفي سنة (٥٠٥ هـ/ ١١١١م). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢)

(٣) هو: أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي: أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء في بلدان كثيرة،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْكِبْرِ لِاسْتِئْنَاسِهِ بِمَبَادِئِهَا فِي الصِّغَرِ؛ لِأَنَّ نُشُوءَ الصِّغَرِ عَلَى الشَّيْءِ يَجْعَلُهُ مُتَطَبِّعًا بِهِ، وَمَنْ أُغْفِلَ تَأْدِيبُهُ فِي الصِّغَرِ كَانَ تَأْدِيبُهُ فِي الْكِبَرِ عَسِيرًا.

وأوصى عمرو بن عُتبةَ[(١)] مؤدِّب ولده، فقال: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحُكَ لنفسك، فإنَّ عيونهم معقودةٌ بعينيك، فالحن عندهم ما فعلت، والقبيح ما تركت، علِّمهم كتاب الله، ولا تُمِلَّهم فيه فيهجروه وروِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشِّعر أعفَّهُ، ولا تنقلهم من علمٍ إلى علم حتَّى يُحكموه[(٢)]، فإن ازدحام الكلامِ[(٣)] في السَّمعِ مَضلَّةٌ للفهمِ، وعلِّمهم سُنَنَ الصُّلحاء، وجنِّبهم مُحادثة السُّفهاء، وروِّهم سير الحُكَماء، وتَهدَّدهم بي،

ثم جُعل "أقضي القضاة" في أيام القائم بأمر الله العباسي. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسط بينهم وبين الملوك وكبار الأمراء فيما يصلح به خللاً أو يزيل خلافاً. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد، وتوفي سنة (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م). انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٧)

(١) هو: عمرو بن عتبة بن فرقد السَّلمي، أحد الزُّهاء والفصحاء، من كبار التابعين، توفي سنة (٨٠ هـ)، انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ت بشار (٢/ ٨٦٧).

(٢) يحكموه: يتقنوه.

(٣) ازدحام الكلام: كثرته.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأدِّبهُم دوني، كُن كالطَّبيب الذي لا يَعجَلُ بالدَّواء قبل معرفةِ الدَّاء، ولا تتوكَّل على عُذرٍ مِنِّي، فقد اتَّكلتُ على كفايةٍ منك.

وأوصى الرَّشيدُ[1] مؤدِّبَ ولده الأمين[2]، فقال: إنَّ أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجةَ نفسه، وثمرة قلبه، فصارت يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبة، أقرئْهُ كُتبَ الدِّين، وعرِّفْهُ الآثار، وروِّه الأشعار، وعلِّمْهُ السُّنن، وبصِّرهُ مواقع الكلام، وامنعه الضَّحِك إلّا في أوقاته، ولا تمرُّ بك ساعة إلّا وأنت مُغتنمٌ فيها فائدة تفيده إيَّاها من غيرِ أن تُخْرِقَهُ[3] فتُميتَ ذهنه، ولا

---

(١) هو: أبو جعفر هارون (الرشيد) ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالريّ، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان. ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وتوفي سنة (١٩٣ هـ/ ٨٠٩ م). الأعلام للزركلي (٨/ ٦٢).

(٢) هو: محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور: خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد. وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ١٩٣ هـ) بعهد منه، فولَّى أخاه المأمون خراسان وأطرافها، وفي سنة (١٩٥ هـ) أعلن المأمون خلع أخيه، وقُتل على يد طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون سنة (١٩٨هـ /٨١٣م). الأعلام للزركلي (٧/ ١٢٧).

(٣) تُخرقه: تدهشه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تُمعِن[1] في مُسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقوِّمْهُ ما استطعتَ بالرِّفقِ والمُلايَنة، فإن أباهُما فعليك بالشِّدةِ والغِلظة.

وقال زيدُ بنُ عليّ [2]: إن خير الآباء للأبناءِ مَن لم يَدعهُ الحَنان إلى التفريط [3].

وقال بعضُ العُلماء: ينبغي للوالد ألَّا يسهو عن تأديبِ ولده، وذلك بأن يُحسِّنَ عنده الحسن، ويُقبِّحَ عنده القبيح، وليحُثَّهُ على مكارم الأخلاق، وجميل الآداب، وليحُضَّه على تعلُّمِ العلم والأدبِ، ويُدَرِّبَهُ [4] على ذلك.

وقال غيره: بادروا إلى تأديبِ الأطفال قبلَ تراكم [1] الأشغال، وتفرُّق البال.

---

(١) تمعن: تبالغ.

(٢) هو: أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام، العلويّ الهاشمي القرشي، ويقال له (زيد الشهيد) عدّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا. كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال، وقتل سنة (١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م). الأعلام للزركلي (٣/ ٥٩).

(٣) الحنان: الرَّحمة. التفريط: التقصير.

(٤) يدربه: يعوده.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال صالح بن عبد القُدُّوس [٢]:

وإنَّ مَن أدبتنا في الصِّبا ... كالعودِ يُسقى الماءُ في غرسهِ
حتَّى تراهُ مورقاً ناضراً ... بعد الَّذي أبصرتُ مِن يُبسِهِ

وقال الشاعرُ:

عَوِّد بنيك على الآدابِ في الصِّغَرِ .... كيما تقرَّ بهم عيناكَ في الكِبَرِ [٣]
فإنَّما مَثلُ الآداب نجمعها في .... عُنفوان الصِّبا كالنَّقشِ في الحجرِ [٤]
هي الكُنوز التي تنمو ذخائرها .... ولا يخاف عليها حادثُ العِبَرِ [٥]
إن الأديبُ الذي زلَّتبهِ قَدَمٌ .... يهوي على فُرشِ الدِّيباجِ والسُّرُرِ [٦]

---

(١) تراكم: تزاحم.

(٢) هو: أبو الفضل صالح بن عبد القدّوس بن عبد الله بن عبد القدّوس الأزدي الجذامي، مولاهم، شاعر حكيم، كان متكلما، يعظ الناس في البصرة. له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله امثال، وحكم وآداب. اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله ببغداد، نحو سنة (١٦٠ هـ). الأعلام للزركلي (٣/ ١٩٢).

(٣) تقرَّ: تفرح.

(٤) عنفوان: مبدأ.

(٥) ذخائرها: خيراتها.

(٦) زلت: عثرت. الديباج: الحرير.

وقال آخر:

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ ... وليس ينفعُ بعدَ الشَّيبةِ الأدبُ

إن الغُصونَ إذا قومتها اعتدلت .... ولتن تلين إذا قوَّمتَــها الخَشَبُ.

وقال غيره:

ينشأ الصَّغيرُ على ما كان والدهُ ... إنَّ الأصولَ عليها ينبُتُ الشَّجَرُ

## ۞ الحِـلْمُ وَالصَّفح

هو ضبط النَّفسِ عند ثورة الغضبِ حالَ وجود ما يدعو إليه، وتملُّكِ عنانها حذر الاسترسال في هياجها، فيحدث ما لا تحمد عقباه، فكم جرَّ الغضبُ من الأضرار على أُناسٍ مالو ملكوا أنفسهم، وكبحوا جماحها [1] لسلموا منه، وكانوا إلى السِّيادة التي حرصوا عليها بما فعلوا أقرب، وإنَّ ممَّا يدعو إلى طولِ الأسفِ ما نراه عند شبابنا من الغضب في أدنى الأمور وأوهى الأسباب، ولو علموا أنَّ الحلم سيِّدُ الأخلاق، وأنَّهُ يُكمِّل صاحبه بجميل الخصال، ويُحبِّبُه إلى الله تعالى، ويرفعُ قدره عند النَّاس لما عرفوا للغضبِ سبيلاً، ولا سلكوا إليه طريقاً.

قال الله جل شأنه: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، فالرجل العظيم حقاً، كلما حلَّق في آفاق الكمال اتسع

---

(١) كبحوا جماحها: ردُّوا غلبتها.

صدره، وامتد حلمه، وعذر الناس من أنفسهم، والتمس المبررات لأخطائهم، فإذا عدا عليه غِرٌّ يريدُ تجريحه، نظر إليه من قمته؛ كما ينظر الحكيم لأطفال صغار يعبثون في الطريق وقد يرمونه بالأحجار.

❁ وهذا المعنى يفسر لنا حلم هود مع قومه، وهو يستمع إجابتهم بعدما دعاهم إلى توحيد الله، قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٦-٦٨).

إن الشخص الغضوب كثيراً ما يذهب به غضبه مذاهب الحمقاء، فقد يسبُّ الباب إذا استعصى فتحه، وقد يكسر آلة تضطرب في يده، وقد يلعن دابةً جمحت به.

وحدث أن رجلاً نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا تَلْعَنْهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ)[١].

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٧٨/٤، برقم: ٤٩٠٨، والترمذي: ٤١٩/٣، برقم: ١٩٧٨.

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيِيَّ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ)[1].

❁ وقد كان ينصح من جاءوه مسترشدين بما يلائم طباعهم ويوافق بيئتهم، وقد يوجز أو يطنب وفق ما تقتضيه الأحوال، وروُي أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ ﷺ، فقال أوصني، فقال: (لاَ تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ)[2].

ومن الناس من لا يسكن غضبه، فهو في ثورة دائمة، وتغيُّظٍ لا ينقطع، فإذا مسَّه أحدٌ ارتعش كالمحموم، وأنشأ يُرغي ويزبد ويلعن ويطعن، والإسلام بريءٌ من هذه الخِلال الكدرة؛ وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَن يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)[3].

---

(١) حسن، رواه الطبراني في الكبير: ٤١٣/٢٢، برقم: ١٠٢٤، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢١٣/٥،برقم: ٢٥٣٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٦١١٨/٢٨/٨، والترمذي في سننه: ٤٣٩/٣، برقم: ٢٠٢٠.

(٣) صحيح، رواه البخاري في صحيحه: ٢٨/٨، برقم: ٦١١٤، ومسلم: ٢٠١٤/٤، برقم: ٢٦٠٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وكلما ربا الإيمان في القلب ربت معه السماحة وازداد الحلم، ونفر من طبع الغضب حتى مع المخطئين في حقه.

وقال عليه السَّلام: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يُحَّرمُ على النَّار أو بمن تُحَرَّمُ عليه النَّارُ؟ تُحَرَّمُ عَلَى كُلِّ سَهْلٍ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ) [1]، وقال: (ابْتَغُوا الرَّحْمَةَ عِنْدَ اللَّهِ، تَحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ) [2].

وعلى قدر ما يضبط المسلم نفسه، ويكظم غيظه، ويملك قوله، ويتجاوز عن الهفوات، ويرثى للعثرات تكون منزلته عند الله.

---

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤/٦٥٤، برقم: ٢٤٨٨، والبيهقي في الشعب: ١٠/٤٤٦، برقم: ٧٧٧٤.

(٢) حسن، رواه ابن شاهين في الترغيب: ٨١/ ٢٤٢، واللفظ له، ورواه الحاكم في المستدرك: ٤/١٧٨، برقم: ٧٢٨٥، بمعناه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولذلك استنكر رسول الله ﷺ على أبي بكر[1] أن يلعن بعض رقيقه، وقال: (لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا) [2]، فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ، وقَالَ للنَّبيِّ ﷺ: (لَا أَعُودُ) [3].

ذلك أن اللعن قذيفة طائشة خطرة، يدفع إليها الغضب الأعمى أكثر من استحقاق العقاب نفسه، واستهانة الناس بهذه الدعوات الشداد لا تليق؛ لأنه لا يفلت من وبالها أحد.

فعن أبي الدَّرْدَاءِ [1]، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى

---

(١) هو: الصحابي الجليل، أبو بكر عبد الله بن أبي قُحَافَة التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلم من الرجال، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وتوفي سنة (١٣ هـ/ ٦٣٤ م). الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٢)

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٠٥/٤، برقم: ٢٥٩٧، والبيهقي في الشعب: ١٤٢/٧، برقم: ٤٧٨٨.

(٣) صحيح، رواه البيهقي في الشعب: ١٤٥/٧، برقم: ٤٧٩١، والطبراني في الأوسط: ٣٤١/٥، برقم: ٥٤٩٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا) (٢).

❁ ولمّا قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حُصين بْنِ حُذَيْفَةَ (٣) ونَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ (٤)، وَكَانَ من النَّفر الذين القُرَّاءُ يدنيهم عُمَر (٥)، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، اسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ

---

(١) هو الصحابيُّ الجليل: أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، من الحكماء الفرسان القضاة. كان قبل البعثة تاجراً في المدينة، ثم انقطع للعبادة. ولما ظهر الإسلام اشتهر بالشجاعة والنسك، وتوفي سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٢م). الأعلام للزركلي (٥/ ٩٨).

(٢) حسن، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٧٧، برقم: ٤٩٠٥، والبيهقي في الشعب: ٧/١٤٩، برقم: ٤٧٩٩.

(٣) هو: الصحابي أبو مالك عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر الفزاري –انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ٤٣٧).

(٤) هو: الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ابن أخي عيينة بن حصن، كان أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من فزارة مرجعه من تبوك. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٤٠٣).

(٥) هو: الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص: ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، وتوفي على أثر طعن أبي لؤلؤة المجوسي سنة (٢٣ هـ/ ٦٤٤م). الأعلام للزركلي (٥/ ٤٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ.

فَقَالَ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، قال: (وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ)[١].

وإنما غضب عمر لتطاول الأعرابي؛ لأنه لم يدخل عليه ناصحاً بخير، أو طالباً لحق، بل دخل عليه ليشتمه في سلطانه دون مبرر، وليسأله العطاء الجزل على غير عمل، فلما ذكر بأن الرجل من الجُهَّال أعرض عنه، وتركه ينصرف سالماً. وقال بعضهم: كَادَ الحَلِيْمُ أَن يَكونَ نَبِيّاً[٢].

❁ والجاهلية التي عالجها رسول الله ﷺ قامت على ضربين من الجهالة، جهالة ضد العلم، وجهالة ضد الحلم، فاما "الأولى" فقطعها بأنواع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩/٩٤، برقم: ٧٢٨٦، والبيهقي في الشعب: ١٠/٥٤٣، برقم: ٧٩٦١.

(٢) رواه أبو بكر الطريثيثي في حديث الضَّب، مخطوط، صفحة رقم: ١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعرفة، وبيان سبيل الرشاد، وأما "الأخرى" فكفَّ ظلمتها بكبح الأهواء، ومنع الفساد، وقد كان الأولون يفخرون بمقابلة الجهل بجهل أشد، فيقول قائلهم:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا .... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

❁ وقد حرَّم الإسلام المهاترات السفيهة بين المتخاصمين، فكم من المعارك التي تبتذل فيها الأعراض، وتنتهك فيها الحرمات، وتطلق فيها الشتائم المحرَّمة، وليس لهذه الآثام الغليظة من علة إلا تسلط الغضب، وضياع الأدب، وطريقة النجاة من هذه المنازعات الحادة هي تغليب الحلم على الغضب، وتغليب العفو على العقاب، ويجعل عفوه عن المسئ من شكر الله الذي أقدره على أن يأخذ بحقه إذا شاء.

وقال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه: أوَّلُ ما يُعوِّضُ الحليمَ عن حِلمه أنَّ النَّاسَ أنصاره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لرجلٍ أسمعه كلاماً: يا هذا لا تُغرق في سَبِّنَا (١) ودَع للصُّلحِ موضعاً، فإنِّي أبيتُ مُشاتمَة الرِّجالِ صغيراً، فلن أَجِيئها كبيراً، وإنِّي لا أُكافئُ مَن عصى الله فيَّ بأكثرَ من أن أُطيعَ الله عزَّوجلَّ فيه.

وشتمَ رجلٌ الشَّعبيَّ، فقال: إن كُنتُ كما قلتَ فغفر الله لي، وإن لم أكُن كما قلتَ فغفر الله لك.

واغتاظت عائشةُ رضي الله عنها (٢) على خادمٍ لها ثُمَّ رجعت إلى نفسها، فقالت: لله درُّ (٣) التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء.

---

(١) لا تُغرق: لا تبالغ.

(٢) هي: أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، من قريش: أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. كانت تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه. ولها خطب ومواقف، وتوفيت سنة (٥٨ هـ/ ٦٧٨م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٠).

(٣) لله در: كلمة مدح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الأحنفُ بن قيس [(١)]: ما عاداني أحدٌ إلّا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال: إن كان أعلى منِّي عرفتُ له قدره، وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه، وإن كان نظيري تفضَّلتُ عليه.

وقال بعضُ الحُكماء: احتمالُ السَّفيهِ خيرٌ من التَّحلِّي بصورتهِ، والإغضاءُ [(٢)] عن الجاهل خيرٌ من مُشاكلتهِ.

وقال آخر: إذا سكتَّ عن الجاهلِ فقد أوسعتهُ جواباً، وأوجعتهُ عقاباً.

وقال غيره: في إغضائك راحةُ أعضائك.

وقال بعضُ الأُدباء: من غرسَ شجرةَ الحُلمِ اجتنى ثمرةَ السِّلم.

وقال آخر: ما أفحش حليمٌ، ولا أوحشَ كريمٌ.

---

(١) هو: أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي، سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم. ولد في البصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يره. ووفد على عمر، حين آلت الخلافة إليه، في المدينة، وتوفي سنة (٧٢ هـ/ ٦٩١م). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٧٦).

(٢) الإغضاء: احتمال المكروه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض البُلغاء: ما ذبَّعن الأعراضِ كالصَّفحِ والإعراض [١].

وقال آخر: ثلاثةٌ لا يُعرفون إلَّا في ثلاثةِ مواطن، لا يُعرف الجوَّادُ إلا في العُسرة، والشُّجاعُ إلا في الحربِ، والحليمُ إلا في الغضبِ.

وكان الأحنف بن قيس مشهوراً بين النَّاس بالحلم، وبذلك ساد عشيرته، فقيل له: ممَّن تعلَّمت الحلم ؟، فقال: من قيس بن عاصم [٢]، كُنَّا نختلفُ [٣] إليه في الحلم كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه، ولقد حضرتُ عنده يوماً، وقد أتوهُ بأخٍ له قد قُتلَ، فقال: ذعرتم [٤] أخي، أطلقوه واحملوه إلى أُمِّ ولدي دِيَتَهُ، فإنّها ليست من قومنا، ثُمَّ أنشد:

أقول للنفسِ تصبيراً وتعزيةً ... إحدى يديَّ أصابتني ولم تُرِدِ

---

(١) ذبَّ: دفع. جمع عرض وهو الشَّرف. الإعراض: ترك العقوبة.

(٢) هو: أبو علي قيس بن عاصم بن سنان المقريزي السعدي التميمي، أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم. كان شاعرا، اشتهر وساد في الجاهلية. وهو ممن حرم على نفسه الخمر فيها. ووفد على النبي صلّى الله عليه وآله في وفد تميم (سنة ٩ هـ) فأسلم، وتوفي نحو سنة (٢٠ هـ/ ٦٤٠م) الأعلام للزركلي (٥/ ٢٠٦).

(٣) نختلف: نتردد.

(٤) ذعرتم: خوَّفتم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلاهُما خَلف مَن فقد صاحِبَهُ ... هذا أخي حين أدعوهُ وذا ولدي

وقال الجعديُّ [(١)]:

ولا خيرَ في حلم إذا لم يكن له ... بوادرُ تحكي صفوه أن يُكدَّرا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن لهُ ... حليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصدَرا

وقال صلاح الدِّين الصَّفديُّ [(٢)]:

واستثمرِ الحلم في كُلِّ الأمورِ ولا ... تُسرع ببادرة يومـاً إلى رجلٍ [(٣)]
وإن بُليتَ بشخصٍ لا خَلاق له .... فكُن كأنَّكَ لم تسمع ولم يَقُلِ

(١) هو: أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة الجعديّ العامري، شاعر مفلق، صحابي: من المعمرين. اشتهر في الجاهلية. وسمي "النابغة" لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقوم الشعر ثم نبغ فقاله. وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام. ووفد على النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، وأدرك صفين، فشهدها مع علي، وتوفي نحو سنة (٥٠ هـ/ ٦٧٠م). الأعلام للزركلي (٥/ ٢٠٧)

(٢) هو: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها. الأعلام للزركلي (٢/ ٣١٥).

(٣) واستثمر: اتخذ.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الشَّاعرُ:

أحُبُّ مكارمَ الأخلاقِ جَهدي .... وأكرهُ أن أعيبَ وأن أُعابا

وأصفحُ عن سبابِ النَّاسِ حلماً ...وشرُّ النَّاسِ مَن يهوى السِّبابا [١]

ومَن هـابَ الرّجالَ تهيَّبوهُ ... ومَن حَقَرَ الرِّجالَ فلن يُهابا [٢]

وقال آخر:

وفي الحِلمِ ردعٌ للسَّفيهِ عَنِ الأذى .... وفي الخَرْقِ إغراءٌ فلا تَكُ أخْرقا [٣]

فتندمَ إذ لا ينْفَعنَّكَ ندامةٌ .... كما نَدِمَ المَغبونُ لـمَّـا تفرَّقا [٤]

وقال غيره:

وللكفِّ عن شتم اللئيم تكرُّما ... أضرُّ له من شَتْمِهِ حينَ يشتُمُ [٥]

وقال غيره:

---

(١) عن سباب: شتم.

(٢) هاب من الهيبة: وهي الإجلال والمخافة.

(٣) الخرق: الحمق. إغراء: خدعة وخطر.

(٤) المغبون: المغلوب بالخدعة.

(٥) الكفُّ: الامتناع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليست الأحلامُ في حالةِ الرِّضا ... إنَّما الأحلامُ فِي حالةِ الغَضَبِ

وقال غيره:

ألا إنَّ حـلم المرءِ أَكـرَمُ نِسبَةً ... تسامى بهـا عند الفَخارِ حليمُ[1]

فيا ربِّ هب لي مِنكَ حلماً فإنَّـ ... ـنِي أرى الحُلمَ لم يندم عليه كريمُ

---

(١) تسامى: تبارى.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ❁ الصّدق

الصدق هو القولُ بما يُطابقُ الحقيقة والواقع، من غيرِ تبديلٍ ولا زيادةٍ أو نُقصان، ولولاه لانتزعت ثقة النَّاس بعضهم من بعض، ولما وصلَ إليهم شئٌ من الحقائق في العلوم والأديان، وليس في الأخلاقِ خُلُقٌ أحسنُ بالإصلاح والنِّظامِ من الصِّدق، ولا أفسدُ لهما من الكَذب، فهو رأسُ الفضائلِ وأُسُّ المروءة، من تحلَّى به كَمُلَت صفاته، وسمت أخلاقُهُ، وتحقَّقت آماله.

والكذب هو الإخبار بغير ما تعتقده، ومن سمات الكذب الإغراق والمبالغة بحيث تجعل السامع يفهم أكثر من الحقيقة، فيسمي الأشياء بأكثر مما هي عليه، ومن الكذب أن يحذف المتكلم بعض الحقيقة، ويذكر البعض الآخر، ومن الكذب النفاق والمَلق أو التملُّق وإخلاف الوعد وخيانة الأمانة.

والصدق في الأقوال يؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال، ويتبع ذلك ضياءٌ يسطع على القلب والفكر فيبصره بما حوله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعمل الصادق هو الذي لا ريبة فيه؛ لأنه وليد اليقين، ولا هوى معه؛ لأنه قرين الإخلاص، ولا عوج معه؛ لأنه نبعَ من الحق، ونجاح الأمم في أداء رسالتها يعود إلى ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة؛ فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة سبقت سبقاً بعيداً، وإلا سقطت على أبواب التهريج والهزل والإدعاء والتخبط.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:٤١). وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب:٢٤).

وقال جلَّ شأنه: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة:١١٩).

وقال تعالى: إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل:١٠٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رسول الله ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ)[1].

ورُوِيَ عنه –عليه الصَّلاةُ والسَّلام –أنَّهُ قال: (عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الصِّدْقُ، وَإِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ بَرَّ، وَإِذَا بَرَّ آمَنَ، وَإِذَا آمَنَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وعَمَلُ أَهْلِ النَّارِ الْكَذِبُ، وَإِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ فَجَرَ، وَإِذَا فَجَرَ كَفَرَ، وَإِذَا كَفَرَ دَخَلَ النَّارَ)[2].

❁ والكذب هو المرحلة الأخيرة لضياع الإيمان وذهاب المروءة، وإدمانه سببٌ في الفجور والفسوق وبالتالي فإنه يورد صاحبه الموارد.

وفي المقابل نجد أن الصدق هو قمة الخير التي يرقى إليها سادة البشر وأولو العزم من الرجال، وإدمان الصدق سبب في كثرة البر ونشر الخير.

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢٥٢/٧٢٤، و ابن ماجه في سننه: ١٢٦٥/٢، برقم: ٣٨٤٩.

(٢) حسن بشواهده، رواه أبو الحسن الخلعي في الخلعيات، حديث رقم: ٦، وفي الفوائد الحسان: ٥/٤، وفي الفوائد المنتقاة: ٣١٥/١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[1] أنه قال: (لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ، وَتُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ كُلُّهُ، فَيُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ)[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ منَ الْكَذِبِ، وَمَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ تَوْبَةً)[3].

وعنه عليه الصَّلاةُ والسَّلام أنَّه قال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ)[1].

---

(١) هو: الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الامين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، وتوفي نحو سنة (٦٥ هـ/ ٦٨٥ م) الأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧).

(٢) رواه مالك في الموطأ: ٢/٩٩٠، برقم: ١٨، وابن وهب في جامعه: ٦٢١ /٥٢١.

(٣) إسناده صحيح، رواه البزار في مسنده: ٢٠٨/١٨، برقم: ٢٠٣، وغيره، وفي رواية: (ما يزال في نفسه).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وروي عن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنه قال: (يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ) (٢).

وقيلَ للنَّبِيِّ ﷺ: (أيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جبَانًا؟، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: أفيَكُونُ كَذَّابًا؟، قَالَ: لَا) (٣).

وعنه ﷺ أنه قال: (كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ) (٤).

وكلما اتسع نطاق الكذب كان الوزر عند الله أعظم؛ فالصحفي الذي ينشر على الألوف خبراً باطلاً، والسياسي الذي يعطي الناس صوراً مقلوبة،

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تلخيص المتشابه في الرسم، حديث رقم: ١٢١٠، عن عبد الله بن عثمان، وله شواهد صحيحة.

(٢) ضعيف ؛رواه أحمد في مسنده: ٥٠٤/٣٦، برقم: ٢٢١٧٠، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢٣٦/٥، برقم: ٢٥٦٠٨، يطبع: أي يوصف ويعرف.

(٣) صحيح، رواه مالك في الموطأ: ٩٩٠/٢، برقم: ١٩، والبيهقي في الشعب: ٤٥٦/٦، برقم: ٤٤٧٢.

(٤) ضعيف، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٩٣/١٤، وأبو داود في سننه: ٢٩٣/٤، برقم: ٤٩٧١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحاكم الذي يكذب على شعبه، وذو الغرض الذي يسوق التهم إلى الكبراء والعلماء، فهؤلاء جرائمهم أعظم وأوخم.

وفي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه [1]، قال، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي؛ فقالا لي :أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) [2].

❁ وأقبح الكذب وأعظمه جرماً؛ الكذب على دين الله بنسبة شئ إلى الله أو رسوله لم يقله، أو تحليل الحرام أو تحريم الحلال؛ فعَنِ المُغِيرَةِ،

(١) هو: الصحابي الجليل سَمُرة بن جندب بن هلال الفزاري، من الشجعان القادة. نشأ في المدينة. ونزل البصرة، فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة. ولما مات زياد أقره معاوية عاما أو نحوه، ثم عزله. وكان شديدا على الحرورية. وله رواية عن النبي صلّى الله عليه وسلم وكتب (رسالة) إلى بنيه، قال ابن سيرين: فيها علم كثير. مات بالكوفة، سنة (٦٠ هـ/ ٦٧٩م). وقيل بالبصرة الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢/١٠٠، برقم: ١٣٨٦، وغيره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)(١).

ويدخل في الكذب والافتراء ما ابتدعه الجهلة وأقحموه في دين الله من المُحدثات التي لا أصل لها؛ وعدَّها العوام ديناً؛ وما هي بدين؛ ولكنها لهوٌ ولعب (٢)!

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢/٨٠، برقم: ١٢٩١، ومسلم: ١/١٠، برقم: ٤.

(٢) يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه "ليس من الإسلام"، (ص ٩١- ٩٤): البدعة قسمان: حقيقية وإضافية:

(فالبدعة الحقيقية)، هي التي لم يدل عليها دليلٌ من كتابٍ أو سُنَّةٍ أو إجماع، أو لم يشهد لها فهمٌ مُعتَبرٌ يصلها بأصول الإسلام.

(والبدعة الإضافيَّة)، هي: أمورٌ تعتريها اعتبارات مختلفة، تجعلها سُنَّةً من وجه، وبدعةً من وجهٍ آخر. فإذا نظرت إليها من وجهٍ، وجدتها تستند إلى قاعدة سليمة، أو نصٍ مُعيَّن، وإذا نظرتَ إليها من ناحيةٍ أخرى رأيتَ عناصر الاختراع واضحاً فيها، وذلك من الأحوال المُحدثة التي تكتنفها، فختمُ الصلاةِ بالتسبيحِ والتحميد والتكبير لم يختلف العلماء في ندبه للأحاديث الصحيحة التي وردت به، وكان الرسول وصحابته يختمون صلاتهم فُرادى مُسرِّين، حتَّى جاء من نظم هذه الأذكار، ورأى أن يقوم أحد المصلين بجمع النَّاس عليها، على نحوٍ يربط أهل المسجد به!

ثم تأدَّى ذلك إلى أن أصبح المنوط به هذا الختم يُنَغِّمُ صوته بالذكر والدعاء، وجمهور المُصلِّين ويُؤَمِّنُ، ثُمَّ ينصرف، فختمُ الصلاة سُنَّة، ولكنّ هذه الهيئة الجديدة لأدائه بدعة. ==

www.alukah.net
شبكة الألوكة

== والطاعنون فيها يرون الوقوف عند الأدلة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والآخذون بها يحسبون ذلك نوعاً من التعاون المشترك على إقامة سُنَّةٍ قد يُهملها النَّاسُ مُنفردين.

وقريبٌ من ذلك –أيضاً –قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجُمُعة؛ فالمعروف عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه أنهم كانوا يسعون لأداء فريضة الجمعة، فإذا بلغوا المسجد دخلوا صامتين، وجلسوا خاشعين، لا يتغيّرُ من سكينتهم ووقارهم شيء، حتَّى يستمعوا إلى الخطبة، ويؤدُّوا الصلاة، ولم يجئ أمرُ البتَّة بجعل قراءة سورة الكهف من الشعائر المرتبطة بصلاة الجمعة، كما يفعل النَّاس اليوم!!

غير أنه وردت (سُنَنٌ ضِعافٌ) تستحبُّ قراءة هذه السُّورة، وسورةٍ أُخرى يوم الجمعة أو ليلتها.. روى الحاكم عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة الكهف يوم لجُمعة، أضاء له من النُّور ما بينه وبين الجُمعة". وذكر رواية أخرى: "ليلة الجمعة".

ولو غضضنا الطرف عما قيل في هذه الأحاديث الضعيفة، وقبلناها في موضوعها، وما كان إنفاذها يعني جمع النَّاس على قارئ لها بهذه الصورة الجاذبة؛ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفاءه الراشدين، وجماهير الأمَّة ظلُّوا قروناً عديدة، يُقيمون الجُمعَة، مُجرَّدة من قراءات سابقة أو لاحقة.

وفعل ما فعله النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، وترك ما تركه (هو السُّنَّةُ) الحريَّةُ بالنظر.

والمسلمون اليوم يجعلون قراءة سورة الكهف قبل الجُمعَة، وظيفةً تربط لها المرتبات، وتُتَخيَّرُ لها الأصوات، وبالتالي تُتَصيَّد لها الفتوى!!.

ومن البدع الإضافية: إلحاق الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآذان، حتَّى إنَّ العامَّة يحسبونها جُزءاً من الأذان نفسه، والأذان كلمات محفوظة، حددتها النُّصوص الواردة.

وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، وجماهير السَّلف مُجرَّداً من أيَّة إضافة.

أما الصَّلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسُنَّةٌ أخرى، لها صيغتها، وموطنها، وأحكامها.

والمسلمون إذا سمعوا الأذان نُدب لهم أن يُرددوا كلماته، وأن يُصلُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يسألوا الله له الوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد جاء من اختراع الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، صيغاً غريبة، وضُمت لألفاظ الآذان؛ كي يجمعها الأداء في نسقٍ واحد. ==

== فكان هذا الاستحداث دخيلاً على أسلوب هذه الشعيرة؛ وانضمَّ إلى ذلك حرص المؤذنين على التطريب والتمايل وهم يدعون النّاس إلى الله؛ فتحولت سُنَّةُ الآذان إلى لحنٍ هزيل، بعدما كانت نداءً جادًّاً مَهيباً.

ومن هذه الأمثلة نُدرك أن البدع الإضافيَّة أعمالٌ أُخذَ أغلبها من تعاليم الشريعة الثابتة أو المتوهمة، ثُمَّ طرأ عليها تصرُّفات وأوضاع خرجت بها عن حدود العقيدة؛ فأصل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سُنَّة، ولكنَّ كيفيته بدعة!

ولا يُقبل الاستدلال بقوله تعالى: (إنَّ الله وملائكته يُصلُّون على النَّبيّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صلُّوا عليهِ وَسلِّموا تسليماً). لتسويغ هذا الابتداع؛ فلن نكون أدرى من النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وصحابته بطريقة الأداء المطلوبة!

وقد اخترع العامَّةُ صلاةً في رجب، وأخرى في شعبان، يؤدونها بنيَّات مخصوصة، وتساهل بعض العلماء في تجويز هذه الصلوات المبتدعة، باعتبار أنَّ الصلاة مُطلقاً ليست أمراً مُنكراً.

وقال النوويُّ مُندِّداً بهم: بدعتان، موضوعتان، منكرتان، قبيحتان، ثُمَّ قال: ولا تغترَّ بذكرهما في كتاب (قوتِ القلوبِ)، و(إحياء العلومِ)؛ فالصَّلاةُ في أصلها مشروعة، وتخصيصها في هذا الوقت بدعة.

كذلك صيامُ السابع والعشرين من رجب، والخامس عشر من شعبان، فأصل الصوم عبادة، وتخصيص هذه الأيام بدعة.

ولعلَّ ما يستدعي العجب في سيرة هؤلاء، إسراعهم في اتِّهامِ من يُعلِّمُهم الدِّين الحقّ! فإذا جرَّد الأذان مما لحقه ليعودَ به إلى عصر السَّلف، وسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم، قالوا فيمن يُحاول ذلك: يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون أنما ننكرها من جهة أنها ابتداع، وهذا الكلام منهم يُراد منه التشهير بالدَّاعي إلى السُّنَّة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [1]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [2].

---

يقول الأستاذ العدوي: وقد أخبرني أحد أصدقائي، أن أحد الشيوخ إذا أراد التنكيل بصاحبه الذي يُعلم النَّاس الدين! دعا العوام، وقال لهم: ما تقولون في الصَّلاةِ على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؟

فيقولون: هي من الدِّين! فيقول: إن فلاناً يُنكرها!!

وماذا تقولون في الاستغفار وقراءة القرآن؟ ==

== فيقولون: الاستغفار عبادة، كذا قراءة القرآن!!

فيقول لهم: إن فلاناً يُنكرهما

فلما سُئل الشيخ: كيف تقول ذلك، وأنت تعلم ما يعني؟!

قال: أريد تنفير العامَّةِ منهُ، حتَّى لا يسمعوا له نصيحةً أخرى!

ومثل هذا المُفتي يجمع إلى ضلالة الابتداع إثمُ رمي النَّاسِ بالبُهتان! انتهى.

(١) هو: الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صلّى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧ هـ ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة (٥٩ هـ/ ٦٧٩م). الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠٨).

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ١/١٨٤، برقم: ٣٥١، وابو يعلى في مسنده: ١١/٢٧٠، برقم: ٦٣٨٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ووصية الإسلام للآباء أن تُغرس فضيلة الصدق في الأبناء؛ حتى يشبوا عليها ويألفوها في أقوالهم وأعمالهم؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ (١)، أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟، قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا :أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ) (٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ: تَعَالَ هَاكَ، ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ) (٣)، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وعدَّها من

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أمير، فاتح. ولد بمكة. وولي البصرة في أيام عثمان (سنة ٢٩ هـ) فوجه جيشا إلى سجستان فافتتحها صلحا، وافتتح الداور، وبلادا من دار ابجرد وهاجم مرو الروذ فافتتحها، وبلغ سرخس فانقادت له، وقتل عثمان، وهو على البصرة. وشهد وقعة الجمل مع عائشة، ولم يحضر وقعة صفين. وولاه معاوية البصرة ثلاث سنين بعد اجتماع الناس على خلافته. ثم صرفه عنها فأقام بالمدينة ومات بمكة سنة (٥٩ هـ/ ٦٧٩م). الأعلام للزركلي (٤/ ٩٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٩٨/٤، برقم: ٤٩٩١، وأحمد في مسنده: ٤٧٠/٢٤، برقم: ١٥٧٠٢.

(٣) إسناده صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٥٢٠/١٥، برقم: ٩٨٣٦، وابن وهب في جامعه: ٥١٤/٦١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التوافه لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً، وهو عند الله عظيم.

❁ والكذب مهما دقَّ وصغر يبقى كذباً؛ فعنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنْ قَالَتْ إِحْدَانَا لِشَيْءٍ تَشْتَهِيهِ لَا أَشْتَهِيهِ يُعَدُّ ذَلِكَ كَذِبًا قَالَ: (إِنَّ الْكَذِبَ يُكْتَبُ كَذِبًا حَتَّى تُكْتَبَ الْكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً)[1].

❁ إن الاسلام الذي أباح الترويح عن القلوب، لم يتساهل في تحريم الكذب؛ حتَّى في المزاح الذي جعله في حدود الصدق المحض؛ فإن في الحلال مندوحة عن الحرام، وفي الحق غناء عن الباطل؛ فعن بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ عن أبيه عن جده، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ)[2].

---

(١) إسناده ضعيف، رواه أحمد في مسنده: ٤٥/٤٦٤، برقم: ٢٧٤٧١، والطبراني في الكبير: ٢٤/١٥٥، برقم: ٤٠٠.

(٢) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤/١٣٥، برقم: ٢٣١٥، وغيره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رسول الله ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا) (١).

❁ ولا شكَّ أن الكذب في المزاح وإدارة الأحاديث المفتراة على ألسنة الناس لإثارة الضحك أمرٌ محرَّم؛ لأنه غالباً ما يفضي إلى العداوات والأحزان، مع ما فيه من الغيبة والنميمة وقس على ذلك؛ حتى أن إيمان العبد لا يكتمل حتى يترك المزاح ولو صدقاً.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحِ، وَالْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا) (٢).

❁ وكما أن الإسلام أمر بطيّ المثالب، فإنه أمر أيضاً بعدم تضخيم المحامد، ومهما كان الممدوح جديراً بالثناء، فإن المبالغة الشديدة في إطرائه ووصفه بما ليس فيه ضربٌ من الكذب المحرَّم.

---

(١) حسن، رواه أبو داود في سننه: ٢٥٣/٤، برقم: ٤٨٠٠، والبيهقي في الشعب: ١٩٣/٧، برقم: ٤٨٦٧، والزعيم: هو الضمين والكفيل.

(٢) إسناده صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٣٧١/١٤، برقم: ٨٧٦٦، والطبارني في الأوسط: ٢٠٨/٥، برقم: ٥١٠٣، والمزاح: الدعابة، والمراء: الجدال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذلك قال رسول الله ﷺ: (لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ)(١).

❁ وقد أمر النبيُّ ﷺ بمطاردة الأذناب الكَذَبة الذين يتخذون من المدائح الفارغة بضاعة يتملقون بها الأكابر، فيكيلون الثناء جزافاً، ويهرفون بما لا يعرفون؛ وربما وصفوا الظالم الجائر بالعدالة، ووصفوا الجبناء الأغبياء بالشجاعة والفطانة، وكل ذلك ابتغاء عرض من الدنيا، وما يدري هؤلاء أنهم باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، ولعلهم يرجعون بوجوهٍ عفرها الخزي والحرمان.

فعن أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ بنُ الأسودِ (٢) يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ) (١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٤/١٦٧، برقم: ٣٤٤٥، وأحمد في مسنده: ١/٣٠١،برقم: ١٦٤، والإطراء: هو الإفراط والمبالغة في المديح، ومجاوزة الحد فيه، قد أطرت النصارى عيسى ابن مريم حتى وصلوا به إلى الألوهية –والعياذ بالله–.

(٢) هو: الصحابي الجليل المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرميّ، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، وشهد بدراً وغيرها، وتوفي سنة (٣٣ هـ/ ٦٥٣م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨٢).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن أَبِي بَكْرَةَ (٢)، قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: (وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ،مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ) (٣).

❁ ويدخل في الكذب التزوير وتلفيق الحقائق؛ فالتاجر الذي يكذب في سبيل انفاق سلعته، والصانع الذي يغشُّ في صنعته، والدولة التي تنهب أموال رعاياها، والمحامي الذي يزور الحقائق في قضايا الأفراد والأمم، كل ذلك من صور الكذب والتزوير، ولا بد أن يتخلل ذلك اللغو والمراء والأثرة والوعود الكاذبة التي تسود حركات التعامل والتبادل بين أولئك النفر.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٢٩٧/٤، برقم: ٣٠٠٢، والترمذي في سننه: ١٧٧/٤، برقم: ٢٣٩٣.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو بكرة، نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، من أهل الطائف، وقيل له "أبو بكرة" لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلّى الله عليه وسلم. وهو ممن اعتزل الفتنة يوم "الجمل" وأيام "صفين"، وتوفي سنة (٥٢ هـ/ ٦٧٢م). الأعلام للزركلي (٨/ ٤٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١٧٦/٣، برقم: ٢٦٦٢، ومسلم: ٢٢٩٦/٤، برقم: ٣٠٠٠ ؛وهذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هلاك هذا الممدوح في دينه وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب.

ولعلَّ الدافع إلى هذا كله هو الجشع والطمع؛ ولذلك بيّن النَّبيُّ ﷺ أسس التعامل بين البائع والمشتري؛ فقال: (فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) (١)، وقال رسول الله ﷺ: (الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ) (٢).

❁ إن التزوير كذبٌ كثيف الظلمات، إنه لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وأثر ذلك واضحٌ على الأفراد في القضايا الخاصة، وعلى الأمم في القضايا المصيرية؛ فلا يجوز لك أن تستغل سذاجة المشتري قليل الخبرة سريع التصديق في تحقيق كسب مضاعف أو تغطية عيب للسلعة، ولا يجوز لك أن تخون الأمانة بشهادة كاذبة أو بحكم جائر لأجل قرابة أو عصبية؛ وقد خوَّف وحذَّر رسول الله ﷺ من ذلك على نحوٍ صارخ يتمثل في جلوسه وكان متكئاً وفي قوله وقد كررها مراراً: (أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ) (٣)، وقبل ذلك جعله من أكبر الكبائر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/٥٨، برقم: ٢٠٧٩، ومسلم: ٣/١١٦٤، برقم: ١٥٣٢.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ١١/٢٧١، برقم: ٤٩٠٦،وأحمد في مسنده: ١٢/٢٤٣، برقم: ٧٢٩٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٨/٤، برقم: ٥٩٧٦، ومسلم: ١/٩١، برقم: ٨٧.

❁ ومن الغباء والهوان أن يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتذر عن خطأ وقع فيه، ويحاول التملص والتخلص منه، وهذا فرار من شرٍّ إلى مثله أو ما هو أشدّ منه، والواجب أن يعترف بغلطه، فلعل في صدقه ما يشفع له خطيئته، ويمسح عنه هفواته، ويغفر زلاته؛ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠ – ٧١).

وقال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصدّقُ وقلّما يفعلُ، أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلّما يفعل.

ورُويَ عن أبي موسى الأشعريّ (١) أنّه قال: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ، وأقصرَ مِن عِنَانَهُ، وألزمَ طريقَ الحقّ مِقْوَلَهُ (١)، ولم يُعوِّد الخَطَلَ (٢) مِفْصَلَهُ".

(١) هو الصحابي الجليل: أبو موسى، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار ابن حرب، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد (باليمن) وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وكان أحسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليٌّ بن أبي طالب: قد يبلُغ الصَّادِقُ بصدقهِ مالا يبلُغُهُ الكاذِبُ باحتيالهِ.

وقال ابنُ المُقفَّع: لا تتهاون بإرسال الكِذْبَة من الهزل، فإنَّها تُسرعُ إلى إبطالِ الحقِّ.

وقال عليُّ بنُ عُبيدة [٣]: الكذبُ شعارُ الخِيانةِ، والصِّدقُ ربيعُ القلب، وزكاةُ [٤] الخِلْقَة، وثمرةُ المروءةِ، وشُعاعُ الضَّميرِ.

وقال أعرابيٌّ[١] لابنه وسمعه يكذب: يا بُنيَّ إن الكذَّاب يتعرَّضُ للعقاب من ربِّهِ، إن قال حقَّاً لم يُصَدَّق، وإن أردا خيراً لم يُوَفَّق، فهو الجاني

---

الصحابة صوتا في التلاوة، خفيف الجسم، قصيراً، وتوفي سنة (٤٤ هـ/ ٦٦٥م). الأعلام للزركلي (٤/ ١١٤).

(١) مقوله، ومفصله أي لسانه.

(٢) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب.

(٣) هو: علي بن عبيدة الريحاني، كاتب، من البلغاء الفصحاء. كان له اختصاص بالمأمون العباسي. وصنف كتبا سلك بها نهج الحكمة، واتهم بالزندقة. وتوفي سنة (٢١٩ هـ/ ٨٣٤م) انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣١٠).

(٤) زكاة: النماء والبركة والخير.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

على نفسهِ بِفعاله، والدَّالُّ على فضيحتِهِ بمقالهِ، فما صحَّ مِن صدقِهِ نُسِبَ إلى غيره، وما صحَّ من كذب غيرهِ نُسبَ إليه.

وقال أحدُ الفلاسفة: إيَّاكَ وحكاية ما يُستبعدُ، فيُجدُ عَدُوُّك سبيلاً إلى تكذيبكَ، فإنَّ من صفات العاقلِ أن يُحدِّث بما لا يُستطاعُ تكذيبهُ.

وقال بعضُ الحُكماء: الخرسُ خيرٌ من الكذب، وصدق اللِّسانِ أوَّلُ السَّعادة. وقال آخر: الكذابُ لص؛ لأنَّ اللِّصَّ يسرقُ مَالَك، والكذَّابُ يسرقُ عقلك.

وقال غيرهُ: مَن عرفَ من نفسِهِ الكذب لم يُصَدِّق الصادقَ فيما يقوله. وقال غيره: نزِّه سَمعَكَ عنِ سماعِ الكذب كما تُنَزِّهُ لِسانَكَ عن التفوَّهَ به.

وقال بعضُ الأدباء: الكذبُ جماعُ الشَّرِّ، وأصلُ كُلِّ ذمٍّ؛ لسوء عواقبه، وخبثِ نتائجه؛ لأنَّه يُنتجُ النَّميمَة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوةِ أمنٌ ولا راحة.

---

(١) الأعرابي: هو من سكن البادية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: الكذوبُ مُتَّهمٌ وإن صدقت لهجته، ووضحت حُجَّتُهُ.

وقال غيره: لا سيفَ كالحقِ، ولا عَونَ كالصِّدقِ.

وقال بعض البُلغاء: الصادقُ مصونٌ جليل، والكاذبُ مُهانٌ ذليل.

وقال آخر: ليكن مرجعكَ إلى الحقِ، ومنزِعُكَ [(١)] إلى الصِّدقِ، فالحقُّ أقوى مُعين، والصدق أفضل قرين.

وقال غيره: إذا اتَّسمَ [(٢)] المرءُ بالكذب نُسبَت إليه شواردُ [(٣)] الكذب المجهولة، وأُضيفت إلى أكاذيبه زيادات مُفتعلة [(٤)]، حتَّى يصيرَ الكاذبُ مكذوباً عليه، فيجمعَ بين معرَّةِ [(٥)] الكذبِ عنه، ومضرَّةَ الكذبِ عليهِ.

وقال بعضُ الفُضلاء: الصِّدقُ مُنجيكَ وإن خِفتَهُ، والكذبُ مُرديكَ [(١)] وإن أمِنْتَهُ.

---

(١) منزعك: مرجعك.

(٢) اتسم: اتَّصف.

(٣) شوارد: متفرقات.

(٤) مفتعلة: مختلقة.

(٥) معرة: اثم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعضُ العلماء: من صدق في مقاله، زاد في جماله.

وقال آخر: تحرَّوُا [٢] الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة، فإنَّ فيه النَّجاة، وتجنَّبوا الكذب، وإن رأيتم فيه النجاة، فإنَّ فيه الهلكة.

وقال الشَّاعر:

عوِّد لسانَك قولَ الصِّدقِ تَحظَ بِهِ... إن اللسان لما عوَّدتَ مُعتادُ
موكَّلٌ يتقاضى ما سننتَ لـهُ ... في الخيرِ والشَّرِّ فانظر كيف ترتادُ [٣]

وقال آخر:

عليك بالصِّدقِ ولو أنَّهُ ... أحرقك الصِّدقُ بنارِ الوعيدِ
وابغَ رِضَا المَولى فأغبى الورى ... مَن أسخَطَ المولى وأرضى العَبيد

وقال غيرهُ:

عليك بالصِّدقِ في كُلِّ الأمورِ ولا ... تكذب فأقبحُ ما يُزري [١] بك الكذبُ.

---

(١) مرديك: مهلكك.

(٢) تحرُّوا: توخَّوا.

(٣) ترتاد: تطلب.

www.alukah.net

وقال غيره:

ما أحسنَ الصِّدق في الدُّنيا لقائلهِ ... وأقبحُ الكذبَ عند اللهِ والنَّاس

وقال غيره:

ومـــا شيءٌ إذا فكَّرتَ فيهِ ... بأذهبَ للمــروءةِ والجمالِ

من الكذبِ الَّذي لا خيرَ فيهِ ...وأبعدُ بالبهاءِ من الرِّجالِ [٢]

❁ ❁ ❁

(١) ينقص من قدرك.

(٢) البهاء: الحُسن.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ❁ الحياء

وهو الكفُّ عن كُلِّ ما يستقبحهُ العقلُ، ويمُجُّه الذّوق، واستنكارُ كُلِّ ما لا يرضى به الخالق والمخلوق، وهو خُلُقٌ شريفٌ يمنعُ المرءَ عن فعل المحرمات والمنكرات، ويصونه عن الوقوع في الأوزار والآثام، فمن فَقَدَ الحياء فقد ذهبت آدابُه أدراج الرِّياح، وأضحى منبوذاً محروماً من كُلِّ خير وفضل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (فاطر:١٨).

وقال رسول الله ﷺ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ)(١).

❁ وقد وصَّى الإسلام أبناءه بالحياء، وجعله والإيمان قرناء، فصاحب الحياء يترفع عن الخطايا، ويشعر بالغضاضة عند سفاسف الأمور؛

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٤٥/١٣١٤، وابن حبان في صحيحه: ١٠/١٣، برقم: ٥٧٠٤، والبذاء: الفُحش، والجفاء: ضدُّ البرّ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنه حيُّ الضمير، نقيُّ المعدن، زكيُّ العنصر، يتدرج من حال إلى حال، ومن منزلة إلى منزلة حتى يكتمل إيمانه، وعن ابن عمر [(١)] أنَّ رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ) [(٢)].

وقال عليه السَّلام: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) [(٣)]، وقال: (الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ) [(٤)].

❁ أمَّا الذي فقد حياءه، فيتدرج من سيئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر في الدرك الأسفل من الإنسانية، فالرجل إذا مزَّق حجاب الحياء عن وجهه، ولم يتهيَّب أحداً على عمله، ولم

---

(١) هو: الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئا جهيرا. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، وتوفي سنة (٧٣ هـ/ ٦٩٢م). انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٠٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٣١٣/٤٤٥، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٢١٣/٥، برقم: ٢٥٣٥٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١١/١، برقم: ٩، ومسلم: ٦٣/١، برقم: برقم: ٣٥، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ٢٩/٨، برقم: ٦١١٧، ومسلم: ٦٤/١، برقم: ٣٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

يخشَ في سلوكه ملامة الناس له، أو مدُّ يدِ الناس عليه، وطغى وبغى وافترى دون وازع أو رادع، فإن مثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلباً يعطف عليه، بل إنه يغرس الضغائن في القلوب وينميها، وروي عنه ﷺ أنَّه قال : (إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)[١].

❀ وإذا فقد الشخص حياءه، وفقد أمانته أصبح وحشاً كاسراً، ينطلق معربداً وراء شهواته، ويدوس في سبيلها أزكى العواطف وأرفع القيم، فيغتال أموال الفراء بلا رحمة، وينظر إلى آلام المكلومين ولا تهتز فيه شعرة، وهذه قمَّة الرذيلة، ويكون صاحبه قد أفلت من قيود الدين، وانخلع من ربقة الإسلام.

❀ وللحياء مواضعُ يُستحب فيها؛ منها:

الحياء في "الكلام"، ويتطلب من المسلم أن يطهِّر لسانه من البذاءةِ والفحش، وأن ينزِّه لسانه عن الخوض في الأعراض، وانتهاك الحرمات؛ فعَنْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢٩/٨، برقم: ٦١٢٠، وأبو داود في سننه: ٢٥٢/٤، برقم: ٤٧٩٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ)[1].

ومن الحياء في الكلام أن يقتصد المسلم في حديثه، فلا يكثر الثرثرة، ولا يبقى صامتاً طوال الوقت، وقد ذمَّ الإسلام المتشدق في الكلام، والذي يتوسع في الكلام من غير احتراز ولا احتياط، فيجمع الكلام بلسانه كما تجمع البقرة طعامها بلسانها، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عمروٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا)[2].

ومن الحياء "حرص الإنسان على بقاء سمعته نقية"، بعيداً عن الاشاعات السيئة، حتى أولئك الذين يقترفون المعاصي، أُمروا أن يستروا

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٣١٤/٤٥٥،وابن حبان في صحيحه: ٣٤٧/٢، برقم: ٦٠٩.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣٠١/٤، برقم: ٥٠٠٥، والترمذي: ٤٣٨/٤، برقم: ٢٨٥٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

على أنفسهم، قال الشافعيُّ [١]: "أُحِبُّ لِمَنْ أَصَابَ ذَنْبًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتُرَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتُوبَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ" [٢].

فالحياء ملاك الخير وعنصر النبل والشرف في كل عمل يقترن به، وعَنْ أَنَسٍ [٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ، وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ) [٤].

ومن الحياء "أن يتأدَّب الإنسان مع شيوخه ومعلميه"، وأن ينزل الناس منازلهم، وأن يعرف لأصحاب الفضل فضلهم، فلا يسوغ له أن يرفع

---

(١) هو: الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، توفي سنة (٢٠٤ هـ/ ٨٢٠م). انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦).

(٢) رواه الترمذي في سننه: ٣/٩٨، وغيره.

(٣) هو: الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلم وخادمه. مولده بالمدينة وأسلم صغيرا وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة، توفي سنة (٩٢ هـ/ ٧١٢م). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤).

(٤) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٣/٤١٧، برقم: ١٩٧٤، وابن ماجه في سننه: ٢/١٤٠٠، برقم: ٤١٨٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صوته فوق صوتهم، ولا أن يجعل رأيه مقدماً على رأيهم؛ ولذلك قال عليٌّ بن أبي طالب: "تَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ" (١).

وروى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ لَا يُدْرِكْنِي زَمَانٌ، أَوْ لَا تُدْرِكُوا زَمَانًا لَا يُتْبَعُ فِيهِ الْعَلِيمُ، وَلَا يُسْتَحَى فِيهِ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الْأَعَاجِمِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ) (٢).

❁ وليس الحياء جبناً أو ضعفاً؛ لأن الرجل الحَيِيَّ قد يُفضِّلُ أن يُراق دمه على أن يُراق ماء وجهه، وهذه هي الشجاعة في أعلى صورها، فالحياء لا يكون إلا في الحدود المشروعة.

والحازم في مواطن تقريع الباطل وكشف عواره، لا يعدُّ خارجاً عن الحياء، بل هي قمَّة الشرف والرفعة والفضيلة؛ وقد عاب المشركون على الإسلام أنه حقَّر الأصنام، وفضح عجزها عن خلق ذبابة، بل عن حماية نفسها لو هاجمتها ذبابة، وأبرزها في هذه الصورة من العجز والمهانة، وقالوا:

(١) رواه يحيى بن الحسين الجرجاني في أماليه: ١/٩١، برقم: ٣٤٢.

(٢) اسناده ضعيف،رواه أحمد في مسنده: ٣٧/٥١٨، برقم: ٢٢٨٧٩، والروياني في مسنده: ٢/٢٣٤، برقم: ١١١٦، وفيه ابن لهيعة، لين الحديث.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

إن المهاجمة بهذا الأسلوب ليس من الحياء في شئ ...فنزل قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٦).

❁ وأسمى درجات الحياء وأكرمها أن يكون الحياء من الله عز وجل، فنحن نطعم من خيره، ونتنفس من جوِّه، وندرج على أرضه، ونستظلُّ بسمائه، وإذا قدَّم لك مخلوق ضعيف نعمة صغيرة، فإنك تستحي أن تقابله بالإساءة، فكيف لا يوجل الناس من الإساءة إلى ربّهم، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد، وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل؟

ولو عرف الإنسان قدر ربه ما عصاه طرفة عين، ولسارع إلى الخير ما دام فيه عرق ينبض، وروح تسري، وكل ذلك خجلاً أن يقابل إحسان الله إليه بخسة الفعل منه؛ وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه –أن النَّبيَّ ﷺ قال : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ، مَنِ اسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)[١].

❁ فعلى المسلم تنزيه لسانه أن يخوض في باطل، وبصره أن يرمُق عورة، أو ينظر شهوة، وأذنه أن تسترق سراً، أو تستكشف خبئاً، وبطنه أن يغتذي محرماً، ويقنعه بالطيب الميسور، ثم عليه أن يصرف وقته في مرضاة الله، وإيثار ما عنده من الثواب، وفلا تستخفنَّه نزوات العيش، ومتعه الخادعة، ومن فعل ذلك كله فقد استحيا من الله حق الحياء.

وقال كعب[٢]: استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من النَّاسِ في علانيتكم.

---

(١) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤/٦٣٧، برقم: ٢٤٥٨، وأحمد في مسنده: ٦/١٨٧، برقم: ٣٦٧١، البلى: الفناء.

(٢) هو: أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها، سنة (٣٢ هـ/ ٦٥٢م). الأعلام للزركلي (٥/ ٢٢٨)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال حُذيفة بن اليمان [1]: لا خير فيمن لا يستحي من النَّاس.

وقال بعض الحكماء: من كساه الحياءُ ثوبه لم يَرَ النَّاسُ عيبه.

وقال آخر: الحياءُ في الصِّبى خيرٌ مِنَ الخوف؛ لأنَّ الحياء يدلُّ على العقل، والخوف يدلُّ على الجُبن.

وقال أحد الأدباء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك.

وقال آخر: من عمل في السِّرِّ عملاً يستحيي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده قدر.

وقال بعض البُلغاء: حياةُ الوجهِ بحيائه، كما أنَّ حياة الغَرسِ بمائه.

وقال آخر: أَأَحْيي حياءك بمجالسة من يستَحي منه.

---

(١) هو: الصحابي الجليل أبو عبد الله، حذيفة بن حِسل بن جابر العبسيّ، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سر النبي صلّى الله عليه وسلم في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، وتوفي سنة (٣٦ هـ/ ٦٥٦م). الأعلام للزركلي (٢/ ١٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره: اجعل الحياءَ حَكماً على أفعالك.

وقال أحد الفُصحاء: سِمَةُ [١] الخيرِ الدِّعة [٢] والحياء، وسِمَةُ الشَّرِّ القِحَةُ [٣] والبذاء، وكفى بالحياءِ خيراً أن يكونَ على الخبرِ دليلاً، وكفى بالقِحَة والبذاءِ شرّاً أن يكونا إلى الشَّرِّ سبيلاً.

وقال آخر: القناعةُ دليلُ الأمانة، والأمانة دليل الشُّكرِ، والشُّكر دليل الزِّيادة، والزيادة دليلُ بقاءِ النِّعمة، والحياءُ دليل الخير كله.

وقال أحدُ العقلاء: عليك بالحياء والأَنَفَة [٤]، فإنَّك إن استحيت من الفَضاحةِ [٥] اجتنبت الخساسة [٦]، وإن أَنِفتَ من الغَلَبة لم يتقدَّمك أحدٌ في مرتبة.

---

(١) سمة: علامة.

(٢) الدعة: السكينة.

(٣) القحة: قلة الحياء.

(٤) الأنفة: الاستنكاف.

(٥) الفضاحة: كشف المساوي.

(٦) الخساسة: الدناءة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: لا وفاء لمن ليس له حياء.

وقال الشاعر:

إذا ما قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه
حياءك فاحفظه عليك وإنَّما ... يدلُّ على فعل الكريمِ حيــاؤه

وقال آخر:

إذا لم تخش عاقبةَ الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بقيَ اللِحاءُ (١)

وقال غيره:

وحاجةٍ دون أخرى قد سَنَحْتُ (٢) بها ... جعلتها للتي أخفيتُ عُنوانا
وإنَّني لأرى من لا حــيـــاء له ... ولا أمـــانة وَسْطَ القــومِ عُريانا

وقال غيره:

---

(١) اللحاء: قشر الشجر.

(٢) أعرضت عنها ولم أصرِّح بها.

وَرُبَّ قبيحةٍ ما حـــال بيني ... وبين ركـــوبها إلا الحياءُ

فكان هو الدواءُ لها ولكن ... إذا ذهب الحياءُ فلا دواءَ

وقال غيره:

إذا لم تَصُن عرضاً ولم تخشَ خالقاً ... وتستحي مخلوقاً فما شئتَ فاصنَعِ

❁ ❁ ❁

## ۞ الوَفاء

هو ثبات الإنسان على قوله وفعله، فإذا أبرم أمراً فيجب عليه أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً فيجب عليه أن يلتزمه، ومن الرجولة أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، فيصرف همته في إمضائها ما دامت فيه عين تطرف؛ لأن منطق الرجولة لا يترك مجالاً للتردد والانثناء، والوفاء حقٌّ واجب مع جميع الناس مهما كانت دياناتهم؛ لأن الفضيلة لا تتجزأ.

فلا يصحُّ أن يكون المرء خسيساً مع قوم، كريماً مع قومٍ آخرين، قال الله تعالى مخاطباً قوماً هذا شأنهم: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل:٩١).

وقال جلَّ شأنه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الاسراء:٣٤)، وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:١).

وقال رسول الله ﷺ: (المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ) [(١)]، وعنه أنه قال: (مَنْ أَمِنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ، فَقَتَلَهُ، فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [(٢)].

وعنه قال: (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ) [(٣)].

❁ وقد يكون ثمن الوفاء فادحاً، فقد يكلف المرء نفسه أو أهله أو ماله، أوالأحبة، بيد أن هذه هي تكاليف المجد المنشود في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك أن الأنصار بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة على أن يجندوا

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٥٧/٢، برقم: ٢٣١٠، والبيهقي في الشعب: ١٨٨/٦، برقم: ٤٠٣٩.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٨٩٦/٢، برقم: ٢٦٨٨، وابن حبان في صحيحه: ٣٢٠/١٣، برقم: ٥٩٨٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١١٥/٣، برقم: ٢٣٨٧، واحمد في مسنده: ٢٣٨/١٥، برقم: ٩٤٠٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنفسهم وأموالهم لحماية دعوته وحراسة رسالته، حتى يبلغها إلى من ورائهم من العرب، وهو من ألمع المواثيق في تاريخ هذه الأمَّة، وأدلُّها على التجرد لله عز وجل والفناء في الحق؛ وتم ذلك في ليلة مشرقة من ليالي الحج، ثم عاد الأنصار إلى ديارهم يعالجون أمور حياتهم، غير أن هذا العهد له تبعات تجلَّت فيما بعد في المعارك الكبرى والحاسمة، فقبلوها عن طواعية وسماحة ومحبَّة؛ فقدموا دمائهم سهلة في معركة (بدر)[1].

وكان رسول الله يعتمد على هذا الميثاق في أحلك المواقف؛ فلما انكشف المسلمون في الجولة الأول من معركة (حنين)[2] أهمل رسول الله ﷺ الجموع الكثيرة التي دخلت بعدُ في الإسلام، وصاح بالأوفياء أصحاب العقبة لينقذوا الموقف؛ فعن أنس بن مالك، قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، أَقْبَلَتْ هَوَازِنُ وَغَطَفَانُ وَغَيْرُهُمْ بِنَعَمِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَمَعَ النَّبِيِّ عَشَرَةُ آلَافٍ، وَمعَه الطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا عَنْهُ حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ...!

(١) معركة بدر الكبرى كانت في ١٧ رمضان من السنة الثانية من الهجرة.

(٢) معركة حُنين وقعت في شوال من السنة الثامنة من الهجرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَنَادَى يَوْمَئِذٍ نِدَاءَيْنِ لَمْ يَخْلِطْ بَيْنَهُمَا، التَفَتَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ، ثُمَّ التَفَتَ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ نَحْنُ مَعَكَ... فَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً، فَقَسَمَ فِي المُهَاجِرِينَ وَالطُّلَقَاءِ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا.

فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: إِذَا كَانَتْ شَدِيدَةٌ فَنَحْنُ نُدْعَى، وَيُعْطَى الغَنِيمَةَ غَيْرُنَا، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ فَسَكَتُوا، فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ ؟، قَالُوا: بَلَى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ)[1].

❁ والحق أن الرسالة الكبرى تحتاج إلى رجالٍ على غرار الأنصار، يفتدون كلمتهم بأرواحهم وأموالهم، ويسقونها من دمائهم، فلا يشغلهم عنها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٥/١٦٠، برقم: ٤٣٣٧، ومسلم: ٢/٧٣٥، برقم: ١٠٥٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أطماع تافهة، ولا أغراض زائلة، كما أن النَّبيَّ ﷺ قدَّر إيمانهم وإخلاصهم، فعندما تألف الأعراب بالمال الذي يشتهون، أوكل الأنصار إلى اليقين الراسخ في قلوبهم، وقال في هذا المعنى: (إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ)[1].

❁ ومن صور الوفاء، صورتين عزيزتين:

"الصورة الأولى": لمَّا غَابَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ[2] عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ،قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ!!! وهذا وعد قطعه على نفسه، وقد يكلفه ذلك حياته، ولما حان موعد الوفاء، كان الثمن غالياً جداً، فلمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ [3]، انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ وانهزموا، فقَالَ أنس بن النَّضر: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١/ ١٤، برقم: ٢٧، ومسلم: ١/ ١٢٣، برقم: ١٥٠.

(٢) هو الصحابي الجليل: أَنس بن النَّضِر بن ضمضم بن زيد بن حرام، عَمُّ أنس بن مالك، المقتول يوم أحد شهيداً ووجد فيه بضع وثمانون من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم، وقتل في أحد سنة (٣ هـ). انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٤٨).

(٣) معركة أحد كانت في شوال من السنة الثالثة للهجرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ من مخالفة أمر رسول الله ﷺ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ –يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ من قتالهم لرسول الله –ثُمَّ تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةَ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ مَا صَنَعَ يَا رَسُولَ اللَّهِ..!

قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ووَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، وقَالَ أَنَسٌ: (كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾)[١].

"الصورة الثانية": سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ[٢]، الذي صَالَ وَجَالَ فِي أُحُد، أرسل إليه النَّبيُّ ﷺ زيد بن ثابت يبحث عنه في القتلى، قال:فَجَعَلْتُ أَطُوفُ بَيْنَ الْقَتْلَى فَأَصَبْتُهُ وَهُوَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَبِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً مَا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ وَضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْكَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٩/٤، برقم: ٢٨٠٥، ومسلم: ١٥١٢/٣،برقم: ١٩٠٣.

(٢) هو: الصحابي الجليل سعد بن الربيع بن عمرو، من بني الحارث بن الخزرج، من كبارهم، كان أحد النقباء يوم العقبة وشهد موقعة بدر، واستشهد يوم أحد. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٨٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: (أَخَبِّرْنِي كَيْفَ تَجِدُكَ؟، قَالَ: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ قُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجِدُنِي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَقُلْ لِقَوْمِي الْأَنْصَارِ: لَا عُذْرَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَخْلُصَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيكُمْ شُفْرٌ يَطْرِفُ، قَالَ: وَفَاضَتْ نَفْسُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ) (١).

❁ والوفاء يحتاج إلى عنصرين أساسيين هما: "مذكرٌ دائم" يغالب أمواج النسيان؛ لأن ناسي العهد كيف له أن يفي به ؟، ولذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير، قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٢)، والعنصر الثاني "الإرادة القوية والعزم على إنفاذ هذا العهد"، عزمٌ يذلل الأهواء الجامحة، ويهوِّن الصعاب العارضة، ويمضي في سبيل الوفاء مهما تجشم من المشاق، وغرم من التضحيات.

❁ وقد استنكر القرآن على بعض الأفهام أن تطلب العلا بالراحة، وأن ترقب الخير الكثير بالعمل اليسير، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا

---

(١) صحيح، رواه الحكام في المستدرك: ٢٢١/٣، برقم: ٤٩٠٦، والبيهقي في الدلائل: ٢٤٨/٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

وكما قال الشاعر:

لولا المشقَّةُ سادَ الناس كُلُّهم     الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتَّالُ

❁ والعهود التي يرتبط المسلم بها درجات فأعلاها قداسة وأعظمها ذماماً، العهد بين العبد وربه؛ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس: ٦٠، ٦١)، وهو الميثاق الأول الذي أخذه الله على الناس كافة يوم خلق آدم؛ فإذا كان هناك من البشر من لم يستمع المرسلين، فإن له من فطرته سائقاً يحدو به إلى ربه، مهما حفلت دنيانا بأصناف الفساد وضروب التخريف...

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا



شبكة الألوكة - قسم الكتب

بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف:١٧٢، ١٧٤).

ووفاء الإنسان بهذا العهد يجعله سعيداً في الدنيا، كريماً في الآخرة، ومن سوء الظن بالله أن توفي له ثم تتوقع الشر منه؛ ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة:٤٠).

ومن الوفاء بالعهد أن تذكر نعمة الله عليك بعد افتقارك إليها؛ كالمعسر الذي أغناه الله، والمريض الذي شفاه الله، فليس له أن يفصل بين أمسه ويومه بسور غليظ كله فظاظة وجحود، فهذا نوعٌ من الغدر الذي ينتهي بصاحبه إلى النفاق وربما أصبح مطروداً من رحمة الله.

وهذا (ثعلبة)[1] يعاهد الله في مجلس الأنصار: ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (التوبة:٧٥)، فمات ابن عمٍّ له، فورث منه مالاً كثيراً، فلم يفِ بشيءٍ من ذلك، فكانت عاقبته النفاق: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ

---

(١) هو: الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب: أو ابن أبي حاطب الأنصاري. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥١٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٦، ٧٧).

قال الأحنف: لا صديق لملولٍ ولا وفاء لكذوبٍ ولا راحة لحسودٍ ولا مروءة لبخيلٍ ولا سؤدد لسيئ الخلق

قال الشاعر

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب ... فالناس بين مختال وموارب
يغشـون بينهم المـودة والصفا ... وقلوبهم محشـوَّةٌ بعقارب

وقال آخر:

عش ألف عام للـوفاء وقلما ... ساد امرؤ إلا بحـفظ وفـائه
لصلاح فاسده وشعب صدوعه ... وبيان مشكله وكشف غطائه

وقال آخر:

إن الوفاء على الكريم فريضة ... واللؤم مقرون بذي الإخلاف
وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً ... وترى اللئيم مجانب الإنصاف



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الرِّياشيّ [1]:

إذا ذَهَب التكرُّم والوَفاء ... وباد رِجالُه وبَقِي الغُثَاءُ

وأَسْلَمني الزَّمانُ إلى رِجالٍ ... كأمْثال الذِّئاب لها عُواء

صَديق كلَّما استَغْنيت عنهم ... وأَعْداء إذا جَهَدَ البَلاء

إذا ما جئتهم يَتدافَعوني ... كأنِّي أجــربٌ آذاه داء

أقولُ ولا ألاَمَ على مَقال على ... الإخــوان كُلِّهم العَفاء

وقال آخر:

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد

فلا تعد عِدَةً إلا وفيت بها ... واحذر خلاف مقال للذي تعد

(١) هو: أبو الفضل العباس بن الفرج بن علي الرياشي البصري، من الموالي، لغويّ راوية، عارف بأيام العرب. من أهل البصرة. قتل فيها أيام فتنة صاحب الزنج، توفي سنة (٢٥٧ هـ/ ٨٧١م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## التواضع

هو تجمُّلُ النَّفسِ بالخضوع، ومنعها عن الترفع على النَّاس، والاستخفاف بهم، وحملها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم، وتباينت مشاربهم، وعدم الكبر على أحدٍ سواء في ذلك الوضيع والرفيع، والصغير والكبير، ليحافظ على منزلته في النفوس، ويأخذ مكانته في القلوب، وهي خصلة محمودة تدعو إلى التوادد والتعاون، وتدلُّ على طهارة النفس، وسلامة الذوق، فكم رفع التواضع أقواماً فكانوا هم الأُلى فازوا برضا ربّهم والفضل العظيم.

وكم خفض الكبر آخرين، فحلَّ عليهم غضبُ الرَّحمنِ وباءوا بالخسران المبين. قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥). وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا (٢) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ(١) فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

---

(١) لا تصعر: لا تُمِل خدَّك تكُّبراً.

(٢) مرحاً: فرحاً وبطراً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عزَّ وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا[٢] وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

وقال جلَّ شأنه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، وَلَا يَبْغِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ)[٣].

وروي عن قيس بن أبي حازم[٤] أنَّ رجلاً أتى به إلى النَّبيِّ ﷺ فأصابته رِعْدَة، فقال له: (هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)[١].

---

(١) مختال: معجب بنفسه متكبِّر.

(٢) هوناً: بسكينةٍ ووقار.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٢٦/١٥٣، وابن ماجه في سننه: ١٤٠٩/٢،برقم: ٤٢١٤.

(٤) هو: قيس بن عبد عوف بن الحارث الأحمسي البجلي: تابعي جليل. أدرك الجاهلية، ورحل إلى النبي صلّى الله عليه وآله ليبايعه، فقبض، وهو في الطريق. وسكن قيس الكوفة. وروى عن الأصحاب العشرة، وتوفي سنة (٨٤ هـ/ ٧٠٣ م). انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: (مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (٢).

وقال عليه الصلاة والسَّلام: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) (٣).

وقال سعد بن أبي وقَّاص (٤) لابنه: يا بُنيَّ إياكَ والكبر، وليكن ما تستعينُ به على ما تركه علمك بالذي منه كنت والذي إليه تصير.

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٢/١١٠١، برقم: ٣٣١٢، وغيره. ورِعْدَة؛ أي اضطراب وخوف، هوِّن: أي خفِّف، القديد: اللحم المُقدَّد المُجفَّف.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٨/٤٠، برقم: ٣٢٤٨، وابن خزيمة: ٤/٩٧، برقم: ٢٤٣٨.

(٣) إسناده صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٦/٣٣٨، برقم: ٣٧٨٩، والحاكم في المستدرك: ١/٧٨، برقم: ٦٩.

(٤) هو: الصحابي الجليل أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك القرشي الزهري، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال. له فارس الإسلام. أسلم وهو ابن ١٧ سنة، وتوفي سنة (٥٥ هـ/ ٦٧٥م) الأعلام للزركلي (٣/ ٨٧).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال سفيان [1]: السفلة إذا تعلَّموا تكبَّروا، وإذا تموَّلوا [2] استطالوا [3]، والكرامُ إذا تعلموا تواضعوا، وإذا افتقروا استطالوا.

وقال ابن السَّمّاك [4]: تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك.

وقال بعض الحكماء: من أظهر عيب نفسه فقد زكَّاها، فإذا قطع أسباب الكبر، وحَسَمَ [5] مواد العُجبِ اعتاض بالكبرياء تواضعاً، وبالعُجبِ تودُّداً، وذلك من أوكدِ أسباب الكرامة، وأقوى مواد النِّعم، وأبلغ الشفعاء إلى القلوب يعطفها إلى المحبَّة، ويثنيها [6] عن البُغضِ.

---

(١) هو: الإمام الثقة أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وتوفي سنة (١٦١ هـ/ ٧٧٨م) الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٤).

(٢) تمولوا: صاروا أصحاب أموال.

(٣) استطالوا: تكبروا.

(٤) هو: أبو عمرو عثمان بن أحمد بن عبيد الله بن يزيد الدقاق، ابن السماك: مسند بغداد. وبها وفاته. كان ثقة ثبتا، كتب المصنفات الكتاب بخطه. ومات بها سنة (٣٤٤ هـ/ ٩٥٥م). الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٢).

(٥) حسم: قطع.

(٦) يثنيها: يصرفها ويكفُّها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: من نال منزلة فأبطرته [1]، دلَّ على رداءةِ أصلهِ وعُنصرهِ.

وقال غيره: من تكبَّرَ على النَّاسِ ذلَّ.

وقال غيره: عُجبُ المرءِ بنفسه أحدُ حُسَّادِ عقله، وليس إلى ما سيكسبُهُ الكبرُ مِن المقتِ حدٌّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العجبُ غاية، حتَّى إنَّه ليُطفئُ من المحاسن ما انتشر، ويَسلُب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئةٍ تُحبطُ كُلَّ حسنة، وبمذمَّةٍ تهدمُ كُلَّ فضيلة، مع ما يُثيرهُ من حَنَق، ويُكسِبُهُ من حقد.

وقال غيره: من برئ من ثلاث نال ثلاث، من برئ من السَّرف نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة.

وقال أحد الأدباء: من وُلدَ في الفقر بَطَرَه الغنى، ومن ولد في الغنى لم يزدهُ إلا تواضعاً.

وقال أحد العلماء: أجهل النَّاسِ من قلَّ صوابه، وكثر إعاجبه، وأبغض النَّاسِ ذو عُسرٍ يخطِر في رداء الكبر.

---

(١) أبطرته: زادته كبراً واحتقاراً لغيره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبُّر من أخلاق اللئام. وقيل: تاج المرء التواضع.

وقال الشاعر:

وأقبحُ شئ أن يرى المرءُ نفسه ... رفيعاً وعند العـالمين وضيعُ

تواضع تكن كالنَّجمِ لاحَ لناظرٍ ...على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ (١)

ولا تكُ كالدُّخانِ يعلو بنفسهِ ... على طبقات الجوِّ وهو وضيعُ

وقال آخر:

اتَّضِع للنَّاسِ إن رُمت العُلا ... واكظم الغيظ ولا تُبدِ الضَّجر.

وقال غيره:

إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعةً ... فلِن وتواضع واترك الكبر والعُجبَا

وقال غيره:

يا مُظهرَ الكبرِ إعجاباً بصورته ... انظر خَلاكَ فإنَّ النتن تثريبُ (٢)

---

(١) رفيعُ: لامع عالٍ.

(٢) تثريبُ: قبيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو فكَّرَ النَّاسُ فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شُبَّانٌ ولا شيبُ
هل في ابن آدمَ مثلُ الرَّأسِ مكرُمَةً ... وهو بخمسٍ من الأقذارِ مضروبُ [١]
أنفٌ يسيلُ وأذنٌ ريحُها سَهكٌ ... والعينُ مرِفضةٌ والثغرُ ملعوبُ [٢]
يا ابن التراب ومأكولِ الترابِ غداً ...أقصِر فإنَّكَ مأكولٌ ومشروبُ [٣]

وقال غيره:

ملأى السنابل تنحني بتواضعٍ ...والفارغات رؤوسهنَّ شوامخُ

(١) مضروب: موصوف.

(٢) سهك: كريهة. مرفضة: ذات غمص. ملعوب: الفم يفرز اللعاب.

(٣) كُفَّ عن الكبرياء.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الصبر

هو تحمُّل النفس مكارهَ الحياة، وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته، وهو الدواء الشَّافي لمن ملك الحُزنُ على نفسه، والبلسم المُعافي لمن قبض الجزعُ على زمام عواطفه، بل هو عينُ الرَّاحة وينبوع الفرح، ومُبيدِ الهموم، ومُزيل الغموم، ولا سبيل إلى تشتيت ما علق بالمرء من الأحزان إلا التمسُّك به، والتعلُّق بأهدابه، فهو ركنٌ حصينٌ في محاربتها، وعمادٌ قويم على دفعها، وناهيك بِعِظَمِ ثوابِ الصَّابرين، وسوء عاقبة الجازعين.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:١٥٥، ١٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦).

وقال جلّ شأنه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)، وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف:٣٥).

وقال رسول الله ﷺ: (أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: الصَّبْرُ ، وَالسَّمَاحَةُ) [١].

وعنه ﷺ أنَّه قال: (وَأعلمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) [٢].

وقال عليه السَّلام: (مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ بِمَالِهِ، أَوْ فِي نَفْسِهِ، وَكَتَمَهَا، وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ) [١].

---

(١) صحيح، رواه احمد في مسنده: ١٧٧/٣٢، برقم: ١٩٤٣٥، والبيهقي في الشعب: ٢٨٦/١٣، برقم: ١٠٣٤٤. والسماحة: أي الجود.

(٢) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ١٨/٥، برقم: ٢٨٠٣، والبيهقي في الشعب: ٣٥٣/١٢، برقم: ٩٥٢٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال: (مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ، وابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [٢].

❁ ويجب على المسلم أن يوطن نفسه على احتمال المكاره مهما بلغت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، فيظل موفور الثقة، بادي الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل يوقن بأن الصفو آتٍ لا محالة، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين.

❁ والابتلاء هو سُنَّة الله في خلقه، وقد أكَّد القرآن على أنه لا محيص عنه، حتى يأخذ الناس أهبتهم للنوازل، فلا تذهلهم المفآجات، ولا تذهب بأحلامهم النوائب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١).

---

(١) حسن، رواه الطبراني في الأوسط: ٢٢٤/١، برقم: ٧٣٧، وفي الكبير: ١٨٤/١١، برقم: ١١٤٣٨.

(٢) كُفَّ عن الكبرياء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ ولا شك أن لقاء الأحداث ببصيرة مستنيرة، واستعداد كامل أجدى للإنسان وأنفع له في إحكام شئونه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

❁ والصبر يعتمد على حقيقتين خطيرتين:

أمَّا "الأولى" فهي طبيعة الحياة الدنيا، فهي ليست دار جزاء وقرار، بل هي دار تمحيص وامتحان، فالفترة التي يقضيها المرء في حياته هي حلقات متصلة من الامتحانات، فلا يكاد يخرج من امتحان حتى يلج في آخر، وقد يغاير الأول مغايرة تامة، أي أن الإنسان قد يمتحن بالشئ وضدِّه.

وامتحان الحياة ليس كلاماً يكتب أو أقولاً تنثر، بل هو الآلام التي تدبُّ في النفس، وتفتح طريقاً للرعب والحرج، وهي المظالم التي تجعل قوماً يستغيثون بالله والرحمّ، وآخرون يستشهدون وهم يدافعون عن حقوقهم المنهوبة، وهي النقائض التي تتخم بطون الكلاب، وتنيم المستضعفين على الطوى.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد يكتب على البعض صنوفاً من الابتلاء ربما انتهت بمصارعهم، وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم، وما دامت الحياة امتحاناً فلنكرس جهودنا للنجاح فيه.

وأمَّا الحقيقة "الأخرى": فتتعلق بطبيعة الإيمان، وصلة الإنسان بربه عزوجل، فكلما كان العبد قريباً من ربه كلما كان أصبر على قضائه وقدره.

وجاء في الآثار أن اللَّه تَعَالَى قال: (إِذَا وَجَّهْتُ إِلَى عَبْدٍ مِن عَبِيدِي مُصِيبَةً فِي بُدْنِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ فاسْتَقْبَلَها بِصَبرٍ جَمِيلٍ اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ أَنْصُبَ لَهُ مِيزَانًا أَوْ أَنْشُرَ لَهُ دِيوَانًا) (١).

❁ والإنسان بطبعه الجزوع إذا لاقته الصعاب يُدهش، وإذا مسته الآلالمُ يتبرَّم، ويجعل الصبر في حلقه كريه المذاق، فإذا أحرجه أمر، أو صدمته خيبة، أو نزلت به كارثة، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضاقت به الأيام مهما امتدت، وحاول أن يخرج من حالته بلمح البصر: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ

---

(١) رواه الشهاب القضاعي في مسنده: ٢/٢٣٠، برقم: ١٤٦٢، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٢/٢٩٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ (المعارج :٢٠). وفي الحديث عن أبي سعيد الخدريِّ مرفوعاً: (...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)[1].

❁ والصبر من عناصر الرجولة الناضجة، والبطولة الفارعة؛ فإن اثقال الحياة لا يطيقها الرجال المهازيل، والمرء إذا كان له متاعٌ ثقيل يريد نقله لم يستأجر له الأطفال أو المرضى أو الخوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد!!.

كذلك الحياة، لا ينهض برسالتها الكبرى، ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون، ومن ثمَّ كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئاً لما أوتوا من مواهب، ولما أدّوا من أعمال.

وعَنْ سَعْدٍ[2]، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٢/٢، برقم: ١٤٦٩، ومالك في الموطأ: ٩٧٧/٢، برقم: ٧.

(٢) هو سعد بن أبي وقاص، تقدمت ترجمته.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ صَلَابَةً، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، خُفِّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ مَا لَهُ خَطِيئَةٌ) (١)، وهذه العظمة هي التي أوحت لأحد القادة أن يقول: "لا تسأل الله أن يُخفِّف حملك، ولكن اسأل الله أن يُقوِّي ظهرك".

فالذين أسهموا في معركة الحياة وخاضوا غمارها، هم المجاهدين البنائين في الحياة، أما أولئك القاعدين في البيوت فبالتأكيد لن يصيبهم غبار الطريق، وكما قيل: الجندي الهارب لا يشوكه سلاح، ولا يروعه زحف.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ) (٢).

---

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٦٠١/٤، برقم: ٢٣٩٨، والدارمي: ١٨٣١/٣، برقم: ٢٨٢٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣٧/٩، برقم: ٧٤٦٦، ومسلم: ٢١٦٣/٤، برقم: ٢٨٠٩، واللفظ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالمؤمن السارب في الحياة والمتعرض لالآمها أرفع درجة عند الله من العاجز الهارب من الميدان، وذاك سرُّ قوله ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ) (١)، وقوله ﷺ: (إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ) (٢).

وما ادخره الله عز وجل للعانين صابرين أضعاف ما ادخره لغيرهم؛ فعنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ) (٣).

❁ وهذا لا يعني –أبداً –أن الإسلام يُمجِّدُ الآلام لذاتها، أو أنه يُكرِّم الأوجاع والأوصاب، ولكنه يحمد لأهل البلوى رباطة جأشهم، وحسن يقينهم بالله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١١٥/٧، برقم: ٥٦٤٥، ومالك في الموطأ: ٩٤١/٢، برقم: ٧.

(٢) حسن، رواه أحمد في مسنده: ٤١/٣٩، برقم: ٢٣٦٣٣، والبيهقي في الشعب: ٢٣٥/١٢، برقم: ٩٣٢٧.

(٣) حسن، رواه الترمذي في سننه: ١٨١/٤، برقم: ٢٤٠٢، والبيهقي في الشعب: ٣١٦/١٢، برقم: ٩٤٥١.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعنْ أَنَسٍ[1]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: (مَا بَالُ هَذَا؟، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ) [2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3]، أَنَّ أُخْتَ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ مَاشِيَةً، وَأَنَّهَا لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ مَشْيِ أُخْتِكَ، فَلْتَرْكَبْ وَلْتُهْدِ بَدَنَةً) [4].

وقال الله عز وجل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٧).

---

(١) هو: أنس بن مالك، تقدمت ترجمته.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣/١٩، برقم: ١٨٦٥، ومسلم: ٣/١٢٦٣، برقم: ١٦٤٢.

(٣) هو: أبو العباس الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، حبر الامة، ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة (٦٨ هـ/ ٦٨٧م). الأعلام للزركلي (٤/ ٩٥).

(٤) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣/٢٣٥، برقم: ٣٣٠٣، ووالدارمي: ٣/١٥٠٦، برقم: ٢٣٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ ومن الخلط أن يحسب المسلم أن تلاحق الأذى عليه آية نسيان الله له وإبعاده من رحمته، مع أن الحقيقة بخلاف ذلك؛ إذ أن مصاعب الحياة تتمشى مع همم الرجال، فهذا سيدنا يوسف عليه السلام نبيٌّ تربى في حجور الأنبياء، وتحدَّر من شجرة عريقة، وهو كريم على الله بالإجتباء، حتى قال عنه النَّبيُّ ﷺ: (الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ)(١).

فانظر إلى هذا الكريم كيف قضى مراحل حياته الأولى، وهو يخرج من ضائقة ليدخل في أختها، فقد أمَّه وهو طفل، ثم تآمر عليه إخوته فاختطفوه من أحضان أبيه ورموا به في البئر، ليلقى في غيابتها مصيره المجهول، ثم استنقذه السيارة ليمتلكوه عبداً، ثم يبيعوه في سوق الرقيق بثمنٍ بخس دراهم معدودة، وابتاعه ملك مصر، فما أن آواه في القصر حتى تعرَّض للدسائس الماكرة، فاتُّهم وهو العفيف المحصن بأنه يبغي السوء، ومع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٥١/٤، برقم: ٣٣٩٠، والترمذي في سننه: ١٤٤/٥، برقم: ٣١١٦



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ظهور براءته فقد طرح في السجن مع الأشقياء لا أياماً وشهوراً بل بضع سنين!!

❁ ولو أن شخصاً آخر نظر إلى ماضيه فوجده مثقلاً بالآلام على هذا النحو لضاق بالأرض، وتنكر للسماء، بيد أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن، يُذكِّرُ بالله من جهلوه، ويُبصِّر بفضله من جحدوه..

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٣٩-٤٠).

وهذا شأن أولي الفضل من الناس، لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبةٍ نزلت بهم، وما رأيناه في سير الأنبياء والشهداء والصالحين خير شاهد على ذلك، فكأنَّ المصائب هي إشارة إلى مقام العبد عند ربّه، وما يُراد به من الكرامة والنعيم، أو يسوقها

www.alukah.net

القدر ليصادر ما يستهوي ألبابهم من مُتَع الحياة الدنيا، فيردهم إلى حقيقة أمرهم، ويبصرهم بها، فرُبَّ ضارة نافعة، وكم من محنةٍ في طَيِّها منحة!

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ، لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى)[١].

❁ والصَّبر والتريث خصالٌ تتسق مع نظام الكون وسننه القائمة، فالزرع لا ينبت في لحظة، بل يحتاج لأشهر، والجنين في بطن أمه يمكث فترة طويلة حتى تستوي خلقته، وخلق العالم كان في ستة أيام، مع أن الله قادرٌ على أن يقيم دعائمه في طرفة عين أو أقل، وتراخي الأيام والليالي على الناس، فتقتطع منه أعمارهم، وتستبين فيه أحوالهم، وتنضج على لهبه الهادئ طباعهم، ثم ينقلبون بعد ذلك إلى بارئهم، كلُّ ذلك يبين لنا طبيعة الأشياء وأنها تحتاج إلى صبر وتريث ومثابرة.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣/١٨٣، برقم: ٣٠٩٠، وأحمد في مسنده: ٢٩/٣٧، برقم: ٢٢٣٣٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ على أن المصائب لا يمكن أن تخلو الحياة منها، وإذا لم يُصب أحدٌ بسيلها الطامِّ ضربه رشاشها المتناثر ﴿ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥).

وقال علي بن أبي طالب للأشعث بن قيس [١]: إن صبرتَ جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور [٢]، وقال: الصبر مطيَّةٌ لا تكبو [٣]، والقناعةُ سيفٌ لا ينبو [٤].

وقال عمر بن الخطاب: أفضلُ العدة الصبرُ على الشِّدَّة.

---

(١) هو: أبو محمد الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي، أمير كندة في الجاهلية والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، وفد على النبي صلّى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه، أخباره كثيرة في الفتوح الإسلامية. وكان من ذوي الرأي والإقدام، موصوفا بالهيبة. وهو أول راكب في الإسلام مشت معه الرجال يحملون الأعمدة بين يديه ومن خلفه، وتوفي سنة (٤٠ هـ/ ٦٦١م). الأعلام للزركلي (١/ ٣٣٢).

(٢) الوزر هو الإثم.

(٣) لا تكبو: لا تسقط.

(٤) لا ينكسر ولا يُفل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن المُبارك [1]: المصيبة واحدة، فإذا جزع صاحبها فهما اثنتان؛ لأن إحداهما المُصيبةُ بعينها، والثانيةُ ذهابُ أجره، وهو أعظم من المُصيبة.

وقال أكثم بنُ صيفي [2]: من صَبَرَ ظفر.

وحكي عن كعب الأحبار أنَّه مكتوبٌ في التوراة: من أصابته مُصيبةٌ فشكا إلى النَّاس، فإنَّما يشكو ربَّه.

---

(١) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي، المروزي الحَافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجرا. وجمع الجديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، وله كتاب في "الجهاد"، وهو أول من صنَّف فيه، توفي سنة (١٨١ هـ/ ٧٩٧م). الأعلام للزركلي (٤/ ١١٥).

(٢) هو: أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. عاش زمنا طويلاً، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي صلّى الله عليه وسلّم وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه، وتوفي سنة (٩ هـ/ ٦٣٠ م). الأعلام للزركلي (٢/ ٦).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وحُكي أنَّ أعرابية دخلت من البادية فسمعت صُراخاً في دار، فقالت: ما هذا؟، فقيل لها: مات لهم إنسان، فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرَّمون (١)، وعن ثوابه يرغبون.

وقال بعض الحكماء: من أحبَّ البقاء فليُعِدَّ للمصائب قلباً صبوراً.

وقال آخر: بالصبرِ على مواقع الكُره تُدرك الحظوظ.

وقال أحد الصُّلحاء: اصبر لحكم من لا تجد مُعوَّلاً إلا عليه، ولا مفزعاً (٢) إلا إليه. وقيل: الصبرُ سِترٌ مِنَ الكُروب (٣)، وعونٌ على الخُطوب (٤).

وقال عثمان بن عفان (١):

---

(١) يتبرمون: يضجرون.

(٢) مفزع: ملجأ.

(٣) الكروب: الغموم.

(٤) الخطوب: المصائب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خليلي لا والله ما من مَلَمَّةٍ ... تدوم على حيٍّ وإن هي جَلَّتِ [٢]

فإن نزلت يوماً فلا تخضعنَّ لها ... ولا تُكثرِ الشكوى إذا النَّعلُ زلَّتِ

فكم من كريمٍ قد بُلِي بنوائبٍ ... فصابرها حتى مضت واضمحلَّتِ

وكم غمرةٍ هاجت بأمواجِ غمرةٍ ... تلقيتها بالصبرِ حتَّى تجــلَّتِ [٣]

وكانت على الأيامِ نفسي عزيزةً ... فلمَّا رأت صبري على الذُّلِّ ذلَّتِ

فقلت لها: يا نفسُ موتي كريمة ... فقد كانت الدُّنيا لنـا ثُمَّ ولّـتِ

وقال ابراهيم بن العباس [٤]:

---

(١) هو: الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشّرين. من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره، وقتل رضي الله عنه سنة (٣٥ هـ/ ٦٥٦ م). الأعلام للزركلي (٤/ ٢١٠).

ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية.

(٢) جلت: عظمت.

(٣) غمرة: شدة. تجلت: انكشفت.

(٤) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، كاتب العراق في عصره. أصله من خراسان، نشأ في بغداد. وتنقل في الأعمال والدواوين. قال المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتّاب أشعر منه، وكان يدّعي خؤولة العباس بن الأحنف الشاعر، وتوفي سنة (٢٤٣ هـ/ ٨٥٧م). الأعلام للزركلي (١/ ٤٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَلَرُبَّ نــازِلَةٍ يضيقُ بهــا الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المـخرجُ (١)
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها .... فرجت وكنتُ أظنها لا تُفرجِ

وقال محمد بن بشير الخارجي (٢):

إن الأمور إذا سُدَّت مسالكها ...فالصبر يفتحُ منها كُلَّ ما ارتُتِجا (٣)
لا تيأسنَّ وإن طالت مطالبها ... إذا استعنت بصبرٍ أن ترى فرجاً
أخلق بذي الصَّبرِ أن يحظى بحاجته ... ومُدمنُ القرعِ للأبوابِ أن يلجا (٤)

وقال الحسن بن محمد البوريني (١):

---

(١) ذرعاً: لم يُطقها ولم يقدر عليها.

(٢) هو: محمّد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد الخارجي، من بني خارجة، كان شاعراً فصيحاً، ويكنى أبا سليمان. قدم إلى البصرة في طلب ميراث له بها، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمر الخارجية؛ من خارجة عدوان. فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة، ويترك الحجاز، ويكون أمرها في الفرقة إليها، فأبى أن يفعل، وكانشاعراً مفوهاً، ولم يمدح في شعره إلا زيد بن الحسن بن علي، ورثى سليمان بن الحصين، وتوفي سنة (١٣٠ هـ/ ٧٤٧م) انظر: موقع بوابة الشعراء، محمد بن بشير الخارجي: ٣٠ سبتمبر ٢٠٢٠م.

(٣) سدت: أغلقت. مسالكها: طرقها. ارتتجا: استحكم اغلاقه.

(٤) يلجا: يدخل. المدمن: المداوم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صبرا عــلى نُوَبِ الزَّمـانِ فإنها ... مخـلوقةٌ لنكــايةِ الأحــرار [٢]

لا يُكسَفُ النجم الضعيفُ وإنَّما ... يسري الكسوفُ لرفعةِ الأقمار

وقال الشاعر:

اصبر ففي الصبر خيرٌ لو علمتَ به ... لكنتَ باركت شكراً صاحبَ النِّعمِ

واعلــم بأنَّكَ إن لم تصطبر كــرماً ... صبرتَ قهــراً على ما خُطَّ بالقلمِ

وقال آخر:

عليك بالصَّبرِ فيما قد مُنيتَ ... فالصَّبرُ يُذهبُ ما في الصَّبرِ مِن حَرَج [٣]

كم ليلةٍ من همومِ الدَّهرِ مُظلمةٌ ... قد ضاء من بعدها صبحٌ من الفرجِ

وقال غيره:

---

(١) هو: بدر الدين الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني، مؤرخ، من العلماء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق. انتقل إلى دمشق. فنشأ ومات فيها. وكان يجيد الفارسية والتركية، وتوفي سنة (١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م). انظر الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٩).

(٢) نكاية: لقهر.

(٣) منيت: ابتليت. الحرج: الضيق.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

تصبَّر ففي اللأواءِ قد يُحمدُ الصبرُ ... ولـولا صروف الدهر لم يُعرفِ الحُرُّ (١)

وإن الذي أبلى هو العَون فانتدب (٢) ... جميل الرضا يبقى لك الذكرُ والأجرُ

وثق بـالذي أعطـى ولا تكُ جـازعاً ... فليـس بحـزمٍ أن يروعـكَ الضُّرُّ (٣)

فـلا نِقَمٌ تبقـى ولا نِعمٌ ولا ... يـدوم كلا الحالـين عُسـرٌ ولا يُسرُ.

وقال غيره:

وإني لأُغضي مُقلتيَّ على القذى ... وألبسُ ثوبَ الصبرِ أبيضَ أبلجا (٤)

وإنـي لأدعـو الله والأمرَ ضيِّقٌ ... عليَّ فمـا ينفكُّ أن يتفرَّجـا (٥)

وكـم فتى ضاقت عليه وجوهُه ... أصابَ لها في دعوةِ اللهِ مخرجا

---

(١) اللأواء: الشدة والمحنة.

(٢) انتدبَ أي دعا.

(٣) يروعك: يفزعك ويخوفك. الضُّرُّ: السوء.

(٤) لأغضي: أطبق عينيَّ. أبلجا: مشرقاً مضيئاً.

(٥) يتفرجا: يكشف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره:

إذا بُليتَ فثق بالله وأرض به ... إن الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لامرئٍ حيلةٌ فيما قضى الله

اليأسُ يقطعُ أحياناً بصــاحبهِ ... لا تيأسنَّ فــإنَّ الصــانعَ الله

❁ ❁ ❁



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الإقتصاد

هو التوسط بين التقتير والتبذير، فلا يُجاري المرء من هو أغنى منه في إسرافه وبَذَخِهِ، فيقع في أسرِ الاستدانة، ويصبحُ فقيراً مُعدماً، فينبذه كل من رآه، ويبغضه كُلَّ من علم أمره، ولا يبخل في الإنفاق على نفسه وأهله، أو يشحَّ بالإحسانِ على البائسين والمحتاجين، فيكونُ عُرضةُ إلى ضرر أطماعهم، وهدفاً إلى سوءِ عاقبةِ حرمانهم، فيعيشُ ولا راحةَ عنده ولا اطمئنان، وكفى المُقتصد فخراً أن يعيش عزيز النَّفسِ، غنيَّاً محبوباً عند الله مُبجَّلاً عند النَّاس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الاسراء:٢٩)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧).

۞ والاقتصاد محور كل عمل مفيد، ويتيمة العقد في كل نافع، فلن ترى عملا يكلل بالنجاح إلا إذا كان الاقتصاد رائده، وجودة الترتيب أساسه الذي لا يتم إلا به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالاقتصاد في الأكل يفيدك الصحة والعافية، ويمنع عنك الأمراض الفتاكة. والاقتصاد في الملبس يجعلك مهيباً محترماً. والاقتصاد في البيت يجعله سلوة الحزين، ورياضة الناظر. والاقتصاد في العمل يجعل الربح وفيراً والإقبال عليك عظيماً.

ومن الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه، حتى لا يستنفد ماله كله، وعليه أن يشارك غيره في النعمة، وأن يجعل في ثروته متسعاً يسعف به المنكوبين، ويريح المتعبين.

وفي الحديث عن أَبِي أُمَامَةَ (١)، أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: (يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى) (٢).

---

(١) هو: الصحابي الجليل أبو أمامة صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، وتوفي سنة (٨١ هـ/ ٧٠٠م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٠٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٧١٨/٢، برقم: ١٠٣٦، والترمذي في سننه: ١٥١/٤، برقم: ٢٣٤٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد نهى الله عز وجل عن التبذير؛ لأن المبذِّر متلافٌ سفيه، فهو يضيع في شهواته الخاصة زبدة ماله، فلا يتبقى ما يؤدي به حقاً واجباً ولا فريضة مكتوبة، قال الله جلّ شأنه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الاسراء:٢٦، ٢٧).

وقال رسول الله ﷺ: (الِاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: (السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ وَالِاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ)[2].

❁ إن التوسط هو لُبُّ الفضيلة؛ والتوسط هنا أن تملك الحياة لتسخرها في بلوغ المُثل العليا، لا أن تملكك الحياة فتسخرك لدناياها، وأن لا تحرم نفسك من الحياة فتقعد ملوماً محسوراً.

---

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط: ٧/٢٥، برقم: ٦٧٤٤، والبيهقيُّ في الشعب: ٨/٥٠٣، برقم: ٦١٤٨

(٢) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤/٣٣٦، برقم: ٢٠١٠، والطبراني في الأوسط: ١/٣٠٣، برقم: ١٠١٧.والسمت أي الهيئة الحسنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ ولا شك أن الفقر نكبةٌ موجعة، ومن حقّ الناس أن يتخلصوا من هذا البلاء، ولعلَّ الإسلام بدأ بين قومٍ فقراء، يحجزهم الإقلال عن إدراك المباحات، فضلاً عن التشبع من الطيبات، وكانت حالة الشطف التي يعانون منها مثار شكواهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ)[1].

وكان رسول الله ﷺ يخشى أن يكون هناك ردة فعل لهذا الحرمان الشديد عندما يسود الإسلام وتنتشر مبادئه، فحذَّر من حالة الترف والانبساط إلى الدنيا، وبيَّن أنه إن كان فقر الدنيا شديداً، فالافتتان بها والتطاحن عليها أشدُّ؛ فقال: (وَاللَّهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩٦/١، برقم: ٤٤٢، وابن حبان: ٤٥٧/٢، برقم: ٦٨٢.رداء: أي ثوب كامل.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) (١).

وقال أبو بكرٍ الصديق: ما عال مقتصد ولا يعيل. وقال: إني لأبغضُ أهل بيتٍ ينفقون رزق أيامٍ في يومٍ واحد.

وقال عليٌّ بن أبي طالب: دعِ الإسراف مُقتصداً، واذكر في اليومِ غداً.

وقال معاوية: ما رأيتُ تبذيراً إلا وإلى جنبهِ حقٌّ مُضيَّع. وقال سعيد بن جُبير: التبذيرُ هو أن تُنفقَ الطيّبَ في الخبيث.

وقال سفيان الثوري: من كان في يده مال فليُصلِحهُ، فإنَّهُ في زمان إن احتاج إليه، فأوَّلُ ما يبذلُ فيه دينه.

وقال سقراط (١): لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته، كعنايتك باكتسابه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٨/ ٩٠، برقم: ٦٤٢٥، ومسلم: ٢٢٧٣/٤، برقم: ٢٩٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل لأفلاطون (٢): لِمَ تدَّخر المالَ وأنت شيخٌ؟، فقال: لأن يموتُ الإنسانُ ويخلف مالاً لعدوِّه، خيرٌ من أن يحتاجَ إلى أصدقائه في حياته.

وقيل لابن زياد (٣): لِمَ نُحِبُّ الدراهمَ وهي تُدنيكَ مِنَ الدُّنيا، فقال: هي وإن أدنتني منها فقد أنتني عنها.

وأتى قومُ قيس بن عُبادة (١) يسألونه حَمالةً (٢) فصادفوه في حائطٍ له يتبع ما يسقط من الأثمار، فيعزلُ جيِّدَهُ ورديئه، فقاموا حتَّى فرغ فكلموه في

---

(١) هو: الحكيم والفسيلسوف المعروف سقراط ابن سقرونقس ويعرف بسقراط الجبّ، لأنه سكن جبًّا وهو الدين مدة عمره، أستاذ أفلاطون. ومعنى اسمه المعتصم بالعدل، مات بالسم في حبس ملك اليونان وله مائة وبضع سنين وخلّف اثني عشر ألف تلميذ. كان مولده ومنشؤه ووفاته بأثينة. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/ ١٣٦).

(٢) هو: الفيلسوف والحكيم الفاضل أَفلاَطون بن أرسطون اليُوناني، أحد الأساطين الخمسة في الحكمة والخامس من الأطباء الثمانية. كان في زمن كشتاسب وتوفي في السنة التي ولد فيها الإسكندر. وانظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٣٧).

(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه: أمير اليمن. وليها بعد وفاة أبيه (سنة ٢٤٥ هـ) وكان يخطب لبني العباس. واستمرت ولايته إلى أن مات في زبيد سنة (٢٨٩ هـ/ ٩٠٢م)، الأعلام للزركلي (١/ ٦٠).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذلك، فبذل لهم ما أرادوا، فقال بعضهم: صنيعك هذا مُنافٍ [٣] لترقيحِ [٤] عيشك، فقال: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضس حاجتكم. وقيل لحكيم: لم حفظت الفلاسفة ما في أيديهم، فقال: لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه، فقد علموا ألّا اتكالَ على ما في أيدي النَّاس.

وقال بعض الحكماء: التبذير إنفاق المال في غير وجه حق، وبذله على وجهٍ لا تقتضيه الحكمة.

وقال أحد الأدباء: من ربَّى ابنهُ على الاقتصادِ أفادهُ أكثر مِمَّا يُخلِّفُ له من ثروةٍ وافرة.

وقال أحد العُقلاء: ما وقع تبذيرٌ في كثيرٍ إلا هدمه، ولا دخل تدبيرٌ في قليل إلا ثمَّرهُ –أي نمَّاه.

---

(١) هو: قيس بن عبادة: ذكره ابن مندة، وقال: لا تصح له صحبة، وتبعه أبو نعيم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٣٦٩).

(٢) حمالة: كفالة وهي شئ من المال.

(٣) منافٍ: مباين ومخالف.

(٤) لترقيح عيشك: صلاح عيشك ومالك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: إذا أعطيتَ مالك في غير الحقِّ يوشكُ أن يجئَ الحقُّ وليس عندكَ ما تُعطي منه. وقيل: لم يهلك من اقتصد، ولم يفتقر مَن زهد.

وقيل: المُقتصد طبيب نفسه. وقالت العرب في الاعتدال: لا يموتُ الذئبُ ولا تفنى الغنم.

قال الشاعر:

ألا فاستقم في كل أمرك واقتصد ...فذلك نهجٌ للصراطِ قويمُ

ولا تكن فيه مُفْرِطاً أو مُفرِّطا ...كلا طرفي كُلِّ الأمورِ ذميمُ

وقال المُلْتَمِسُ (١):

وحبسُ المالِ أيسرُ مِن فناهُ ... وضربٍ في البلادِ بغير زادِ (٢)

وإصلاح القليلِ يزيدُ فيهِ ... ولا يَبقي الكثيرُ مع الفسادِ

---

(١) هو: جرير بن عبد المسيح الضُّبعي، لقب بذلك لقوله:

فهذا أوان العِرض حين ذبابه ... زنابيره والأزرق المتلمس

خرج إلى بني كلب وادعى أنه حَسَني ثم ادعى النبوة، فشهد عليه بالشام وحبس دهراً ثم استتيب فأُطلق. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٥/ ٢٧٩).

(٢) الضرب أي السَّير.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن الوردي [1]:

بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ ...فكلا هذين إن زاد قتل

وقال الشاعرُ:

أنفق بقدرِ ما استفدتَ ولا ... تُسرف وعش فيه عيشَ مُقتصدِ

من كـــان فيما استفـــاد مُقتصداً ... لم يفتقر بعدهـــا إلى أحدِ

وقال غيره:

فكن على حالةٍ وسطى تكن رجلاً ...بالجدِّ مُتَّسِماً بالبِشرِ مبتسماً

---

(١) هو: الشاعر والأديب المشهور أبو حفص، زين الدين عمر بن مظفَّر بن عمر ب محمد ابن أبي الفوارس، ابن الوردي المعرّي الكندي: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب سنة (٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩م)، الأعلام للزركلي (٥/ ٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## العـدل

وهو التزام طريق الحق في كل أمرٍ من أمور الحياة، وعدم الحَيدةِ عنه قيدَ شعرة، والبُعد عن الظلمِ، أوالميل عن جادَّةِ [1] الإنصاف بقصدِ قضاءِ بُغيةٍ، أو منفعةٍ تعود عليه، والحقيقة التي لا مراء فيها أنَّهُ لا منفعة وراء الظلم، ولا فائدة تُرجى منه، بل هو طريقٌ وعر المسلك، قلَّما ينجو منه صاحبه، وإنَّ ما يلقاه من مقاطعة النَّاس له، وغضب المولى عليه؛ لأكبرُ دليلٍ على جسامةِ ذنبِ الظالمين، وسوء عاقبة الباغين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

ولا شك أن للأفراد دور كبير في إيجاد هذا العدل عن طريق الاستقامة والصدق في العمل والسلوك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء:٥٨).

---

(١) الجادة: الطريق.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمجتمع الذي تسود فيه مثل هذه القوانين التي تعطي للمرء حقَّه، وتحفظ له كرامته، يسمَّى مجتمعاً عادلاً، وإن لم يقم بها كان ظالماً، وقال جلّ شأنه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ [1] وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

❁ والعدل هو أن يأخذ كل ذي حقٍّ حقه، فالبائع الذي يكيل للمشتري أقلَّ مما اتفقا عليه ظالمٌ، ووالذي يسرق مال غيره ويمنعه من حقه ظالم، وتفسير هذا السلوك الظالم هو غلبة داعي الهوى والانحراف عن الجادَّة، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود:١٨).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (الحج:٧١)، وقال تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (النمل:٥٢)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (ابراهيم:٤٢).

---

(١) بالقسط: بالعدل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وكما أن العدل مع الأفراد فإنه يكون داخل المجتمع بأن تُسن القوانين التي تسمح لكل فرد أن يرقى بنفسه بقدر كفاءته واستعداده، وقال رسول الله ﷺ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ) (١)، وقال عليه الصلاة والسلام: (الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ) (٢).

وعن أبي موسى الأشعريِّ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ، لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود: ١٠٢) (٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: (دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٨/٣، برقم: ٢٤٤٢. يُسلمه أي يخذله.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٩/٣، برقم: ٢٤٤٧، ومسلم: ١٩٩٦/٤، برقم: ٢٥٧٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١٩٩٧/٤، برقم: ٢٥٨٣، وابن ماجه في سننه: ١٣٣٢/٣، برقم: ٤٠١٨ .يملي: يمهل.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

بَعْدَ حِينٍ)[1]، وروي عنه ﷺ أنَّه قال: (مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَا يَعْدِلُ فِيهِمْ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ)[2].

وقال أبو بكر لبعضِ عُمَّاله: عليكم بالعدلِ، وتباعدوا عن الجور، ولا تغدروا إن عاهدتم، ولا تنقضوا إن صالحتم.

وكتب عمر بن عبد العزيز [3] إلى عامل له: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم النَّاس فتذكر قدرة الله عليك.

---

(١) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ١٥٨/٣، برقم: ٨٧٤، وابن خزيمة: ١٩٩/٣، برقم: ١٩٠١.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ١٠٢/٤، برقم: ٧٠١٤، والطبراني في الكبير: ٢٢٢/٢٠، برقم: ٥١٨. كبَّه: أي ألقاه على وجهه.

(٣) هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة (٩٩ هـ) وتوفي سنة (١٠١ هـ/ ٧٢٠م). الأعلام للزركلي (٥/ ٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الأحنف: ما عُرضت النَّصفة على أحدٍ فقبلها إلا تداخلني منه هيبة، ولا ردَّها أحدٌ إلا طمعتُ فيه.

وقال أنوشروان (١): الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه.

وقال غيره: المملكة تخصبُ بالسخاء، وتعمر بالعدل، وتثبت بالعقل، وتُحرسُ بالشجاعة.

وقال بعض الحكماء: بالعدل والإنصاف تكون مدة الإئتلاف. وقال آخر: ليس شئٌ أقربُ إلى تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم. وقال غيره: شرُّ النَّاسِ من ينصرُ الظلوم، ويخذل المظلوم.

---

(١) هو: أبو نصر أَنُوشروان بن خالد بن محمد بن القَاشَاني القيني الوزير، وزر للمسترشد ثم للسلطان مسعود السلجوقي وكان عاقلاً فاضلاً مهيباً وفيه دين وحلم مع تشيع قليل وكان السبب في عمل الحريري "المقامات". وكان كريماً جواداً. وقين: قرية من قرى قاشان. ذكره ابن خلكان وغيره، وتوفي سنة (٥٥٢ هـ). انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٤٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض الفضلاء: يومِ العدل على الظالم أشدُّ من يوم الجور على المظلوم. وقال آخر: إنَّ العدل ميزانُ الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تُخالفنَّهُ في ميزانه، ولا تُعارضنَّهُ في سلطانه.

وقال غيره: دعوتان أرجو إحداهما وأخاف الأخرى، دعوة مظلومٍ أعنتُه، وضعيفٍ ظلمته.

وقال بعض الصلحاء: إذا ظلمتَ من دونك عاقبك من فوقك.

وقال آخر: من كثر ظلمه واعتداؤه، قرب هلاكه وفناؤه، ومن طال تعديه كثرت أعاديه.

وقال غيره: لا ينبغي للإمام أن يكون جائراً، ومن عنده يُلتمسُ العدل، ولا للعالم أن يكون سفيهاً، ومن عنده يُلتمسُ العلم والحِلم.

وقال بعض البلغاء: في معاقبة الظالم أعظم تعزية للمظلوم، وأبلغ تحذير للظالم في إنزال العقوبة، وإن تنفست –طالت –مُدَّته.

وقال آخر: الظالم مُهْلِك ثُمَّ هالك، كالنار إذا وقعت في يابس الشجر، لا تبقي معها مع تمكنها شيئاً، حتى إذا أفنت ما وجدت اضمحلَّت وخمدت.

وقال أحد العلماء: إيَّاكَ والبغي –الظلم –فإنه يصرع الرجال، ويقطع الآمال. وقال آخر: العدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفُرقة.

وفي الأمثال: من سلَّ سيف العدوان أُغمد في رأسه. وقيل: الظلم مرتعه وخيم، وأعجل الأشياء عقوبة البغي.

وقال العتابي (١):

بغيت فلم تقع إلا صريعاً ...كذاك البغي يصرعُ كُلَّ باغٍ

وقال الشاعر:

ما زال يظلمني وأرحمه ...حتَّى رثيت له من الظلمِ (١)

---

(١) هو: أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، من بني عتاب بن سعد، كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة، وتوفي سنة (٢٢٠ هـ/ ٨٣٥م). انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٣١)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر:

وما من يد إلا يد الله فوقها .... ولا ظالمٍ إلا سيُبلى بأظلمِ

وقال غيره:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلمُ آخره يفضي إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

وقال غيره:

العدلُ روح به تحيا البلاد كما... دمارها أبداً بالجور ينحتِمُ

الجور شينٌ به التعمير ممتنعٌ... والعدلُ زينٌ به التمهيدُ ينتظم (٢)

وقال غيره:

ظهور العدل يمحو كُلَّ ظلمٍ ...إذا جاء الصباح مضى الظلامُ

---

(١) رثيت: بكيت.

(٢) التمهيد: الإصلاح. شين: نقص.

www.alukah.net

شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ العزَّة والقوَّة

إن الإيمان إذا استقر واستمكن، فإن يضفي على صاحبه قوة رهيبة، تجعله مطمئناً إلى الفكرة التي تملأ عقله، وإلى العاطفة التي تعمر قلبه، فلا يتردد، ولا يتزحوح عن موقفه، ولا يتنازل عن مبدئه وهدفه، فتجد أن روحه متفانية في العمل، وقلبه مستغرقٌ في الإخلاص، وحاديه في ذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، عن رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أرضاهُ فِي سَخَطِهِ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ، حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ)[1]، فالكرامة في التقوى، والسُّمو في العبادة، والعزة في طاعة الله .

أما ذلة العبد لعبد مثله فباطل ولا ريب، فإذا رام أحدٌ أخذ ماله أو طمع في اغتصاب أرضه، أو انتهاك عرضه، كان لا بدَّ أن ينتصب الأخير ليذوذ عن ماله ونفسه وعرضه، فليس من العزة أن يكون المسلم مستباحاً لكل طامع، أو غرضاً لكل هاجم، بل عليه أن يستميت في الدفاع عن عرضه

---

(١) اسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ١١/٢٦٨، برقم: ١١٦٩٦، وفيه يحيى بن سليمان الجفري، وثقه الذهبيُّ في آخر ترجمته، وله شواهد صحيحة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وماله ونفسه، وإن أريقت في ذلك الدماء، فإنه رخيص في سبيل صيانة الشرف الرفيع.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ(١)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ) (٢).

❁ ومن القوَّة أن يؤدِّب الرجل المجترئين عليه، حتى يفلَّ حدهم، ويكسر شوكتهم، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى: ٣٩)، فيقدم الجاني إلى القضاء، حتى ينال عقابه، ويقتصَّ منه، فينقمع وتختفي جرأته، وتنكسر شوكته، ومن القوَّةِ أن يغفر إذا استغضبه من دونه؛

---

(١) هو: الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ القرشي، أبو الأعور: صحابيّ، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا وكان غائبا في مهمة أرسله بها النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة (٥١ هـ/ ٦٧١م) انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٩٤).

وهو أحد العشرة المبشَّرين

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٤٦، برقم: ٤٧٧٢، والنسائي: ٧/١١٦، برقم: ٤٠٩٥، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لأن التجاوز عن هفوات العاثرين تزيد من عزة المسلم ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧).

❁ والمتكبر متطاول بما ليس له، والوضيع جاهل بقدر نفسه، فيتحمل من الأوزار ما لا يطيق، وقد حرَّم الإسلام الكبر، وحرَّم الذل، وأوجب العزَّة، فعنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)(١).

❁ إن فضيلة القوة في نفس المسلم ترتكز على عقيدة التوحيد؛ كغيرها من الفضائل، والتي تجعله يرفض الذلة والهوان في الأرض؛ لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء؛ ولأن إيمانه يجعله في نطاق أن يكون أمَّة وحده، وفي فمه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢٠).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٧٧/٤،برقم: ٣٤٨٥، ومسلم: ١٦٥٣/٣،برقم: ٢٠٨٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يجعل الناس تقبل الدنيَّة في دينهم ودنياهم خوفهم من أن يُصابوا في أرزاقهم أو آجالهم، فالناس من خوف الذل في ذل، ومن خوف الفقر في فقر.

❁ وقد قطع الإسلام سلطان البشر على هذين الأمرين، وأكد على الإجمال في الطلب، والتخفيف من الإلحاح الشائن والتملُّق المعيب؛ حتى لا تراق الوجوه في التسكع على الأبواب، والتمسح بالثياب، والزلفى على الأعتاب، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ) (١).

وفي حديث آخر عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى

---

(١) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٣١/٨، برقم: ٣٢٣٨، والبزار في مسنده: ٣٧/١٠، برقم: ٤٠٩٩.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة، غزا تسع عشرة غزوة، وتوفي سنة (٧٨ هـ/ ٦٩٧م). انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٠٤).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ) (١).

أمَّا تهيُّبِ الموتِ، وتحمُّل العار طلباً للبقاء، فإن ذلك صورة أخرى للحُمقِ؛ لأن الفرار منه لا يطيل الأجل، والإقدام عليه لا ينقص العمر؛ كيف وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، فالقضاء يصيب العزيز وله أجره، ويصيب الذليل وعليه وزره، فكن عزيزاً ما دام أنه لن يفلت من القضاء أحد.

❁ كذلك فإن التوكل على الله من أقوى الأسلحة التي يتدرع بها الإنسان، ويقاوم بها قوى الظلم والبغي والاستبداد، وذلك إذا اكتنفته الظروف المحرجة، فيلتفت حوله فلا يرى معيناً ولا نصيراً، عندها يأوي إلى الركن الشديد، والحصن المنيع، فيُمدُّه بأسباب الثبات والرباط حتى تبرق بشائر النصر والظفر ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (ابراهيم: ١٢).

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٧٢٥/٢، برقم: ٢١٤٤، والبيهقي في الآداب: ٧٧٧/٣١٤، برقم: ٧٧٧.

www.alukah.net

❁ إن الرجل لا يلتفت وراءه إلا بمقدار ما ينتفع به في حاضره ومستقبله، أما الوقوف مع هزائم الأمس، واستعادة أحزانها، والتعثر في الأسى والقنوط، وتكرار: (لو، وليت)، فذلك ليس من خلق المسلم؛ بل هو من عمل الشيطان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (١).

❁ ومما يجعل المسلم قوياً ابتعاده عن الفجور والعصيان، وسيره في مسالك النزاهة والاستقامة؛ فأن الرجل الخرب الذمة والساقط المروءة، لا قوة له ولو لبس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك، وفي هذا الموطن نتذكر نصيحة هود عليه السلام لقومه عندما أرشدهم إلى أسباب القوة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٥٢/٤، برقم: ٢٦٦٤،و ابن ماجه في سننه: ٣١/١، برقم: ٧٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصحيحة: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود: ٥٢).

❁ ومن عناصر قوة المسلم الصراحة، فيواجه الناس بقلب مفتوح، ومبادئ واضحة، فلا يُصانع ولا يداهن على حساب الحق الذي يعتقده، بل يجعل قوته من قوة العقيدة التي يمثلها ويعيش من أجلها، فلا يحيد عن الصراحة أبداً في تقرير حقيقة ما، ذلك أن الشخص الذي يعيش في الحقائق لا يتاجر بالأباطيل، فهو غنيٌّ عنها، وصراحته دليل قوته وشرفه، فهو بعيدٌ عن الدجل والاستغلال، بل إن سيرته ترتكز على أركان ثابتة من الفضيلة والكمال، ولعلنا نتذكر يوم أن كُسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا، وَادْعُوا اللَّهَ) (١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٥٢/٤، برقم: ٢٦٦٤، وابن ماجه في سننه: ٣١/١، برقم: ٧٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ إن هذا السُّمو النفسي انبثق من قاعدة جليلة تعتمد على المصارحة التامة لهم، فسعى لمحو الإفراط منهم، باثبات الصواب والخير، فالمسلم جريءٌ في نقد العيوب، فلا يتهيَّبُ كبيراً، ولا يخل من قريب، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وقد كره الإسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء، أو أن يناديهم بلفظ التكريم والتبجيل: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج:١٨)، وعن بريدة [١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ) [٢].

❁ إن الإسلام يكره أولئك الذين يعيشون في الدنيا أذناباَ، يتهافتون على خيرات الآخرين؛ كالثعالب تقتات من فضلات الأسود، وهذه قمَّة

---

(١) هو: بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة. أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي صلّى الله عليه وسلّم على صدقات قومه. وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها سنة (٦٣ هـ/ ٦٨٣م). الأعلام للزركلي (٢/ ٥٠)

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٩٥، برقم: ٤٩٧٧، والنسائي في الكبرى: ٩/١٠١، برقم: ١٠٠٠٢.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الوضاعة والخسَّة، بل يجب الابتعاد عن مواطن الهوان، وأن يضرب في فجاج الأرض يبتغي العزة والكرامة، إضافة إلى الصبر والرجاء، فهما عدة اليوم والغد، وهما الحصن العالي للمؤمن على جميع الأحداث والفتن.

❃ والتألم من الحرمان ليس ضِعة، ولكن تحول الحرمان إلى هوان هو الذي يستنكره الإسلام، فقد مضت سُنَّة الرجولة من قديم أن يتحامل الجريح على نفسه حتى يشفى، فيستأنف المسير بعزم، لا أن يخور ويكثر الشكوى، ثم يتحوَّل إلى كسيح، وينتظر من يحمله، وفي الآثار: "مَنْ أَصْبَحَ حَزِينًا عَلَى الدُّنْيَا أَصْبَحَ سَاخِطًا عَلَى رَبِّهِ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّمَا يَشْكُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ تَضَعْضَعَ لَغَنِيٍّ لِيَنَالَ مِنْ دُنْيَاهُ أَحْبَطَ اللهُ ثُلُثَيْ عَمَلِهِ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ " (١).

❃ إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربِّه؛ هو كبرياء إيمان، وكبرياء الإيمان غير كبرياء الطغيان، فالمؤمن يأنف أن يصغر لسلطان، أو يتضع في مكان، أو يكون ذنباً لإنسان، وهذا الكبرياء فيه من التمرُّد بقدر ما فيه من

---

(١) رواه الطبراني في الصغير: ٢/٣٠، برقم: ٧٢٦، والبيهقي في الشعب: ١٢/٣٧٣، برقم: ٩٥٧١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستكانة والتواضع، فيه الترفع عن كل المغريات والمزاعم والأباطيل، وفيه الإنخفاض إلى خدمة المسلمين والتبسط معهم، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠).

❁ لقد غرس الإسلام قيم العزة والإباء والكرامة بما شرعه من سنن وتعاليم وعقائد، فهذا الأذان يرفع كل يوم خمس مرات منادياً: "الله أكبر" ليوقن المسلم يقيناً لا يهتز أن كل متكبِّرٍ بعد الله فهو صغير، وأن كل متعاظم بعد الله فهو حقير، وكأنما أُريد بهذا الأذان أن يردَّ الناس إلى الصواب كلما طاشت بهم الدنيا، وضلت بهم السبل ...

وتوكيداً لهذا المعنى فإن الله عز وجل سمَّى نفسه "العظيم" و"الأعلى" ليكررها المسلم كل ركوع وسجود، فيفرد ربَّه بالعظمة والعزَّة.

❁ ومن القوَّة أن يواجه الرجل من شاء بما شاء، ومن الوضاعة أن يتوارى ليطعن من وراء الستور؛ لأن الغيبة شيمة الضعاف، وليس معنى ذلك أن نجابه بالسوء من نودُّ مساءتهم، بل إن وجدنا منه جرأة مستهتر أو معصية



شبكة الألوكة - قسم الكتب

مجاهر، فهذا الذي يجب أن يقابل بكلمة الحق، وأن تكون منه ملء السمع والبصر، ومع ذلك يجب أن تكون هذه الكلمة خالصة بعيدةً عن مشاعر الشماتة، وحُبِّ الأذى، بل تقترن بالرغبة في الإصلاح والنصيحة.

❁ ومن القوَّة والعزة أن يؤدي المرء ما عليه من واجب، فإذا أديته على وجه صحيح، فلا سبيل لأحدٍ أن يتطاول عليك أو أن يحطَّ من قدرك، وتستطيع أن تحتفظ بعزة نفسك أما رؤسائك؛ لأنك لم تترك ثغرة ينفذون منها إليك باللوم والتقريع، بل إن ألدَّ أعدائك حينئذٍ يتهيَّبُك؛ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس:٢٦، ٢٧).

❁ إن المؤمن القوي هو الذي يعاشر النَّاس على بصيرة من أمره؛ فإن وجدهم على الصواب كان معهم، وإن رآهم على الخطأ نأى بنفسه عنهم؛ لأنه لا تستعبده الأعراف الغالبة، ولا تتحكم فيه التقاليد السائدة، وهو مع ذلك لا تثيره قسوة الند أو جراحات الألسنة، فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلَّا تَظْلِمُوا) [(١)].

❁ ومن ذلك ما أحدثه الناس في أفراحهم وأتراحهم من البدع، وتواطئوا على الاستمساك بها أشدَّ من استمساكهم بحقائق الدين نفسها، وماذا عسى الناس لامرئٍ يعتزُّ بإيمانه، ويستشعر بقوة الصلة بينه وبين ربه، واستقام في أمر دينه ؟، إنهم لو تآلبوا عليه جميعاً ما نالوا منه قليلاً ولا كثيراً.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣٤/٢، برقم: ١٠٤٣، واحمد في مسنده: ٣٨/٣٩، برقم: ٢٣٦٢٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) (١).

وهذا يعني أن البشر لو اجتمعوا من أولهم لآخرهم، أذلُّ من أن يمنعوا شيئاً أعطاه الله، وأقلُّ من أن يعطوا شيئاً منعه الله.

فيجب على المسلم أن يردَّ تدبير الأمور إلى خالقها الأعظم، وأن يجعل كل ثقته وتعويله عليه، فلا يذل نفسه، ولا يبدي صفحته لمخلوق مثله، ولا يعطي الفرصة لأحد أن يستعلي أو يستكبر عليه، فيبقى منتصب القامة، مرتفع الهامة، لا تدنيه حاجة، ولا تطويه شدة.

يقول المتنبي (٢):

---

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٢٤٨/٤، برقم: ٢٥١٦، واحمد في مسنده: ٤٠٩/٤، برقم: ٢٦٦٩.

(٢) هو: الشاعر الشهير أَبُو الطَّيِّب أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي الكندي، المُتَنَبِّي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربيّ. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وهو من أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته، وهذه الأبيات قالها المتنبي في أحد الأمراء، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية يُنكرها عليه، وأن هذه الكلمات لا ينبغي أن

يا من ألـوذ بـه فـيما أؤمله .... ومن أعــوذ به ممـــا أحـاذره!

لا يَجبر الناسُ عظماً أنت كاسره .... ولا يهيضونَ عظماً أنت جابره!

يقول الشاعر:

إني لأستغني فما أبطرُ الغنى .... وأَعْرِضُ ميسوري على مُبتغي قرضي

وأعسر أحياناً فتشتدُّ عسرتي ... وأدرك ميسورا الغنى ومعي عِرضي

ومـا نـالها حتى تجلَّت وأسفرت ... أخـــو ثقة مني بقرضٍ ولا فرضِ

---

تُصرف إلا للخالق سبحانه وتعالى، توفي سنة (٣٥٤ هـ/ ٩٦٥م). انظر الأعلام للزركلي (١/ ١١٥).

## ۞ العفو

هو الصفح عند القدرة عمَّن هفا، وعدم الأخذ بالثأر ممن ارتكب جُرماً، وهو من شيم الكرام، يحبب المرء لمعاصريه، ويحفظ قدره بين معارفه، ويزيل ما في القلوب من عداوة وبغضاء، ويدعو إلىالارتباط والائتلاف، ولا يعدم صاحبه ناصراً في الدنيا، ولا يضيع له أجرٌ في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى:٤٠)، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)، وقال عزَّ وجل: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: ٢٣٧)، وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال رسول الله ﷺ: (أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ) (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ) (٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، فقَالَ: يا رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتْقَى؟، قَالَ: الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فَلَا يَنْسَى، قَالَ: فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَا) (٣).

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (مَنْ عَفَا عِنْدَ قُدْرَةٍ، عَفَا اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْعُسْرَةِ) (٤).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٥٦٣/٢، برقم: ٣٩١٢، والطبراني في الأوسط: ١٩٦/٥، برقم: ٥٠٦٤، وفيه: سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف.

(٢) حسن، رواه أحمد في مسنده: ٨٤/٧، برقم: ٣٩٧٧، والطبراني في الكبير: ١٠٩/٩، برقم: ٨٥٧٢.

(٣) حسن، رواه ابن حبان في صحيحه: ١٠٠/١٤، برقم: ٦٢١٧، والخرائطي في مكارم الأخلاق: ٣٦٩/١٢٩، واللفظ له.

(٤) رواه الطبراني في الكبير: ١٢٨/٨، برقم: ٧٥٨٥، وفيه العلاء بن كثير، وهو ضعيف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعنه عليه السَّلام أنه قال: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، مَلَأَهُ اللَّهُ قلباً أَمْنًا وَإِيمَانًا) [1]، وفي رواية: (دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) [2].

وعنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ) [3].

❁ ومن قصص العفو التي لا مثيل لها بين الناس، عفو رسول الله ﷺ عن زعيم المنافقين، عبد الله بن أُبي بن سلول[4] الذي حاك المؤامرات،

---

(١) حسن،رواه أبو داود في سننه: ٢٤٨/٤، برقم: ٤٧٧٨، والبيهقي في الشعب: ٥٣٦/١٠، برقم: ٧٩٥٠.

(٢) رواه ابن أبو داود في سننه: ٢٤٨/٤، برقم: ٤٧٧٧، وابن ماجه: ١٤٠٠/٢، برقم: ٤١٨٦.

(٣) حسن، رواه البيهقي في الشعب: ٤١٥/١٠، برقم: ٧٧٢١، والطبراني في الأوسط: ٣٦٤/٥، برقم: ٥٥٦٧، وله شواهد صحيحة.

(٤) هو: أبو الحباب عبد الله بن أبي من مالك بن الحارث ابن عبيد الخزرجي، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة: رأس المنافقين في الإسلام. من أهل المدينة. كان سيد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأشاع مقالة السوء، وحادثة الإفك [١]، فرجفت المدينة بأسرها، واهتزت أركان المجتمع الإسلامي، واعتصر الألم قلب رسول الله ﷺ وأصحابه، وملأت الكآبة والغُمَّة نفوسهم من هذا التلفيق الجرئ، حتى نزلت الآيات آخر الأمر تكشف مكر المنافقين، وتفضح ما اجترحوا، وتضع أم المؤمنين عائشة في الذروة من القداسة والطهر والعفة والنقاء، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

ولقد أقيم الحد على كل من خاض في العرض الشريف إلا جرثومة الشر فقد نجا؛ ليستأنف كيده للمسلمين، ويسوق لهم الأذى ما استطاع، وكلُّ ذلك درءاً للفتنة، فعندما قَالَ عُمَرُ بن الخطاب لرَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أنقتل

---

الخزرج في آخر جاهليتهم. وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، وتوفي سنة (٩ هـ/ ٦٣٠م). الأعلام للزركلي (٤/ ٦٥).

(١) وكان ذلك عند عودة النبيِّ صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة من الهجرة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

هَذَا الخَبِيثَ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) [(١)].

ثم دارت الأيام سريعاً، وسقط ابنُ أُبيّ صريعاً، بعدما ملأت رائحة نفاقه كل فجٍّ ومين، وجاء ولده إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الصفح عن أبيه، فصفح، وطلب منه أن يكفنه بثيابه، ففعل، ثم طلب أن يُصلِّي عليه ويستغفر له، فلم يردّ رسول الله ﷺ هذا السؤال، بل وقف أمام جثمان الطاعن في عرضه بالأمس يستدر له المغفرة والرحمة، ولكن عدالة السماء حسمت الأمر كله، ونزل قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة:٨٤).

وقال عليّ: إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه.

وقال الأحنف: إيَّاكم ورأيَ الأوغاد [(١)]، قالوا وما رأي الأوغاد؟، قال الذين يرون الصفح والعفو عاراً.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٥٤/٦، برقم: ٤٩٠٥، ومسلم: ١٩٩٨/٤، برقم: ٢٥٨٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأسمع رجلٌ عُمرَ بن عبد العزيز كلاماً، فقال عمر: أردتَ أن يستفزَّني الشيطان لعزَّةِ السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف رحمك الله.

وكتب أبرويز إلى ابنه شيرَويه: إن كلمة منك تسفك –تريق –دماً، وأخرى منك تحقن–تصون–دماً، وإن نفاذ أمرك مع كلامك، فاحترس في غضبك من قولك أن تخطئ، ومن لونك أن يتغيَّر، ومن جسدك أن يجفَّ، فإن الملوك تُعاقِبُ قدرةً، وتعفو حلماً.

وقال المأمون [٢] لابراهيم بن المهدي [٣]: إني شاورت في أمرك فأشاروا عليّ بقتلك إلا أني وجدت قدرك فوق ذنبك، فكرهت القتل للازم

---

(١) الوغد أي الدنئ.

(٢) هو: أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك، في سيرته وعلمه وسعة ملكه. نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند، وتوفي سنة (٢١٨ هـ/ ٨٣٣م). الأعلام للزركلي (٤/ ١٤٢).

(٣) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول وفي أخباره كثرة. ولد ونشأ في بغداد، ولما انتهت الخلافة إلى



شبكة الألوكة - قسم الكتب

حرمتك، فقال: يا أمير المؤمنين إن المُشير أشار بما جرت به العادة في السياسة إلا أنك أبيتَ أن تطلب النصر إلا من حيث ما عُودِّتَه من العفو، فإن عاقبت، فلك نظير، وإن عفوت فلا نظير لك.

وقال بعض الحكماء: أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة. وقال آخر: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

وقال غيره: ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعاً من السَّطوة- القهر بالبطش.

وقال بعض البلغاء: أحسن المكارم عفو المُقتدر، وَجُدُ المُفتقر.

وقال آخر: ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام.

وقيل: الخير في ثلاثة؛ من إذا رضي لم يُدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يُخرجه غضبه من حق، ومن إذا قدر عفا.

---

المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. الأعلام للزركلي (١/ ٥٩ -٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أبو الطَّيِّب:

وما قتل الأحرار لعفو عنهمو ...ومن لك بالحرِّ الذي يحفظ اليدا

إذا أنت أكرمت الكريم مكته ...وإن أنت أكرمت اللئيم تمرَّدا

وقال الشاعر:

إذا ما الذنب وافى باعتذارِ... فقابله بعفوٍ وابتسامِ

ولا تحقد وإن مُلئتَ غيظاً ...فإن العفو من شيم الكرامِ

وقال آخر:

وصل الكرام وإن رَموكَ بجفوةٍ ...فالصفحُ عنهم والتجاوز أصوبُ (١)

وقال غيره:

وإن أولى الملا (٢) بالعفوِ أقدرهم ... على العفو إن يظفر بذي زَلَلِ

وقال غيره:

فإن كنتَ ترجو في العقوبة راحةً... فلا تزهدنَّ عند التجاوز (١) في الأجرِ

---

(١) بجفوةٍ: قطيعة.

(٢) الملا: العالم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال غيره:

خذ العفو واصفح عن أمورٍ كثيرةٍ ...ودع كَدَرَ الأخلاقِ واعمد لما صفا

وقال غيره:

إذا اعتذر المسئُ إليك يوماً... من التقصيرِ عذر فتى مُقرِّ [٢]

فَصُنه عن عقابك واعف عنه... فإنَّ الصفحَ شيمةُ كُلِّ حُرِّ

❁ ❁ ❁

(١) التجاوز: العفو والصفح.

(٢) مقرٌّ: معترف.

www.alukah.net

## المروءة

صفةٌ للنفس تحملها على فعل كل خير، ودفع كل ضر، كلما وجدت لذلك سبيلاً، فهي عنوان علوِّ الهمَّة، وشرف النفس، ودليل الكرم، ومن دواعي الألفة ودوام المحبَّة، يرنو [1] صاحبها دائماً إلى الكمال، ويرغب في التمسُّكِ بأجمل الخصال، فمن تجرَّدَ من المروءة فقد سفلت نفسه، وانحطَّت أخلاقه، وقلَّت إخوانه، فلا يجدُ من يعطف عليه إذا أُصيبَ بمكروه، أو يتودَّدُ إليه إذا نزلت به نازلة، وما لذَّةُ العيش إلا بالتعارف والتعاون، فيقضي أيامه مبغوضاً، ويضيع حياته وهو بين الاحتقار مرموق.

قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

---

(١) يرنو: يتطلَّع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله يحبُّ إغاثةَ اللهفان) [1]، وقال عيه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيُكْرَهُ سَفَاسِفَهَا) [2].

وفي الآثار: (إِنَّ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَوَجَّعَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ مِنَ الرَّأْسِ) [3].

وقال عمر بن الخطاب: لا تصغُرَنَّ هممكم، فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم.

وقال ابن عائشة القرشيّ [1]: لولا المروءة أنَّ صَعُبَ محملها لما ترك أصحاب اللؤمِ منها شيئاً.

(١) رواه البراز في مسنده: ١٤/٦٥، برقم: ٧٥٢١، وأبو يعلى في مسنده: ٧/٢٧٥، برقم: ٤٢٩٦.وفيه زياد النُّميريّ يخطئ، وبقيَّةُ رجاله ثقات.اللهفان: المتحير.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ١/١١١، برقم: ١٥١، والبيهقي في الشعب: ١٠/٣٧٢، برقم: ٧٦٤٧.سفاسفها: رديئها.

(٣) رواه عبد الله بن وهب في جامعه: ٣٠٨/ ٢١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة؛ فقال: صدق اللسان، ومواساة الإخوان، وذكر الله تعالى في كُلِّ مكان.

وقال بعض الحكماء: من المروءة أن يبذل الإنسان لك ماله عند الحاجة، ونفسه عند النكبة، ويحفظ عند المغيب. وقال آخر: من أجار [٢] جاره أعانه الله وأجاره. وقال غيره: الهمَّةُ رايةُ الجِدِّ.

وسئل بعضهم عن الفرق بين العقل والإرادة؛ فقال: العقل يأمرك بالأنفع، والمروءةُ تأمرك بالأجمل.

وقال بعض الأدباء: ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الفضَّة، وجارَكَ طاوٍ [٣]، وغريمُكَ [٤] عارٍ.

---

(١) هو: أبو جعفر، محمد بن عائشة، من المقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان، في العصر الأموي، يرتجل ذلك ارتجالا. وهو من أهل المدينة، ينسب إلى أمه، وكانت مولاة لأحد بني كندة، وتوفي نحو (١٠٠ هـ/ ٧١٨م). الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٩).

(٢) أجار: أنقذه بمعونته.

(٣) طاوٍ: جائع.

(٤) الغريم: هو من له عليك دين.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض البلغاء: من شرائط المروءة أن يتعفَّف المرء عن الحرام، وينصرف عن الآثام، ويُنصف في الحكم، ويكفَّ عن الظلم، ولا يطمع فيما لا يستحق، ولا يستطيل على ما لا يسترق، ولا يُعينُ قويّاً على ضعيف، ولا يؤثر دنيا على شريف، ولا يُسرُّ بما يعقبه الإثمُ والوزر، ولا يفعل ما يقبح الاسم والذكر.

وقال آخر: علو الهمم بذل النعم.

وقال بعض العلماء: إذا طلب رجلان أمراً ظفر به أعظمهما مروءة. وقيل: المروءة أنك لا تعمل عملاً في السِّر تستحي منه في العلانية.

وقيل: من عامل النَّاس فلم يظلمهم، وحدَّثهم فلم يَكْذِبهُم، ووعدهم فلم يُخلفهم؛ فهو ممَّن كمُلت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوَّته. وقيل: علوِّ الهمَّة من الإيمان.

وقال الشاعر:

إن المروءة ليس يدركها امرؤٌ ... ورث المكارم عن أبٍ فأضاعها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمرته نفسٌ بالدناءةِ والخنا [١] ... ونهته عن سبل العلا فأطاعها

فإذا أصاب من المكارمِ خلة [٢] ... يبني الكريمُ بها المكارم باعها

وقال آخر:

وما المرء إلا حيثُ يجعل نفسه... فكن طالباً في النَّاسِ أعلى المراتبِ

وقال غيره:

وكن على الدهر معواناً لذي أملٍ ... يرجو نداك [٣] فإنَّ الحُرَّ مِعْوَانُ

وقال غيره:

وإذا كانتِ النفوس كبارا ... تعبت في مرادها الأجسامُ

---

(١) الخنا: الفحش.

(٢) خلة: خصلة.

(٣) نداك: جودك.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ القناعة

وهي الرضا بما قُسمَ للمرء من متاع الحياة الدنيا، وعدم النظر إلأى ما للغير، فليس للحياة بدون قناعةٍ لذّةٌ، ولا من غير رضا قيمة، وما ضاقت الدنيا إلا في وجه من اتَّخذَ الجشع طبعاً، والحرص ديدناً، ولا عاش سعيداً إلا من كان الرضا حليفه، والزهد قرينه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ١٣١).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ) (١). ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام –أنه قال: (انْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ، وَمَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ، رَضِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ) (٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩٥/٨، برقم: ٦٤٤٦، ومسلم: ٧٢٦/٢، برقم: ١٠٥١.العرض: المال والمتاع.

(٢) ضعيف، رواه البيهقي في الشعب: ٣٥٥/١٢،برقم: ٩٥٣١، وفي الآداب: ٧٥٩/٣٠٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه عليه السلام أنَّه قال: (اتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ) (١)، وعنه أنه قال: (طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِهِ) (٢).

وقال عليٌّ: من رضي بما قُسِمَ له، استراح قلبه وبدنه.

وقال أكثم بن صيفي: من باع الحرص بالقناعةِ، ظفر بالغنى والثروة.

وقال سعد بن أبي وقَّاص: يا بُنيَّ إذا طلبتَ الغنى فاطلبه في القناعة فإنها مالٌ لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر.

---

(١) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤/٥٥١، برقم: ٢٣٠٥، والطبراني في الأوسط: ٧/١٢٥، برقم: ٧٠٥٤.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٢/٤٨٠، برقم: ٧٠٥، والترمذي في سننه: ٤/٥٧٦، برقم: ٢٣٤٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض الحكماء: إن من قنع كان غنيّاً، وإن كان مُقتراً -مفتقراً، ومن لم يقنع كان فقيراًوإن كام مُكثراً-ذو مال.

وقال آخر: القناعة عن المعسر والصدقة حرزُ الموسر.

وقال غيره: من أيقن أن الرزق الذي قُسمَ له لا يفوته تعجَّلَ راحته، ومن علم أن الذي قُضيَ عليه لم يكن ليُخطئه فقد استراح من الجزع، ومن علم أن مولاه خيرٌ له من العباد فقصده كفاه همَّه، وجمع شمله.

وقال غيره: اشترِ ماء وجهك بالقناعة، وتسلَّ عن الدنيا بتجافيها (١) عن الكرام.

وقال بعض الصُّلحاء: يا ابن آدم لا تخشَ من ضيق الرزق ما دامت خزائن الله ملآنة، وخزائنه لا تنفد أبداً، ولا تأنس بغير الله، فإن أنست بغير الله أنِستَ بغيره تعالى فاتك الخيرُ كُلُّه، وارضَ بما قسم الله لك، فتريح قلبك وبدنك، ولا تطالبه برزق غدٍ، كما لا يُطالبك بعملِ غدٍ، فإنه لا ينسى

(١) التجافي: البعد والقطيعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من عصاه، فكيف ينسى من أطاعه؟، وهو على كُلِّ شئ قدير، وبكل شئ محيط.

وقال آخر: سرور الدُّنيا أن تقنع بما رُزقتَ، وغمُّها أن تغنمَ لما لم تُرزق.

وقال بعض العقلاء: قليل يكفي خيرٌ من كثيرٍ يُطغي [١].

وقال آخر: اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لم يخطر ببالك فلم تقُلهُ. وقال غيره: من رضي بما قسم الله له بارك له فيه.

وقيل: القناعةُ رأسُ الغنى.

وقيل: القناعةُ مالٌ لا بنفد، وكنزٌ لا يفنى.

وقال عليٌّ بن أبي طالب:

أفادتني القناعةُ كُلَّ عزٍ ...وأيُّ عنى أعزُّ من القناعه
فصيِّرها لنفسك رأس مالٍ ...وصيِّر بعدها التقوى بضاعة

---

(١) أطغاه: جعله طاغياً أي مُسرفاً في المعاصي والظلم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال أبو العتاهية [1]:

غنى النفس ما يكفيك من سدِّ فاقةٍ [2] ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

وقال أبو فراس الحمداني [3]:

إن الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ...ولو أنَه عارِ المناكبِ حافِ

ما كُلُّ ما فوق البسيطةِ كافياً ...وإذا قنعتَ فبعضُ شئ كافِ

وقال الشَّاعرُ:

ومن يطلبِ الأعلى من العيش لم يزل ...حزينا على الدنيا رهينُ غُبونها [4]

---

(١) هو: أبو اسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي (من قبيلة عنزة) بالولاء، الشهير بـ أبي العتاهية: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع. كان ينظم المئة والمئة والخمسين بيتا في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل. وهو يعدّ من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما، وتوفي سنة (٢١١ هـ /٨٢٦م). الأعلام للزركلي (١/ ٣٢١).

(٢) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٣) هو: أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحَمْدَاني: أمير، شاعر، فارس. وهو ابن عم سيف الدولة. كان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك –يعني امرأ القيس وأبا فراس –وله وقائع كثيرة، وتوفي سنة (٣٥٧هـ/ ٩٦٨م). الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٥).

(٤) غبونها: خداعها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن ... على حالةٍ إلا رضيتَ بدونها

وقال آخر:

اقنع بأيسر رزقٍ أنت نائلُهُ ... واحذر ولا تتعرَّض للإراداتِ
فما صفا البحرُ إلا وهو منتقصٌ ...ولا تُعكِّر إلا في الزياداتِ

وقال غيره:

ورأيت أسباب القناعة أُكِّدت ...بِعُرَى الغنيِّ فجعلتها لِيَ معقلا [١]
فإذا نبـا بي منزلٌ جــاوزتهُ ... وجعلتُ منه غيره لي منــزلا [٢]
وإذا غـلا شئٌ عليَّ تركته ...فيكـونُ أرخصُ ما يكونُ إذا غلا

وقال غيره:

كفـى من العيشِ ما قد سدَّ من عِوَزٍ ...ففيه للحُرِّ قُنيـانٌ وغُنيـانُ [٣]
وذو القناعةِ راضٍ من معيشته ...وصاحب الحرص إن أثرى فغضبانُ [١]

---

(١) معقلا: ملجأ.

(٢) نبا: لم يوافقني.

(٣) عوز: فقر. قنيان: غنى



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال غيره:

فاقنع ففي القناعةِ راحةٌ ...ولقد كُسي ثوب المذلة أشعبُ

وقال غيره:

العيش لا عيش إلا ما قنعت به ... قد يكثر المال والإنسان مفتقرُ

وقال غيره:

واقنع فما كنز القناعةِ نافدٌ ... وكفى بها عزّاً لغيرِ مُماري [٢]

❁ ❁ ❁

(١) أثرى: صار غنيّاً.

(٢) مماري : جامع المال.

## العفّة

هي اجتناب ما لا يحلُّ ولا يجمل، وصدُّ النفس عن تتبع شهواتها الدنيئة، أو السَّير وراء أطماعها الرديئة، فما أسعد من ملك عنان نفسه، وقبض على زمامها، فإنَّه يأمن من الوقوع في مهاوي الرَّدى ومواطن الهلاك، وما أشقى من ترك لنفسه الحبل على غاربها، فغرقت في لذاتها وشهواتها، فبشره بسوء المنقلب، وسيعلم بعد الصَّدمةِ الأخرى عاقبة غيِّهِ، ويندمُ ولات حين مندمِ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:٦)، وقال جل شأنه: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة:٢٧٣).

وقال عزَّ وجل: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣).

وروي عنه الصلاة والسلام: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ فِيهِ ثَلَاثَ خِلَالٍ: فِقْهَهُ فِي الدِّينِ، وَزُهْدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَبَصَرُهُ–عرَّفهُ –عُيوبَهُ) (١).

❁ وقد أوصى الإسلام المرء ألا يكون عبد بطنه، يعيش في الدنيا ليأكل، وليس له همٌّ إلا أن يجمع على مائدته ألوان الطعام، فإذا حشد ما لذَّ وطاب سُرَّ قلبه واطمأنَّ لُبُّه، وإلا تغيَّر وتغيَّظ وحسب أن القدر يكيد له!!.

وهؤلاء القوم لا يصلحون للأعمال الجليلة، وليست لديهم همَّةٌ ترشحهم لجهاد أو تضحي، ومن المعلوم أن اكتظاظ المعدة ينشأ عنه عدد كبير من الأمراض الشديدة والعلل المنهكة.

ولذلك جاء في الحديث عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ (٢) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْ وِعَاءٍ مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِه، بحَسْبُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/٢٤٠، برقم: ٣١٠٤٩، والبيهقي في الشعب: ١٣/١٢٢، برقم: ١٠٠٥٣.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو كريمة المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بن سيار، الكندي، قدم في صباه من اليمن مع وفد كندة على النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانين راكباً، وسكن الشام بعد ذلك. ومات بحمص سنة (٨٧ هـ/ ٧٠٦م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ، يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[(١)].

❁ والحقُّ أن ملذات الطعام وحطام الدنيا أنزل من أن يتفانى الناس فيها على هذا النحو الشائن الذي نراه في عصرنا هذا، حتى بلغوا من التشبُّعِ والامتلاء أن يبتكروا وسائل جديدة للطهيّ، وضروباً جديدة للأطعمة، وفي الحديث عن سَلْمَانَ الفارسيِّ[(٢)]، قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا، أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[(٣)].

---

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤/١٦٨، برقم: ٢٣٨٠، وابن حبان في صحيحه: ٢/٤٤٩برقم: ٦٧٤.

(٢) هو: الصحابي الجليل سلمان الفارسيّ: صحابي: من أقدميهم. كان يسمي نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، وأظهر إسلامه. وكان قويّ الجسم، صحيح الرأي، عالما بالشرائع وغيرها، وتوفي سنة (٣٦ هـ/ ٦٥٦م). الأعلام للزركلي (٣/ ١١١).

(٣) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: ٢/١١١٢، برقم: ٣٣٥١، والبيهقي في الشعب: ٧/٤٤٢، برقم: ٥٢٥٥.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (سَيَكُونُ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَيَشْرَبُونَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ، وَيُلْبِسُونَ أَلْوَانَ اللِّبَاسِ، وَيَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي) (١).

❁ وليست الهمَّةُ في أن يُخفِّفَ الإنسان أكله أو يمتنع عنه، بل الهمَّةُ أن يشغل نفسه بغاية كُبرى ومطمح كبير ويسعى لتحصيله، فإن هذا يصرفه عن فنون اللهو وأنواع الملذات الرخيصة، وذلك أن الرجل إذا انتقل من طور الجاهلية إلى طور النور شعر بروعة الانتقال، وغلب على تفكيره التعرف إلى موقفه من ربّه، وتكاليف دينه، فترتفع همَّته إلى تأسيس حياة أرقى وأفضل، حتى يعزف عن كل متع الدنيا .. إذا صدق .

فعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ (٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مَطْعَمَ ابْنِ آدَمَ جُعِلَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا، وَإِنْ قَزَّحَهُ، وَمَلَّحَهُ فَانْظُرُوا إِلَى مَا يَصِيرُ؟؟) (١).

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ١٠٧/٨، برقم: ٧٥١٢، وأبو نعيم في الحلية: ٩٠/٦.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو المنذر، أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ – على قلة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وليس معنى هذا أن يبتعد الإنسان عن الحياة ويترك طيباتها، ويهجر النعم التي فيها -أبداً-؛ لأن تحريم الحلال فيها، كتحليل الحرام جريمة منكرة، ولكن حق الله على المسلم أن لا يغلب الحرام صبره، ولا الحلال شُكره، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣).

وكان النَّبيُّ ﷺ وأصحابه ينزلون عند قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة:٨٧).

❁ ولا شك أن للبدن مطالب، أجمع العقلاء على أن انتقاصها إضرارٌ به، فكُلُّ زهدٍ أو تصوُّفٍ يغضُّ منها فالإسلام منه برئ، والحملات

---

العارفين بالكتابة في عصره - ولما أسلم كان من كتاب الوحي، ومات بالمدينة سنة (٢١ هـ/ ٦٤٢م). الأعلام للزركلي (١/ ٨٢).

(١) حسن، رواه احمد في مسنده: ٣٥/١٦١، برقم: ٢١٢٣٩،وابن حبان في صحيحه: ٢/٤٧٦، برقم: ٧٠٢. قزَّحَه: وضع عليه التوابل.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

التي شنَّها الإسلام على الماديَّة إنما تعني بالدرجة الأولى أولئك المترفين الغاقين في شهواتهم.

وفي الآثار: (مَا زَانَ اللهُ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَفْضَلَ مِنْ زَهَادَةِ الدُّنْيَا وَعَفَافٍ فِي بَطْنِهِ وَفَرْجِهِ) (١).

❁ وأوصى الإسلام بالعفَّةِ في اللباس، فكره للرجل أن يُباهي بها، أو يختال فيها، فحسن البزَّةِ (٢) ليست من عناصر الرجولة، أو من مقومات الخلق العظيم، فرُبَّ امرئ لا تساوي ثيابه درهماً ترجح نفسه بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة؛ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ) (٣).

❁ ومن الحماقة أن يجعل الشاب من جسمه معرض أزياء يسير بها بين النَّاس، يترقب نظرات الإعجاب تنهال عليه من هن وهناك، بل إن فتياناً أغرار يقضون الساعات الطوال في البيوت ليستكملوا وجاهتهم ويطمئنوا

(١) رواه أبو نُعيم في الحلية: ١٧٧/٨.

(٢) البزة: الهيئة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٢٤/٤، برقم: ٢٦٢٢، وابن حبان: ٤٠٣/١٤، برقم: ٦٤٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على أناقتهم، ولو أنهم كَلِفوا بقضاء هذا الوقت في التزيُّد من العم، أو التفقُّه في دين الله ما فعلوا ولنكصوا على أعقابهم!!، إنهم يحسبون اتساق الملابس على أجسامهم شارة على الكمال وكفى!! .

وقد ندَّد الإسلام بهذا الطيش ونفَّر المسلمين من ذلك؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ) (١).

❁ والحق أن أولئك المفتونين باللباس من الرجال والنساء، لمَّا قلَّت حظوظهم من آداب النفس، ظنُّوا أن المغالاة في اللباس تستر ذلك النقص، ولكن هيهات هيهات، وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ (٢)، قَالَ: (أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً مُلَبَّدًا، وَقَالَتْ: فِي هَذَا نُزِعَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ) (٣).

---

(١) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: ١١٩٢/٢، برقم: ٣٦٠٦، والبيهقي في الشعب: ٢٧٤/٨، برقم: ٥٨١٧.

(٢) هو: أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأَشْعَري، قاضي الكوفة. كانت له مكارم ومآثر وأخبار، توفي سنة (١٠٣ هـ/ ٧٢١م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٨٣/٤، برقم: ٣١٠٨، والترمذي في سننه: ٢٧٦/٣، برقم: ١٧٣٣. ملبَّداً: أي مرقَّعاً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ثُمَّ إن الاستغناء عن الفضول، والاكتفاء بالضرورات من آيات الكمال في الخُلُق، ذلك أن فضول العيش سببٌ في الاشتغال بها والالتفات إليها ونسيان الآخرة؛ فالإسلام يُحبُّ البساطة المطلقة في تأسيس البيوت وتأثيثها؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (حَضَرْنَا عُرْسَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَمَا رَأَيْنَا عُرْسًا كَانَ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَهَيَّأَ لنا رَسُولُ اللَّهِ زَيْتًا وَتَمْرًا، فَأَكَلْنَا وَكَانَ فِرَاشُهُمَا لَيْلَةَ عُرْسِهِمَا إِهَابُ كَبْشٍ)[1].

❁ ولا يفهم من هذا أن الدِّين يُحبُّ الملابس الرزيّة والهيئات الرثَّة، أو يندب إلى لبس المرقعات وارتداء الخِرَق؛ بل إن الإسلام يُحبُّ لأتباعه التجمُّل وحسن السَّمْتِ، والفرق كبير من يزخرف ظاهره ويهمل باطنه، وينفق خير وقته في رياش يلصقها بجسمه، وبين من يجعل همَّه الأكبر هو صيانة دينه، واستكمال مروءته، ثُمَّ ينسى في زحمة الواجبات ارتداء ما يَجمُل به، ويلقى الناس به...

---

(١) إسناده حسن، رواه الطبراني في الأوسط: ٦/٢٩٠، برقم: ٦٤٤١، وفيه مسلم بن خالد الزنجي، ضعيف، وقد وثق، وتفرد به ميمون بن كليب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسأل رجلٌ ابن عمر رضي الله عنه: (مَا أَلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ؟، قَالَ: مَا لَا يَزْدَرِيكَ فِيهِ السُّفَهَاءُ وَلَا يَعِيبُكَ بِهِ الْحُكَمَاءُ)[١].

وعن عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ[٢] قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)[٣].

❁ إن العالم اليوم يستقبل في فصول العام بدعاً في دنيا الأزياء ليس لها حصرٌ ولا عد، حتى عاد النَّاسُ عبيداً لهذا الشطط السمج، المفروض علينا من قبل أعداء الله ورسوله ﷺ، وهذا هوسٌ يبرأ الإسلامُ منه، وينزه الأتقياء عنه.

---

(١) إسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ٢٦٢/١٢، برقم: ١٣٠٥١، وأبو نعيم في الحلية: ٣٠٢/١.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد، الخزاعي، من علماء الصحابة. أسلم عام خيبر (سنة ٧ هـ) وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة. وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم. وولاه زياد قضاءها. وتوفي بها. وهو ممن اعتزل حرب صفين، وتوفي سنة (٥٢ هـ/ ٦٧٢م). الأعلام للزركلي (٥/ ٧٠).

(٣) إسناده صحيح، رواه أحمد في مسنده: ١٥٩/٣٣، برقم: ١٩٩٣٤، والبيهقي في الشعب: ٢٦٢/٨، برقم: ٥٧٨٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي الآثار: (أَربع من كُنَّ فِيهِ حرمه الله تَعَالَى على النَّار وَحفظه من الشَّيْطَان: من ملك نَفسه حِين يرغب وَحين يرهب وَحين يغْضب وَحين يَشْتَهِي) [1].

وفي الآثار: (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْيًا عَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) [2].

وقال عليٌّ: الزهد ثَروة، والورع جَنَّة، ونعمَ القرينُ الرِّضا.

وقال أنشروان لابنه هرمز: الكامل المروءة من حصَّنَ دينه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه. وقال ابن المقفع: الهوى آفة العفاف.

وسئل عمرو بن العاص [1] عن المروءة؟ فقال: هي العفَّة عمَّا حرَّم الله تعالى، والحِرفَةُ فيما أحلَّ الله تعالى.

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ٤/٥٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٤/٤٦٧، برقم: ٢٢١٨٦، والبيهقي في الشعب: ١٣/١٨، برقم: ٩٨٩٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحكماء: من أحبَّ المكارم اجتنب المحارم.

وقال آخر: عار الفضيحة يكدر لذتها. وقال غيره: الرضا بالكفاف [٢] يؤدي إلى العفاف. وقيل لسفيان: ما الزهد في الدنيا؟، فقال: الزهدُ في النَّاس.

وقيل: عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ، وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ تبركم أبناؤكم.

وقيل: ما زاد الله عبداً بعفَّةٍ إلا عزّاً.

وقال بشار بن برد [٣]:

ولقد أصرف الفؤاد عن الشيءِ ...حيــاءاً وحُبُّه في السَّـــوادِ

---

(١) هو: أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبيّة، وله أخبارٌ كثيرة، وتوفي سنة (٤٣ هـ/ ٦٦٤م). الأعلام للزركلي (٥/ ٧٩).

(٢) القوت الذي يكفي صاحبه ويغنيه عن السؤال.

(٣) هو: بشار بن برد العُقيلي، بالولاء، أبو معاذ: أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان (غربيّ نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة (عُقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريراً، وتوفي سنة (١٦٧ هـ- ٧٨٤م). الأعلام للزركلي (٢/ ٥٢).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أُمسك النَّفسَ بالعفاف وأُمسي ...ذاكراً في غدٍ حديث الأعادي

وقال الشاعر:

إن القنــــاعة والعفاف ...ليغنيــــانِ عن الغِنى

فإذا صبرتَ عن المنى ...فاشكر فقد نلت المُنى

وقال آخر:

عِفُّوا تعفُّ نساؤكم في المحرَمِ ...وتجنَّبوا ما لا يليقُ بِمُسلمِ

وقال غيره:

ما الحظُّ إلا امتلاكُ المرءِ عِفَّتَهُ ... وما السَّعادةُ إلا حُسنُ أخلاقِ

❁ ❁ ❁

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## المشورة

استطلاعُ المرءِ آراء من عركوا [(١)] الدَّهر وعركهم، من ذوي الأفكار الصائبة، والعقول الراجحة في مسائل الحياة قبل الشروع فيها حتى لا يصيبه منها ضرر، ولا يمسه فيها زلل، وما ضل من استشار، ولقد كان الألى مع ما كانوا عليه من العقول الظاهرة، والأفكار السامية لا يشرعون في عملٍ إلا إذا عقدوا الجماعات، وطرحوا الأمر بينهم شورى، يتباحثون فيه حتى يتبينوا الطريق الأوضح فيسلكوه، ويعرفوا السبيل الوعر فيجتنبوه، وبهذا قضوا حياتهم سعداء آمنين مطمئنين.

وقد أمر الله تعالى به نبيَّه فقال جلَّ شأنه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨).

وروي عنه الصلاة والسلام: (مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ) [(٢)].

---

(١) عركوا: خاضوا وخبروا.

(٢) ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط: ٣٦٥/٦. برقم: ٦٦٢٧، وفيه عبد السلام بن عبد القدوس، وكلاهما ضعيف جداً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عمر بن الخطاب: الرجال ثلاثة؛ رجلٌ ترد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه، وينزل حيث يأمره أهل الرّأي، ورجلٌ حائرٌ بأمرهِ لا يأصتمر رشداً، ولا يُطيعُ مرشداً.

وقال عليٌّ: نِعمَ المؤازرة [١] المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد.

وقال أيضاً الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه.

وقال عمر بن عبد العزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمةٍ، ومفتاحا بركةٍ، لا يضلُّ معهما رأي، ولا يُفقد حزم.

وقال لقمان الحكيم لابنه: شاور من جرَّبَ الأمور فإنَّه يُعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه مجَّاناً.

وقال عبد الملك بن مروان [٢]: لأن أخطئ وقد استشرتُ أحبُّ إليَّ من أن أُصيبَ وقد استبددتُ برأيي من غير مشورة.

---

(١) المؤازرة: المساعدة.

(٢) هو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا. وشهد يوم الدار مع أبيه. واستعمله معاوية على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد (١): احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان عدواً، فإنه يوشِكُ أن يورطك (٢) بمشورته، فيسبقُ إليك مكر العاقل، وتوريط الجاهل.

وقال الجاحظ: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب، والمستشير على طرف النجاح، واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور، وحزم التدبير.

وقال سيف بن ذي يزن (١): من أعجب برأيه لم يُشاور، ومن استبدَّ برأيه كان من الصواب بعيداً.

---

المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه (سنة ٦٥ هـ) فضبط أمورها، وتوفي سنة (٨٦ هـ/ ٧٠٥م) الأعلام للزركلي (٤/ ١٦٥).

(١) هو: ، أبو محمد، عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الهاشمي القرشي، تابعي. من أهل المدينة، قال الطبري: كان ذا عارضة وهيبة ولسان وشرف. وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز. ولما ظهر العباسيون قدم مع جماعة من الطالبيين، على السفاح، وهو بالأنبار، فأعطاه ألف ألف درهم. وعاد إلى المدينة. ثم حبسه المنصور، عدة سنوات، من أجل ابنيه محمد وإبراهيم. ونقله إلى الكوفة، فمات سجينا فيها، كما حققه الخطيب البغدادي، وتوفي سنة (١٤٥ هـ/ ٧٦٢م) الأعلام للزركلي (٤/ ٧٨).

(٢) يورطك: يوقعك في الهلاك.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عبد الحميد الكاتب [٢]: المشاور في رأيه ناظرٌ من ورائه.

وقال بعض الحكماء: من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة، ومن الأطباء عند المرض، ومن الفقهاء عند الشُّبَه [٣]، فقد قتل نفسه.

وقال آخر: من استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول.

وقال غيره: إذا شاورت العاقل كان عقلك لك.

وقال غيره: من شاور أهل النصيحة سلم من الفضيحة.

وقال غيره: لا يهلك امرؤٌ عن مشورة.

---

(١) هو: سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم. قيل اسمه معد يكرب. ولد ونشأ بصنعاء، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، وقتل سنة (٥٠ ق هـ/ ٥٧٤م) الأعلام للزركلي (٣/ ١٤٩).

(٢) هو: عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري، بالولاء، المعروف بالكاتب عالم بالأدب، من أئمة الكتاب. كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري، فنسب إلى بني عامر. يضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون، وتوفي سنة (١٣٢ هـ/ ٧٥٠م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٩).

(٣) الشبهة: الالتباس في الأمر.

www.alukah.net

وسئل بعضهم: أيُّ الأمور أشدُّ تأييداً للعقل؟، وأيُّها أشدُّ إضراراً به؟، فقال أشدها تأييداً ثلاثة؛ مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبُّت، وأشدها إضراراً به ثلاثة؛ الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضلَّ، ومن اكتفى بعقله زلَّ.

وقال بعض البلغاء: الخطأ مع الاسترشاد أحمدُ من الصواب مع الاستبداد.

وقال آخر: من الحزم لكلِّ ذي لُبّ ألا يُبرمَ-يبتَّ -أمراً، ولا يمضي عزماً إلا بمشورةِ ذي الرأي الناصح، ومطالعةِ ذي العقل الراجح.

وقال غيره: من حقِ العاقلِ أن يُضيفَ إلى رأيه رأيَ العُقَلاء، ويجمعَ إلى عقله عقول الحكماء، فالرأيُ الفذ –الفرد –ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل.

وقال غيره: إذا أشكلت عليك الأمور، وتغيَّر لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع-الجأ -إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستعداد، فلأن تسأل وتسلم، خيرٌ لك من أن تستبدَّ وتندم.

وقيل في منثور الحكم: من أكثر من المشورة، لم يُعدم عند الصواب مادحاً، وعند الخطأ عاذراً. وقيل أيضاً: من أعجبته آراؤه غلبته أعداؤه. وقيل: من كمال عقلك استظهارك–استعانتك –على عقلك برأي غيرك.

وقال أحد الحكماء: لقِّحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة. وقيل: الحزم أن تشاور ذا رأيٍ ثُمَّ تُطيعه.

وقال بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ...برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ...فإن الخوافي قوَّةٌ للقوادِمِ [١]

وقال صفي الدين الحِلّي [١]:

---

(١) غضاضة: ذلة ومنقصة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مــن دبَّر العيش بالآراءِ دام لــه ... صفــوا وجاء إليه الخطبُ مُعتذرا
يهون بالرأي ما يجري القضاءُ به ... من أخطأ الرأي لا يستذنبُ القدرا

وقال الشاعر:

إن اللبيب إذا تفرَّق أمره ... فتقَ الأمور مناظرا ومشاورا [٢]
وأخو الجهالةِ يستبدُّ برأيهِ ...فتراه يعتسف الأمورَ مُخاطرا [٣]

وقال آخر:

الرأي كالليلِ مُسودٌّ جوانبه ...والليل لا ينجلي [٤] إلا بإصباحِ
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى ...مصباح رأيك تزدد ضوءً مصباحِ

وقال غيره:

---

(١) هو: أبو الفضل صفيّ الدين عبد العزيز بن سرايا لسان الأدب الحلّي، أبو البركات الطائ الأديب الشاعر العروضي المعروف بابن السرايا المتوفي ببغداد سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م). انظر معجم تاريخ التراث الإسلامي (٣/ ١٧٥٩).

(٢) الفتق: هو الشق، والغرض منه الكشف والإيضاح.

(٣) يتعسَّف: يقدم عليها ويفعلها على غير هداية، ولا دراية.

(٤) لا ينجلي: لا ينكشف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

تأنَّ وشاور فإنَّ الأمور ...منها جليٌّ ومستغمضُ (١)
فرأيانِ أفضلُ من واحدٍ ...ورأي الثلاثةِ لا يُنقضُ (٢)

وقال غيره:

عقل الفتى ليس يُغني عن مشاورةٍ ...كحدَّةِ السَّيفِ لا تُغني عن البَطَلِ
إن المُشاوِرَ إمَّا صائبٌ غرضا... أو مخطئٌ لا غير منسوبٌ إلى الخَطَلِ (٣)

وقال غيره:

شاور سواك إذا نابتك نائبةٌ ...يوماً وإن كنت من أهل المشوراتِ (٤)
فالعينُ تنظرُ منها ما دنا ونأى (٥) ... ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ

وقال غيره:

خليليَّ ليس الرأيُ في صدر واحدٍ ...أشيرا عليَّ اليومَ ما تريانِ

---

(١) مستغمض: غير واضح.

(٢) لا ينقض: لا يبطل.

(٣) الخطل: الخطأ.

(٤) نابتك نائبة: جاءتك مصيبة.

(٥) دنا ونأى: أي قَرُبَ وبَعُدَ.

www.alukah.net



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ❁ الرويّة والتؤدة

هما الشروع في الأعمال بعد التفكر فيها، والوقوف على عواقبها، قم السير فيها مع التأنِّي؛ ليكون الإنسان بعيداً عن الخطل، مصوناً من الزلل، فإن الطَّيش والخفَّة كثيراً ما كانا سبباً في الأضرار، وفساد الأعمال، وعدم الوصول إلى الغرضِ منها، وإنَّ نجاح الأمل لمعقود دائماً لمن سلك سبيل التأمل، وعبر طريق التأني، والسلامة حليف من ضرب في الأمور بفكرٍ حاضر، وجنان [1] ثابت.

قال الله تعالى تحذيراً من العجلة: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء:٣٧).

وقال رسول الله ﷺ: (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) [2].

---

(١) جنان: قلب.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٥٥، برقم: ٤٨١٠، والحاكم في المستدرك: ١/١٣٢، برقم: ٢١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ فإذا جال في خاطرك أن تشرع في عمل ففكر فيه بادئ ذي بدئ، وافحص موارده ومصادره، واقتله بحثاً وتمحيصاً، وأحط بما يكتنفه من العوامل، وتفهّم الأسباب والوسائل التي توصلك إليه، وأمعن النظر في الموانع التي تحول بينك وبين الوصول إليه، واستشر فيه أهل الذكر ممن لهم فيه تجارب صادقة وآراء ثاقبة، ووازن بين آرائهم وتخير أسدها وأنفذها حكما، ثم أقدم على ما فكرت فيه من قبل، وحينئذ تكون قد اختمرت الآراء، فتصيب شاكلة الصواب، فيتم لك والنجاح ، ويكلل عملك بالفوز والفلاح، وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَأَمْضِهِ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَانْتَهِ) [1].

وقال عليه السلام: (إِذَا أَرَدْتَ أَمْرًا فَعَلَيْكَ بِالتُّؤَدَةِ حَتَّى يُرِيَكَ اللَّهُ مِنْهُ الْمَخْرَجَ، أَوْ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكَ مَخْرَجًا) [2].

---

(١) إسناده حسن، رواه هناد بن السري في الزهد: ٣٠١/١، برقم: ٥٣١، وابن المبارك في الزهد: ٢٤١/ ١٦. أمضِهِ: أنفذه.

(٢) ضعيف، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٨٨٨/٣٠٦، والبيهقي في الشعب: ٤٠٧/٢، برقم: ١١٤٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكثيراً ما رأينا أعمالاً فشلت ودعائم تقوضت، وانقلبت رأساً على عقب؛ لأنها نفذت والرأي فيها فطير لم يختمر بعد، فعنه ﷺ قال: (التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) [١].

وكما قيل:

قدم لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقاً من غُرَّةٍ زَلِجَاً [٢]

وقال عليٌّ: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعِ خصالٍ فهو خليقٌ ألا ينزل به مكروه؛ اللُّجاج [٣]، والعجلة، والتواني، والعُجب، فثمرة اللجاج الحيرة، وثمرة العجلةِ الندامة، وثمرة التواني الذِّلَّة، وثمرة العُجب المقت.

وقال أيضاً: لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده، فإنَّ النَّاس لا يسألون في كم فرغ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودته.

---

(١) صحيح، رواه البيهقي في الشعب: ٦/٢١١، برقم: ٤٠٥٨، والخرائطي في مكارم الأخلاق: ٦٨٦/٢٢٨.

(٢) زلقاً: مع الانحراف. غرة: مرتفع. زلجاً: سقط ووقع.

(٣) اللجاج: التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال المُهلَّب: أناة في عواقبها دَركُ خيرٌ من عجلةٍ في عاقبتها فوت.

وقال بعض الحكماء: مع العجلة الندامة، ومع التأنِّي السلامة.

وقال آخر: من تأنَّى نال ما تمنَّى.

وقال غيره: طلب ما لا يُدرك عجز، ورُبَّ عجلةٍ تُعقِبُ تأخيراً.

وقال بعض الأدباء: لا يجد العجول فرحاً، ولا الغَصوب سروراً، ولا المّلول [(١)] صديقاً.

وقال آخر: يد العجلة تغرسُ شجرة الندامة.

وقال الفقهاء: من استعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وقال غيره: من أسرع في الجواب حاد [(٢)] عن الصواب.

---

(١) الملول: كثير الملل؛ أملَّ الشئَ أي سئمه فهو سؤوم.

(٢) حاد: مال عنه وعدل.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال أحد العلماء: من ركب العجل أدركه الزلل.

وقال الشيرازي: على النَّابِلِ أن يتأنَّى فالسهم متى انطلق فإنه لا يعود. وقال آخر: التأني حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة. وقال بعض العقلاء: العجول مخطئ وإن ملك، والمتأني مصيبٌ وإن هلك.

وقال آخر: إيَّاك والعجلة، فإنَّها تُكنَّى أمُّ الندامة؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيبُ قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يُفكِّر، ويحمد قبل أن يُجرِّب.

وقيل: لا تقل بغير تفكير، ولا تعمل بغيرِ تدبير. وقيل أيضاً: من فكَّر أبصر.

قال علي بن أبي طالب:

الرفق يمن والأناة سعادةٌ ... فتأنَّ في أمرك تلق نجاحا

وقال الثعلبيُّ:

قد يُدرك المتأنِّي بعضَ حاجتهِ ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقد تفوت على قومٍ حوائجهم... مع التراخي وكان الرأيُ لو عجلوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال المتنبِّي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هي أوَّلٌ وهي المحلُّ الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرَّةٍ ...بلغت من العلياءِ كُلَّ مكان
ولربما طعن الفتى أقرانَه ... بالرأي قبل تطاعُنِ الأقران

وقال أبو الفتح البُستي:

فللتدبير فُرسانٌ إذا ركضوا ... فيها أبرُّوا كما للحربِ فرسان (١)
وللأمور مواقيتٌ مُقدَّرةٌ ... وكلُّ أمرٍ له حدٌّ وميزان
فلا تكن عَجِلاً في الأمرِ تطلبه ... فليس يُحمدُ قبل النُّضجِ بُحران (٢)

قال الشاعر:

تأنَّ في أمرك وافهم عنِّي ...فليس شيءٌ يعدلُ التأنِّي
تأنَّ فيه ثُمَّ قل فإنِّي ... أرجو لك الإرشاد بالتأنِّي

وقال الشاعر:

---

(١) ركض إذا عدا وجرى.

(٢) النضج: إحكام الرأي، بُحران: التغير دفعة واحدة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذو الحزمِ لا يبتدي أمراً يهِمُّ به ... حتَّى يُطالعَ ما تبدو عواقبه

وقال آخر:

وأستأنِ تظفر في أمورك كُلِّها ... وإذا عزمتَ على الهدى فتوكَّلِ

وقال غيره:

ومن لم يتَّئد في كُلِّ أمرٍ ... تخطَّاهُ التدارك والمنَال

وقال غيره:

تأنَّ متئداً فيما ترومُ ولا ... تعجل وإن خُلقَ الإنسانُ من عجلِ

وقال غيره:

تأنَّ ولا تَضِق ذرعاً ... فكم بالنُّجحِ يظفَرُ مَن تأنَّى

وقال غيره:

خليليّ لا تستعجلا وانظرا غداً ... عسى أن يكون الرِّفقُ في الأمر أرشدُ

❁ ❁ ❁

www.alukah.net

شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الاتحاد والتعاون

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان اجتماعيَّاً بطبيعته، لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفرداً، ولا الحصول على لوازمه وحده، بل لا بد له من مشاركة غيره، وقد اشتهر عن الحكماء أنَّ الإنسان مَدَنيٌّ بطبعه، ولهذا كان الاتحاد والتعاون من أكبر لوازم الحياة لتذليل صعابها، والتغلب على مشقاتها، وإنَّ ما نشاهده من إنجاز الأعمال، والفوز بثمرة نتائجها لجماعة المتعاونين، وما نراه من خِذلان الفرد الشاذ في جميع أحواله لأكبرُ دليلٍ واضحٍ على عظم فوائد الاتحاد والتعاون، فكيف بعد هذا لا يتضافر المرءُ مع أخيه ويتعاونان معاً في كُلِّ أمورهما، حتَّى تتضاعفَ جهودهما، فيصلا إلى مآربهما؟، ثُمَّ هو يعلم أن الحشرات الصغيرة تتعاون على جلبِ قوتها، وتتحدُ على مُحاربةِ من يتعرَّض لها بأذى، أو يمسَّها بسوء، وهو أحرى بذلك منها؛ لما تميَّز به من العقل والفكر.

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران:١٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حذر الله المسلمين من الخلاف في الدين والتفرُّق في فهمه شيعاً متناحرة متلاعنة؛ كما فعل الأولون؛ فقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩).

وقال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

❁ وقد جاء الخطاب الإلهي مُقرّاً لهذا الوضع، فلم يتجه للفرد وحده، بل تناول الجماعة كلها بالتأديب والإرشاد، والأمر والنهي، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج: ٧٧-٧٨).

وإذا وقف المسلم بين يدي الله ليناجيه ويتضرّع إليه، لم تكن عبوديته منفصلة عن عبودية إخوانه، بل هو طرفٌ من مجموع متناسق مترابط؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥)، ثم تراه يسأل الله من



شبكة الألوكة - قسم الكتب

خيره، من غير أن يختصَّ نفسه بالدعاء، بل يطلب رحمة الله له ولغيره؛ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (الفاتحة:٦-٧).

❁ إن الله عز وجل لم يخل الخلق لكي ينقسموا ويتفرقوا، ويختلفوا، بل جعل الغاية أبعد من ذلك؛ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣)، وشرع لهم ديناً واحداً، وأرسل أنبياءه تترى ليقودوا الناس كافة في طريق واحد، وحرَّم عليهم من الأزل أن يتفرقوا ويتصدعوا عن دينه وشريعته، ثم فعلوا ذلك اتباعاً لشهواتهم، ونكراناً للفضل الإلهي العظيم، فانقسموا أحزاباً وشِيعاً، وصار كل حزبٍ يكيد للآخر ويتربَّصُ به؛ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (الحجرات:١٣).

❁ وسرُّ هذا الافتراق الواسع هو اتباع الهوى، ومتابعة الشيطان؛ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: ٣٠-٣٢).

❁ومن حق أخيك عليك أن تكره مضرته، وأن تبادر لدفعها، وأن تفرح بمسرته، وتسعى إلى حمله عليها، أمَّا أن تكون ميّتَ العاطفة، قليل الاكتراث؛ لأن المصيبة وقعت بعيداً عنك، وأن الأمر لا يعنيك، فهذا من القطيعة والوضاعة، فنفوس المسلمين تمتزج في قالب واحد حتى تجعل الرجل يتأوَّه لألم نزل بأخيه؛ وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ)(٢)، وقال عليه السلام: (وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٠٣/١، برقم: ٤٨١، ومسلم: ١٩٩٩/٤، برقم: ٢٥٨٥.

(٢) صحيح، رواه النَّسائي في سننه: ٩٢/٧ برقم: ٤٠٢٠، وابن حبان في صحيحه: ٤٣٧/١٠، برقم: ٤٥٧٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٧٤/٤، برقم: ٢٦٩٩، وأبو داود في سننه: ٢٨٧/٤، برقم: ٤٩٤٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليه الصلاة والسلام: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ)[2].

❁ وقد كان الناس قبل الإسلام في جاهلية عمياء، وفي ضلال طامس، حتى تاهوا في الشعاب الحائرة، والقوميات المصطنعة، وانفرد كل رجل بقومه، وكل مستبدٍّ بدهاقينه؛ وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ من عواقب الاعتزال والفرقة، فقال عليه السلام: (إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٨/١٠، برقم: ٦٠١١، ومسلم: ٤/١٩٩٩، برقم: ٢٥٨٦، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٣/١٣٤٠، برقم: ١٧١٥، والبخاري في الأدب المفرد: ١٥٨/٤٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ،وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ) [1] .

❁ ولما رأى النبيُّ ﷺ في سفره أن أصحاب القوافل يتفرقون في الشعاب والأودية؛ كأنما ليس بينهم رباط، كره هذا المنظر ونفَّر منه، ورغَّب في امتزاجهم، وتبادلهم لمشاعر الحُبِّ؛ فعن أَبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ،حَتَّى يُقَالَ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ) [2]، وذلك أن الناس إذا لم يجمعهم الحق شعَّبهم الباطل، وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزَّقتهم عبادة الشيطان، وإذا لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا.

---

(١) حسن لغيره ؛رواه أحمد في مسنده: ٣٥٨/٣٦، برقم: ٢٢٠٢٩، وغيره.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤١/٣، برقم: ٢٦٢٨، وابن حبان في صحيحه: ٤٠٨/٦، برقم: ٢٦٩٠، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وقد جعل الإسلام هذا التطاحن المُرّ من خصائص الجاهلية المظلمة، وديدناً لمن لا إيمان له؛ فعَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ : (لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)(١)، فهذا العراك الدامي هو من شأن الكافرين المنقسمين على أنفسهم أحزاباً متناحرة.

❁ والقلب الخرب يجعل من العلم سلاحاً للفساد، وقد تأذى العالم من هذا العلم المدمر في القديم والحديث، فالعلم إذا انفصل عن الإخلاص والرفق بالخلق أمسى وبالاً على أهله، وقد نبهنا الله عز وجل أن العلماء قد يمزقوا بألسنتهم شمل البشر؛ فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ جِدَالُ الْمُنَافِقِ عَلِيمِ اللِّسَان)(٢).

❁ ولو تجرَّدت النيات للبحث عن الحقيقة، وأقبل روداها وهم بعداء عن طلب الرياسة والغلب والسُّمعة، والثراء، لصُفّيت المنازعات التي ملأت التاريخ بالأكدار والمآسي، ولكن سبب هذا الشقاق هي عواملٌ أخرى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣٥/١، برقم: ١٢١، ومسلم: ٨١/١، برقم: ٦٥.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٢٨١/١، برقم: ٨٠، ووأحمد في مسنده: ٢٨٨/١، برقم: ١٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تستغل تباين الانظار والأفكار للتنفيس عن أهواء باطنة؛ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (البقرة:٢١٣).

❁ ولما كان هذا الاختلاف المريب مفسداً لدين الله ودنيا الناس اعتبره الاسلام انفصالا عنه وضرباً من الكفر؛ قال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (الأنعام:١٥٩).

❁ إن الإسلام يكره للمسلم أن ينحصر في نطاق نفسه، وأن يستوحش في تفكيره وإحساسه، وأن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وحياتها؛ ولذلك شرع الله الجماعة في مواقف كثيرة لكي يمتزج المسلم بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ كالصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ثم دعا إلى اجتماع أكبر في صلاة العيد، وأمر الرجال والنساء والأطفال بحضورها حتى الحُيَّض، وكل ذلك زيادة للخير وإتماماً للنفع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم أذِنَ لأعظم حشد يضمُّ شتات المسلمين من مشرقهم إلى مغربهم، في أعظم شعيرة وهي الحج، وجعل له زماناً ومكاناً معلومين، وجعل اللقاء بين أجناس المسلمين أمراً محتوماً.

❁ وكلما كان الإجتماع الذي ينتظم فيه المسلم مع إخوانه أكبر كان الأجر أعظم والبركة أكثر؛ فعن أبي بن كعب قال، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ وَحْدَهُ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلَاتِهِ مَعَ الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)[1].

وفي حديث قَبَاثِ بْنِ أَشْيَمَ اللَّيْثِيِّ[2]، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: (صَلَاةُ الرَّجُلَيْنِ يَؤُمُّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ أَرْبَعَةٍ تَتْرَى،

---

(١) حسن، رواه أبو داود في سننه: ١/١٥١، برقم: ٥٥٤، والنسائي: ٢/١٤٠، برقم: ٨٤٣.

(٢) هو الصحابي الجليل: قباث بن أشيم بن عامر بن الملوح الليثي، له صحبة. شهد اليرموك، وكان أميراً على كردوس. وسكن حمص. انظر: مختصر تاريخ دمشق (٢١/ ٥٨).

www.alukah.net

وَصَلَاةُ أَرْبَعَةٍ يَؤُمُّهُمْ أَحَدُهُمْ أَزْكَى عِنْدُ اللهَ مِنْ صَلَاةِ ثَمَانِيَةٍ تَتْرَى، وَصَلَاةُ ثَمَانِيَةٍ يَؤُمُّهُمْ أَحَدُهُمْ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلَاةِ مِائَةٍ تَتْرَى)[١].

وهذه السنن تشير إلى رغبة الإسلام في تكثير سواد المسلمين ورؤيتهم حشوداً متضاعفة، لا فرادى منقطعين.

❁ وقد وسع الإسلام الجميع في كنفه الرحب ما داموا مخلصين في طلب الحق، حريصين على معرفته والعمل به، فأقرَّ للعقول اختلافها في الفهم، ومنح المخطئ أجراً والمصيب أجرين؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ، فَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ) [٢]، فرحمة الله عز وجل ارتبطت بصلاح القصد أكثر من ارتباطها بنتائج التفكير، وإذا كان دين الله وسع البشر على اختلاف عقولهم ومداركهم، فلماذا هذه القسوة بيننا والجفاء ؟!!.

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ٣٦/١٩، برقم: ٧٣، والبيهقي في السنن: ٨٦/٣،برقم: ٤٩٦٥.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٤٤٥/١١، برقم: ٥٠٦٠، والنسائي في سننه: ٢٢٣/٨، برقم: ٥٣٨١.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وعندما أمر النَّبيُّ ﷺ أصحابه الخارجين إلى بني قريظة: (لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ) [1]، تأوَّل بعضهم الأمر على أن ذلك ما لم يضع الوقت، وصلى في الطريق!، وأمضى الآخرون النص على ظاهره، فصلوا العصر في العتمة، وكان موقف رسول الله ﷺ قبول فهم الفريقين، ثم صفَّهم بإزاء العدوِّ جيشاً واحداً .

وتلك هي روح الإسلام في علاج الخلاف العلمي، وذلك ما لا محيص عنه عندما تستقيم الضمائر والعقول، وأما أن يُجعل الخلاف مصيدة للأخطاء، وينصب شراكها العداء والبغضاء، فعندها تنتهي جذوة الإيمان في القلوب.

❁ ولا ريب أن الإخلاص لله والنصح للدين والعامة أبعد ما يكون عن الشغب والفوضى؛ حتى قيل لأحد الشيوخ أدرك المصلين في المسجد، يوشك أن يقتتلوا على صلاة التراويح، فبعضهم يريدها ثماني ركعات، وبعضهم يريدها عشرين، وهم ينتظرون فتوالك، فقال: الفتوى أن يُغلق

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢/١٥، برقم: ٩٤٦، مسلم: ٣/١٣٩١، برقم: ١٧٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسجد فلا تُصلَّى فيه تراويح ألبتَّة، لأنها لا تعدو أن تكون نافلة، ووحدة المسلمين فريضة، ولا قامت نافلة تهدم فريضة !!.

❁ وينبغي للمسلم ألا يكترث لفقدان حظه من الدنيا، فإذا أُهمل في إسناد منصب، أو بُخِّس في تقدير راتب لم يملأ الدنيا صياحاً وشغباً؛ لأن الغضب للدنيا على هذا النحو الشائن شيمة المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة:٥٨).

❁ ولو أمعنَّا النظر في كثير من الانقسامات لرأينا حُبَّ الدنيا والأثرة العمياء تكمن وراء هذه الحزازات؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ) (١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩/٧٧، برقم: ٧١٩٩، ومسلم: ٣/١٤٧٠، برقم: ١٧٠٩، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ومن الغريب أن نرى الفتوق الشنعاء التي تنخر في أركان الأمة بدأت وتكررت من الأفراد والأسر المصابين بحبِّ الرياسة، ومن حقّ الرجل الفاضل أن يُقدَّم إذا كانت لديه الكفاية، على أن الرجل الفاضل مهما أوتي من فضل وكفاية لن تنتفع به الأمة إذا كان مريضاً بحب الرياسة؛ لأن طالب الزعامة يفوته توفيق الله.

❁ والمرء إذا فاته توفيق الله مشئومٌ ولو كان عبقريَّاً، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعريِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ، فَقَالَ: (إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ) (١)، وهذا مع ما فيهم من الملكات والقدرات التي يستطيعون معها خدمة الأمة، وتحقيق آمالها، فكيف بزعماء اليوم يسطون على مقدرات الخلق، ويعبثون بأموال الناس، ولا شك أن هؤلاء هم حثالات المجتمع، وأراذل الخلق !!.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩/٦٤، برقم: ٧١٤٩، ومسلم٣/١٤٥٦،برقم: ١٧٣٣: .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الاتحاد قوة، وليس ذلك في شئون الناس فحسب، بل هي قانون من قوانين الكون، فالخيط الواهي إذا انضمَّ إليه مثله أضحى حبلاً متيناً يجرُّ الأثقال، وهذا العالم الكبير ما هو إلا جملةٌ من ذرات متحدة !.

❁ وقد شرح حكيم لأولاده هذا المعنى عند وفاته، ليلقنهم درساً في الاتحاد، قدم إليهم حزمة من العصى وقد اجتمعت عيدانها، فعجزوا عن كسرها، فلما انفكَّ الرباط وتفرقت الاعواد كسرت واحداً واحداً، وفي ذلك يقول معن بن زائدة:

كـونـوا جميعاً يا بنيَّ إذا اعترى ... خطبٌ ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى العصيُّ إذا اجتمعنَ تكسُّراً ... وإذا افترقنَ تكسَّرت آحادا

❁ إن الشقاق يضعف الأمم القوية، ويميت الأمم الضعيفة، ولذلك جاءت أول عظة للمسلمين بعدما انتصروا في ((بدر)) أن يوحِّدوا صفوفهم، ويجمعوا أمرهم، وذلك عندما تطلعت نفوسهم للغنائم، وتنافسوا على اقتسامها؛ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الأنفال: ١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم أعلمهم أن الاتحاد في العمل لله هو طريق النصر المحقق والقوة المرهوبة؛ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال:١)، وحذرهم من التكالب على الدنيا، والحرص على غثائها، وألا يسلكوا مسالك الذين لا يرجون عند الله ثوابا؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (الأنفال:٤٧).

❁ ثم تلقى المسلمون في (أُحدٍ) لطمةً موجعةً، أفقدتهم من رجالهم سبعين بطلاً، وردَّتهم إلى المدينة، وهم يعانون الأمرَّين، من خزي الهزيمة، وشماتة الأعداء، وكل ذلك بسبب انقسامهم وعصيانهم أمر الله ورسوله ﷺ، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٥٢).

❁ ولم يكن لهذه الأمة أن ترضخ لأعدائها إلا بعد أن انقسم المسلمين شيعاً وأحزاباً، وصارت دويلات متدابرة، يثور بينها النزاع لأتفه الأسباب، ثم اتسعت هذه الشُقَّة لغير سبب، حتى عادت مطمعاً للأعداء،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفريسة سهلة بيد آكليها؛ فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَا الْوَهْنُ؟، قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)(١).

❁ ولو عقل المسلمون في هذه المرحلة العصيبة حقيقة ضعفهم وذلتهم وهوانهم على الناس؛ لأعادوا ذلك إلى انحلال عُراهم وتفرق كلمتهم، وقد حرص الإسلام كل الحرص على سلامة الأمة وحفظ كيانها، فأطفأ بوادر الخلاف، وجعله شذوذاً إلى النار؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَيَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ)(٢).

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ١١١/٤، برقم: ٤٢٩٧، وأحمد في مسنده: ٨٢/٣٧، برقم: ٢٢٣٩٧.

(٢) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٣٦/٤، برقم: ٢١٦٧، والحاكم في المستدرك: ١٠٠/٣، برقم: ٣٩٥.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وقد زرع أعداء الإسلام في جسد هذه الأمة ما يفرق جمعها ويشتت شملها، فتارةً بالأحزاب اللادينية وتارة بالفرق الضَّالة، وتارة بالفسقة والظلمة، ولكن النَّبيَّ ﷺ أمر أن تستأصل شأفتهم بقتالهم وقتلهم، حتى يعود أمر المسلمين واحدٌ، لا يضرُّه كيد حاقد ولا مكر حاسد؛ فعنْ عَرْفَجَةَ بْنِ شُرَيْحٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ أرادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، فَاقْتُلُوهُ بالسَّيفِ كَائِنًا مَنْ كَانَ) [1]، وهذه عقوبته في الدنيا، فأما عقوبته في الآخرة؛ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء:١١٥).

❁ وهذا الوعيد العظيم غير مستغرب لمن أراد أن يهدد عافية الأمة بالانهيار، ويقودها إلى الخراب والدمار، ثم إن هؤلاء المتربصين والمنتهزين يلتفون حول أوَّلِ ثائر يظهرون موافقته ومناصرته، ويبطنون أمراً وراء ذلك؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٧٩/٣،برقم: ١٨٥٢، وابن حبان في صحيحه: ٤٣٧/١٠، برقم: ٤٥٧٧

www.alukah.net

شبكة الألوكة

فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)[١]، وزاد في رواية : (...وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا، وَفَاجِرَهَا، لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ)[٢].

وقيل: مَثَلُ الأَخَوَينِ إِذَا التَقَيا مِثْلَ اليَدين تغسلُ إحداهما الأخرى، وما التقي مؤمنان قط إلاَّ أفاد الله أحدهما من صاحبه.

وقال قيس بن عاصم:

إن القداح إذا اجتمعن فرامها .... بالكسرِ ذو حَنِقٍوبطشٍ أيِّدِ[٣]

عزَّت فلم تُكسر وإن هي بُدِّدت ... فالوهنُ والتكسيرُ للمُتبدِّدِ[٤]

وقال الشاعر:

واشدد يديك بحبلِ الله مُعتصماً ...فإنَّه الرُّكنُ إن خانتكَ أركانُ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٧٦/٣، برقم: ١٨٤٨، وابن حبان: ٤٤١/١٠، برقم: ٤٥٨٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٧٦/٣، برقم: ١٨٤٨، والنسائي في سننه: ١٢٣/٧، برقم: ٤١١٤.

(٣) ذو حنق: شدة وصعوبة. أيِّد: شديد.

(٤) عزَّت: قويت. بُدِّدَت: تفرقت. الوهن: الضعف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر:

النَّاسُ للنَّاسِ من بدوٍ وحاضرةٍ ... بعضٌ لبعضٍ وإن لم يشعروا خَدَمُ

وقال آخر:

إذا العبءُ الثقيلُ تَوَزَّعَتْهُ ...أكُفُّ القومِ خفَّ على الرقابا

وقال غيره:

ألم ترَ أنَّ جمعَ القومِ يُخشى ...وأن حريمَ واحدهم مُباحُ

وقال غيره:

نصحتُ ونحن مختلفون داراً ... ولكن كُلُّنا في الهمِّ شرقُ

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ ... بيانٌ غيرُ مختلفٍ ونطقُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ۞ الأمانة

هي رعاية حقوق الله تعالى، بتأدية ما على المرء من الفرائضِ والواجبات، فلا يخون له عهداً، ولا يجحد له فضلاً، وكذلك حفظ حقوق عباده، فلا يطمع في وديعةٍ اؤتمنَ عليها، أو ينكر مالاً وُكِّلَ إليه أُمرَ بحراسته، فليس من الدِّين ولا من العقل والكرامة أن يستحلَّ الإنسانُ مالاً ليس له فيه حقّ، بعد أن اعتقد به ذووه به خيراً، وظنُّوا فيه حسناً، وكيف يرضى أن يبوء بغضبِ الله تعالى عليه، وبُغضِ النَّاسِ له ؟، لا أظُنُّ أن صاحب الشِّيم الكريمة، والأصول العريقة يرضى لنفسه أن يُوصمَ بمثلِ ذلك، وأخالهُ يترفَّعُ عن أن يُنسبَ إليهِ غدرٌ أو خيانةٌ ، والإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ مفعم بالحياة، تُصان به حقوق الله والنَّاس، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال؛ وليست الأمانة مقصورة على حفظ الودائع؛ بل إن دلالتها أوسع من ذلك؛ ومناطها جميعاً شعور المرء بتبعةِ وعبء ما يوكل إليه، وأنه مسئول أمام ربّه .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨).

وقال جلّ شأنه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٢٧).

وقال عزّوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٧)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠)، وقال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب:٢٣).

ولمّا سقى موسى عليه السلام لابنتي الرجل الصالح وكان ذلك قبل أن ينبّأ ويرسل إلى فرعون؛ ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص:٢٦). فالنفس التي تظل معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر وألم الغربة هي لرجلٌ قويٌّ أمين.

❁ إن الأمانة حمل ثقيل لا يقدر عليها الرجال المهازيل، وقد ضرب الله المثل لضخامتها، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في رعايتها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، فالظلم والجهل آفتان تعترضان سبيل الفطرة الأولى وسببان رئيسيان لضياع الأمانة التي كلفنا الله بها.

وقال رسول الله ﷺ: (أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ) [(١)]، وعن عمرو بن الحَمِق، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (أَيُّمَا رَجُلٍ أَمِنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ، فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا) [(٢)].

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ،

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣/٢٩٠، برقم: ٣٥٣٤، والترمذي: ٢/٥٥٥، برقم: ١٢٦٤.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٢/٨٩٦، برقم: ٢٦٨٨، وابن حبان في صحيحه: ١٣/٣٢٠، برقم: ٥٩٨٢، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) (١)،وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ) (٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا، فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَيَحْمِلَهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ)، ثُمَّ قَالَ: (الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ ) (٣).

---

(١) صحيح مرسل، رواه الحاكم في المستدرك: ٣٣٩/٤، برقم: ٨٠٦٧، وأبو يعلى في مسنده: ٢٤٨/٧، برقم: ٤٢٥٧.

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٤٢٢/١، برقم: ١٩٤، واحمد في مسنده: ٣٧٥/١٩، برقم: ١٢٣٨٣.

(٣) حسن، رواه البيهقي في الشعب: ٢٠٧/٧، برقم: ٤٨٨٥، والخرائطي في ماكرم الأخلاق: ١٦٠/٦٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وإذا استقرت الأمانة في وجدان المرء وهيمنت على مشاعره، كانت دافعاً إلى رعاية الحقوق، وذلك معنى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ: (إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ القُرْآنُ فَقَرَءُوا القُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ) [1]، وهذا يدلُّ على أنه متى انتزعت الأمانة فلا فائدة من ترديد الآيات ولا دارسة السنن.

ثم يُصَوِّرُ حذيفة انتزاع الأمانة من القلوب التي امتلأت خيانة، وتخلخل فيه اليقين، فيقول: (يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ) وهذا تصوير محرج حقاً؛ حيث شبَّه الأمانة بذكريات الخير في النفوس الشريرة، تمر بها وليست منها، وقد تترك من مرارتها أثراً لاذعاً، غير أنها لا تحيي ضميراً ميتاً!.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩/٩٢، برقم: ٧٢٧٦، ومسلم: ١/١٢٦، برقم: ١٤٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم بيَّن حال الناس من الأثرة وقلة الأمانة، فقال: (فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ) (١).

❁ وضياع الأمانة هي مظهر من مظاهر الفساد، الذي سيقع آخر الزمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (فِي آخر الزَّمان تَصِيرُ الْأَمَانَةُ غَنِيمَةً، وَالصَّدَقَةُ غَرَامَةً، وَالشَّهَادَةُ بِالْمَعْرِفَةِ، وَالْحُكْمُ بِالْهَوَى)(٢).

وعنه عليه السلام أنَّه قال: (إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قِيلَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟، قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)(٣).

---

(١) صحيح، وقد سبق تخريجه. الوكت: هو الأثر المغاير كالنقطة على الصحيفة. المَجل: كالبثور التي تظهر في اليد بعد استخدام الأدوات الخشنة مثلاً. نفط: أي ظهر أثر القيح فيه.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٤/٥٣٠، برقم: ٨٤٨٩، وقال الذهبيُّ في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.مغنماً: أي فرصة. مغرماً: أي ديناً.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١/٢١، برقم: ٥٩، وابن حبان: ٣٠٧/١، برقم: ١٠٤.

www.alukah.net

❁ إن عدم تولية الرجال الأكفاء، القادرين على القيام بالأعمال على أحسن الوجوه، وتقديم من هو دونهم هو ضربٌ من ضروب الخيانة؛ ويشهد لذلك حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ ورَسُولَهُ والْمُؤْمِنِينَ)(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(٢).

ولمَّا كانت السعادة الحقيقة هي الوقاية من شقاء العيش في الدنيا، وسوء المنقلب في الأخرى كان النبي ﷺ يستعيذ من الجوع لأنه ضياع الدنيا، ومن الخيانة؛ لأنها ضياع الدين؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) حسن، رواه الحاكم في المستدرك: ٤/١٠٤، برقم: ٧٠٢٣، وابن أبي عاصم في السنة: ٢/٦٢٦، برقم: ١٤٦٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣/١٢٠، برقم: ٢٤٠٩ ،ومسلم: ٣/٤٥٩، برقم: ١٨٢٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ﷺ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ)[1].

❁ ومن معاني الأمانة وضع الشئ في مكانه اللائق به، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل المناسب لها؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟، قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)[2]، وأبو ذر لما طلب الولاية لم يرَه الرسول ﷺ جلْداً لها فحذره منها.

❁ إن الكفاية العلمية والخبرة العملية بالإضافة إلى التقوى والصلاح هي الركائز الأساسية لتولي أمور المسلمين وإصلاح دينهم ودنياهم؛ ولذلك فإن يوسف عليه السلام لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال

---

(١) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: ١١١٣/٢، برقم: ٣٣٥٤، والنسائي في سننه: ٢٦٣/٨، برقم: ٥٤٦٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٥٧/٣، برقم: ١٨٢٥، والبيهقي في الكبرى: ١٦٣/١٠، برقم: ٢٠٢١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بنبوته وتقواه فحسب، بل بحفظه وعمله أيضاً: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

❁ ومن معاني الأمانة أن يستفرغ المرء جهده في أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط إليه، فإن تسربت إليه آفة التفريط، فإن الفساد سيستشري في كيان هذه الأمة، وتوشك أن تسقط فريسة سهلة في أيدي أعدائها.

وكلما اتسعت دائرة الخيانة كان الإثم أعظم وأشد شناعة؛ فخيانة الإمام لأمته أشد وأعظم من خيانة الموظف العادي البسيط، والخيانة في الأعراض أشد وأعظم جرماً من خيانة الأموال؛ وفي حديث أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ) [١]، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ) [٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٤/١٠٤، برقم: ٣١٨٦، ومسلم: ٣/١٣٥٩، برقم: ١٧٣٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٣/١٣٦١، برقم: ١٧٣٨، واحمد في مسنده: ١٨/١٣١، برقم: ١١٥٨٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه لجر منفعة لنفسه ولقرابته، ومن ذلك أن يستأثر بالمناصب الرفيعة والوظائف المريحة، أو أن يجعل المال العام مسخراً لخدمة أهله وعشيرته، وهذا الاستغلال لمصالح المسلمين وحقوقهم هو صورة من صور الغلول الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٦١).

❁ وقد شدَّد الإسلام في ضرورة التعفُّف عن أموال المسلمين، أو محاولة الحصول عليها بالطرق الملتوية،فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَن استعْمَلناه مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِنْهُ، مِخْيَطًا، فَمَا فَوْقَهُ فَهُوَ غَالٌّ يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَقَامَ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟، قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ، الَّذِي قُلْتَ: قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ، وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى) (١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٦٥/٣، برقم: ١٨٣٣،وابن حبان في صحيحه: ٤٦٨/١١، برقم: ٥٠٧٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وفي قصة ابن اللتبية الأزديّ(١) الذي استعمله النّبيُّ ﷺ على الصدقة، وجاء يقول: (هذا لكم وهذا هديَّةٌ أهديت إليَّ)؛ فقال رسول الله ﷺ: (فَإِنّي أستَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُم عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، ثُمَّ يَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذِهِ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عَاتِقِهِ!، فَلَا أَعْرِفَنَّ رَجُلًا يَحْمِلُ عَلَى عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يديه حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ بَصَرَ عَيْنِي، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ)(٢).

(١) هو: الصحابي عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الأزدي، مذكور في حديث أبي حميد الساعدي في الصحيحين أن النبيّ صلى اللّه عليه وسلّم بعث رجلاً على الصدقات يدعى ابن اللّتبيّة ... الحديث بطوله، وإنما يأتي في أكثر الروايات غير مسمّى، وسماه ابن سعد، والبغوي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن حبان، والباوردي، وغير واحد: عبد اللّه. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١٨٨).

(٢) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ١٠/٣٧٣، برقم: ٤٥١٥، والطبراني في الأوسط: ٧/٣٥٩، برقم: ٧٧٣٠، وله شواهد في الصحيحين، رغاء: صوت ذوات الخف. خوار: صوت البقر. تيعر: من اليعار وهو صوت الشاة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ومن معاني الأمانة أن تنظر إلى نعم الله عليك وما حباك به من صحة وأموال وأولاد؛ فتسخرها في التقرب إليه وتستخدمها في مرضاته، وتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك؛ فإن امتحنك بنقص شئ منها، فلا يستخفنَّك الجزع، وإن أكرمك ببقاء هذه النعم فلا تفتتن بها عن الطاعة، أو تستقوي بها على المعصية، قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال:٢٧، ٢٨).

❁ ومن معاني الأمانة أمانة المجالس التي تشارك فيها؛ فلا تطلق لسانك في أعراض النَّاس وإفشاء أسرارهم؛ فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت بسبب ذلك؟!

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قال رسول الله ﷺ: (الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ)[١].

---

(١) ضعيف، رواه أبو داود في سننه: ٢٦٨/٤، برقم: ٤٨٦٩، وأحمد في مسنده: ٤٥/٢٣، برقم: ١٤٦٩٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ ومن صور الأمانة العلاقات الزوجية؛ فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل والمرأة، يجب أن يطوى فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، ومن الوقاحة والسفاهة أن يثرثر بعض العوام بما يقع بينهم وبين أهلهم.

فعن أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: (لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ: مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَّ الْقَوْمُ)؛ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: (فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ)(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدريّ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)(٢).

---

(١) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٤٥/٤٦٤، برقم: ٢٧٥٨٣، والطبراني في الكبير: ٢٤/١٦٢، برقم: ٤١٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٢/١٠٦٠، برقم: ١٤٣٧،وأبو داود في سننه: ٤/٢٦٨، برقم: ٤٨٧٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال علي بن أبي طالب: من ضيع الأمانة ورضي بالخيانة، فقد تبرَّأ من الديانة. وقال خالد الربعي: قرأتُ في الكتب السابقة؛ إنَّ مما تُعجَّل عقوبته ولا تؤخر خيانة الأمانة، وكفران الإحسان، وقطيعة الرَّحم، والبغي على النَّاس.

وقال بعض الحكماء: لو علم مُضيّعُ الأمانة ما في النَّكثِ (١) والخيانةِ لقصُرَ عنهما عنانه.

وقال آخر: من خان مان (٢)، وتبرَّأ من الإحسان.

وقيل في منثور الحكم: من يَخُن يهن، ومن الكرم الوفاءُ بالذِّمَم.

وقيل أيضاً: من ضيَّع الأمانة، ورضي بالخيانة، فقد برئ من الديانة. وقيل: الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر.

وقال أبو تمَّام:

وارعَ الأمانة والخيانة فاجتنب ...وعدل ولا تظلم يطيبُ المكسبُ

---

(١) النكث: نقض العهد.

(٢) مان: كذب.

إذا قلتَ في شيءٍ (نعم) فأتمِّه ... فإن (نعم) دينٌ على الحُرِّ واجبُ

وإلا فقل (لا) تسترح وتُرِح بها ...لئلا يقول النَّاسُ إنَّك كاذبُ

وقال كعب المُزني:

أرعى الأمانة لا أخون أمانتي ...إن الخؤونَ على الطريقِ الأنكَبِ

وقال الشاعر:

واعمل بمفروضِ الأمانةِ والتُّقى ... وانهى عن النُّكرِ الفظيعِ وفعلهِ (١)

وقال آخر:

وإذا اؤتمنتَ على الأمانةِ فارعها ... إنَّ الكريم على الأمانةِ راعي (٢)

❁ ❁ ❁

---

(١) النكر: المنكر.

(٢) فارعها: لاحظها، وحافظ عليها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الرفق

هو التذرع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات، لا فرق بين إنسانٍ وحيوان، والعطف على البؤساءُ والضعفاءُ، ومعاملة الناس بالرأفة ولين الجانب، والابتعاد عن القسوة والغلظة، وهو من دواعي الألفة والتواصل، وسبب إلى السَّلام والوئام، وعماد السعادة وأُسُّ النظام، فكثيراً ما قطع الخُرقُ [١] تواصلاً، وفكَّ ترابطاً، وكم أفسد العنف نظاماً، وسبَّبَ هلاكاً، وكم أخلَّ أعمالاً وضيَّعَ أمالاً، ولقد وصف الله تعالى نفسه بالرَّحمةِ؛ فقال جلَّ شأنه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٤).

والرحمة في أفقها العالي وامتدادها المطلق صفة المولى تبارك وتعالى، فإن رحمته شملت الوجود وعمَّت الملكوت، فحيثما أشرق شعاعٌ من علمه المحيط بكل شئ، أشرق معه شعاع الرحمة الغامرة، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ

(١) الخرق: الحُمق والغلظة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر:٧).

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ (الأعراف: ١٥٦-١٥٧).

وكثيرٌ من أسماء الله الحسنى تعود إلى معاني الرحمة والفضل والكرم والعفو، وفي الحديث القدسيّ عن ربِّ العزَّة: (إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) [١]، أي إن تجاوزه عن المسئ يسبق سخطه عليه، وبذلك كان أفضل الرحماء؛ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨).

❁ كذلك فإن كل ما ترى في الأرض من توادٍّ وبشاشةٍ، وبرٍ، ورحمة هي أثرٌ من آثار رحمة الله التي استودعها في قلوب الخلائق، فرقَّت الأفئدة، وجاشت المشاعر حتى عطفت الأُمُّ على طفلها، والبهيمة على ذراريها؛ فعَنْ

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٦٤/١٦٤، والترمذي في سننه: ٤٣٥/٣، برقم: ٢٠١٣. حظه: نصيبه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قُلْنَا: لاَ، فَقَالَ:لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا)(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)(٢).

❁ وقد امتنَّ الله عز وجل على العالم برجلٍ يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه، ويستميت في هدايته، ينصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأُمِّ عن صغارها، ويردُّ الناس من سكرتهم وغفلتهم إلى الفطرة السليمة والخلق الحسن، فأرسل (محمداً)، وسكب في قلبه كل معاني الحلم والبرّ والرفق، وجعله أزكى الناس رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدراً؛ قال عزَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٨/٨، برقم: ٥٩٩٩، ومسلم: ٢١٠٩/٤، برقم: ٢٧٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٨/٨، برقم: ٦٠٠٠، ومسلم: ٢١٠٨/٤، برقم: ٢٧٥٢.

www.alukah.net

وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

❁ وقد لازمته هذه الفضائل العذبة في أصعب ساعات المحنة، عندما حاول المشركون في (أُحدٍ) اغتياله، وألجأوه إلى حفرة ليُكبَّ فيها، ونظر إلى زهرة أصحابه وهم مضرجين بدمائهم على الثرى، ونظر إليه أصحابه فإذا خده قد شُقَّ وسنَّه قد سقطت، وفي خضم هذه المحنة، قيل له: ادعُ على المشركين!، فغلبه رفقه، وجعلت نفسه العالية تطلب لهم الهداية، وتعذرهم بجهلهم؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (١).

❁ إن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة، فهي أبداً إلى الصفح والحنان أقرب منها إلى الحقد والاضغان؛ وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ) (٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٧٥/٤، برقم: ٣٤٧٧، ومسلم: ١٤١٧/٣، برقم: ١٧٩٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٢/٨، برقم: ٦٠٢٤، ومسلم: ١٧٠٦/٤، برقم: ٢١٦٥.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ في الدُّنيا والآخرة) [١].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (ما كانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) [٢].

❁ فالرحمة كمالٌ في الطبيعة تجعل المرء يرقُّ لآلام الخلق، ويأسى لأخطائهم، ومن ثمَّ كانت القسوة ارتكاساً بالفطرة إلى منزلة البهائم، بل إلى منزلة الجماد الذي لا يعي ولا يحس؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: (لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ) [٣]، وعن عائشة أن رسول الله قال: (إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٦٤/١٦٤، والترمذي في سننه: ٤٣٥/٣، برقم: ٢٠١٣. حظه: نصيبه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٠٤/٤، برقم: ٢٥٩٤، والبخاري في الأدب المفرد: ٤٧٥/١٦٧.

(٣) صحيح، رواه البخاريُّ في الأدب المفرد: ٣٧٤/١٣٦، وأبو داود في سننه: ٢٨٦/٤، برقم: ٤٩٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ) (١).

إن الغلظة والقسوة دليلٌ على نقص كبير في هذا الإنسان، ولا عجب من تحذير الإسلام منها، واعتباره لها علة الفسق عن أمر الله تعالى، وسر الشرود عن صراطه المستقيم؛ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

❁ وقد أمر الإسلام بالتراحم، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، وذخائر الخير المكنون؛ فهو يوسع على الناس قاطبة، ويظهر مودته لكل من يلقى، ويخفف عنهم بكل ما يستطيع؛ وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٠٣/٤، برقم: ٢٥٩٣، وأبو داود في سننه: ٢٥٤/٤، برقم: ٤٨٠٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

اللَّهِ ﷺ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ) (١).

وقد جعل الله عز وجل غلاظ الأكباد من الجبارين والمستكبرين في الدرك الأسفل من النار؛ وفي الحديث: (...إِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي) (٢) وقد وصف الله عز وجل المجتمع المسلم أنه متماسك بهذا العطف المتبادل بين أبنائه: ذلة في غير مسكنة، وعزّة من غير استكبار؛ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤)، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح:٢٩).

❁ وأولى الناس بهذه الرحمة هم ذوو الأرحام، فينبغي أن يحظوا بأضعاف مضاعفة من تلك الرحمة والرعاية؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) صحيح، رواه الحكام في المستدرك: ١٨٥/٤، برقم: ٧٣١٠، والنسائي في سننه: ٤١٤/٥، برقم: ٥٩٢٨، وصححه الذهبيُّ في التلخيص.

(٢) ضعيف، رواه الترمذي في سننه: ١٨٦/٤، برقم: ٢٤١١، والبيهقي في الشعب: ٢٨/٧، برقم: ٤٦٠٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ: (إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ ) (١).

وأجدر النَّاس بجميل برِّه أمنُّهم عليه، وأولاهم به، وهم والداه؛ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الاسراء: ٢٤)، ثم أولاده.

فعن البراء بن عازب قال: (دَخَلَ أَبو بَكْرٍ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا عَائِشَةُ ابْنَتُهُ مُضْطَجِعَةٌ قَدْ أَصَابَتْهَا حُمَّى، فَقَبَّلَ خَدَّهَا وَقَالَ: كَيْفَ أَنْتِ يَا بُنَيَّةُ؟) (٢).

❁ وأما أجلاف الناس فند أن عواطفهم لا تأخذ هذا الطابع من الرقَّة والحنو؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦/٨، برقم: ٥٩٨٨، وابن حبان: ١٨٥/٢، برقم: ٤٤٢. الشجنة: القرابة المشتركة اشتباك العروق، وهي كناية على أنها قريبة من الله عز وجل خاصة وأنها مشتقة من اسمه (الرحمن).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٦٤/٥،برقم: ٣٩١٨، وأبو داود في سننه: ٣٥٦/٤،برقم: ٥٢٢٢.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ[1] جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ)[2].

وعن أنس بن مالك قال: (دَخَلْنَا عَلَى رسول الله ﷺ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)[3].

---

(١) هو الصحابي الجليل: الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارميّ التميمي ، من سادات العرب في الجاهلية. قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في وفد من بني دارم (من تميم) فأسلموا، وشهد حنينا وفتح مكة والطائف. وسكن المدينة. وكان من المؤلفة قلوبهم واستشهد بالجوزجان سنة (١٣هـ/ ٦٥١م). الأعلام للزركلي (٢/ ٥)

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٧/٨، برقم: ٥٩٩٧، ومسلم: ١٨٠٨/٤، برقم: ٢٣١٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٨٣/٢، برقم: ١٣٠٣، والترمذي في سننه: ٣١٩/٢، برقم: ١٠٠٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ ولا يجوز للمسلم أن يوصد بابه دون أقاربه، ويبتَّ علائقه بهم، وفيحيا بعيداً عنهم، لا يواسيهم، ولا يسدي إليهم عوناً، إن هذه القطيعة تحرم الإنسان من بركة الله، وتعرضه لشخطه وأليم عقابه.

وفي الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ) (١).

وممن تجب الرحمة بهم اليتامى، فإن الإحسان إليهم من أزكى القربات وأعظم الطاعات وقد تكون سبباً في اعتدال المشاعر المنحرفة، وترطيب القلوب القاسية؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا، شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ، فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ) (٢).

---

(١) رواه أبو داود في سننه: ١٣٣/٢، برقم: ١٦٩٤، وأحمد في مسنده: ٣٣/١١، برقم: ٦٤٩٤.

(٢) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٢١/١٣، برقم: ٧٥٧٦،والطبراني في مكارم الأخلاق: ١٠٧/٣٥٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ إن القلوب في مجتمعات اليوم مطموسة، لا نبض فيها ولا شعور، ذلك أنها تضج بالمرح الدائم، فيصبح الناس ويمسون على آفاقها الزاهرة، ونعمها الباهرة، فلا يحسون بمصيبة ولا يشعرون بألم، أما أصحاب الأفئدة النبيلة والمشاعر المرهفة، فإنهم يحسُّون بآلام الناس ومشاكلهم، فيحسون بالوحشة مع اليتيم، وبالفقدان مع الثكلى، وبالتبعة مع البائس الفقير.

❁ وما أجمل الرحمة مع المرضى، وذوي العاهات، فإن أولئك يستقبلون الحياة بوسائل منقوصة تعجزهم عن المسير فيها، وقد عذرهم الله عز وجل، فلا يجوز لنا أن نؤاخذهم بما أعفاهم الله منه؛ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح:١٧).

❁ ومن الرحمة المطلوبة الرِّفق بالحيوان؛ رَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَجُلًا يَسْحَبُ شَاةً بِرِجْلِهَا لِيَذْبَحَهَا، فَقَالَ لَهُ: "وَيْلَكَ قُدْهَا إِلَى الْمَوْتِ قَوْدًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَمِيلًا" [١]، وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا، قَالَ: (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا، رَحِمَكَ اللَّهُ) [٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ فَقَالَ: (مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟، قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ) [٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه: ٤/٤٩٢، برقم: ٨٦٠٥.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٣٦/٣٧٣، وأحمد في مسنده: ٢٤/٣٥٩، برقم: ١٥٥٩٢.

(٣) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣/٥٥، برقم: ٢٦٧٥، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٦٧، برقم: ٧٥٩٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، قال: (نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا) [1]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ) [2].

❁ وقد تؤدي القسوة مع الحيوان والاستهانة بآلامه إلى دخول النار، وفي المقابل فإن كبائر الذنوب تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بإزاء كلب!.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ) [3]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٣/١٥٥٠، برقم: ١٩٥٩، واحمد في مسنده: ١٧/٢٣، برقم: ١٤٦٤٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٤/١٣٠، برقم: ٣٣١٨، ومسلم: ٤/١٧٦٠، برقم: ٢٢٤٢.
خشاش الأرض: هوامها وحشراتها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٤/١٧٣، برقم: ٣٤٦٧، ومسلم: ٤/١٧٦١، برقم: ٢٢٤٥.

www.alukah.net

ولئن كانت الرحمة بكلبٍ تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب!.

❁ وقد حثَّ الإسلام على هذه الرحمة الشاملة في أحاديث كثيرة؛ منها: قوله عليه الصلاة السلام: (ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) [(١)]، وعنه عليه السلام أنه قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) [(٢)]، وهذه الرحمة العامة لا يستثنى منها إنساناً ولا دابة ولا طيراً، بيد أن هناك من الناس والدواب من يكون مصدر خطر على غيره، ومثار رعب وفزع، فيكون من رعاية الصالح العام للجماعة كلّها أن يُحبس شرُّه، ويحاصر ضرره؛ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة: ٩).

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٨٠/١٣٨، واحمد في مسنده: ٩٩/١١، برقم: ٦٥٤١.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٨٥/٤، برقم: ٤٩٤١، والترمذي: ٣٣٨/٣، برقم: ١٩٢٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وقد تأخذ الرحمة والشفقة طابع القسوة والشدة، وليست كذلك، فالأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرهاً، ويحفظون الدروس زجراً، كل ذلك إصلاحاً لشأنهم، وتقويماً لعوجهم، ولو تركوا وأهواءهم لقتلهم اللهو واللعب ولشبُّوا لا يحسنون صنعاً، والطبيب عندما يجري بالجسم جراحة، فقد يستخدم مبضعه لتمزيق اللحم، وقد يضطر لتهشيم العظم وبتر الأعضاء، وما يفعل ذلك إلا رحمةً بالمريضِ؛ وكما قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا وَمن يكُ راحماً ... فليقسُ أحياناً على من يرحمِ

❁ وليست الرحمة حناناً لا عقل معه، ولا شفقة تتنكر للعدل والحق والنظام، بل إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعاً، إن منظر المشنوق وجسمه يتأرجح في الهواء، وعيناه تعشقان الضوء، وتطلبان النجاة، منظرٌ قد يستدر العطف، ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة، وأطلق سراح القاتل؛ لامتلأت الأرض فوضى ... والرحمة الحقَّة في كبت هذا الشعور؛ ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ إن القسوة التي استنكرها الاسلام هي المصحوبة بجفاف النفس، ولا ترتبط بمنطق ولا عدالة، بل هي نزوة من الفجور تتشبع من الإساءة والإيذاء، وتمتد مع الأثرة المجردة، والهوى الأعمى ... أمَّا الرحمة فهي مسحةٌ من الجمال الإلهي الباقي في طبائع الناس وفطرتهم، تحدوهم إلى البر، وتهبُّ عليهم في الأزمات الخانقة ريحاً بليلةٍ ترطب الحياة وتنعش الصدور.

وقال معاوية: عجبتُ لمن يطلب أمراً بالغلبةِ [١]، وهو يقدر عليه بالحُجَّةِ، ولمن يطلبه بِخُرقٍ وهو يقدر عليه برفق.

وقال أشجع السُّلميُّ لجعفر بن يحيى: ما لا يُدرك بالرجال ولا بالمال أدركتَهُ بالرِّفق.

وقال بعض الحكماء: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينهِ يقطع الحجر على شدته.

وقال بعض العقلاء: إذا لم يُدرك الظفر بالرفق والتأنِّي، فبماذا يُدرك؟

---

(١) الغلبة: القهر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر: يد الرفق تجني ثمرة السلامة، ويد الخُرقِ تغرس شجرة الندامة. وقيل: الرفق مفتاح النجاح.

وقيل أيضاً: بالرفق تستجلب القلوب.

وقال أبو الفتح البستي:

ورافق الرفق في كُلِّ الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذمُمه إنسانُ

ولا يغرنَّك حظٌ جرَّهُ خَرَقٌ ... فالخُرْقُ هدْمٌ ورفقُ المرءِ بُنيانُ

وقال النابغة الذُّبيانيّ:

الرِّفقُ يُمنٌ والأناةُ سعادةٌ ... فاسأنِ في رفقٍ تُلاقِ نجاحا (١)

وقال الشاعر:

تنال بالرفقِ والتأنِّي ... ما لم تنل بالحِرصِ والتعنِّي (٢)

وقال آخر:

ومن يستعن بالرفقِ في أمرهِ ... يستخرجِ الحيَّةَ من وكرها

---

(١) اليمن: البركة.

(٢) التعنِّي: التعب والمُقاساة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره:

تأنَّ ولا تعجل لأمرٍ تُريدهُ ... وكُن راحماً للنَّاسِ تُبلى براحِمِ

❁ ❁ ❁



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ برُّ الوالـديـن

ليس هناك من مخلوق لا يشعر بما للوالدين من الولاء الجميل والفضلِ الجزيل، فهما سببٌ في وجوده في هذه الحياة، وقد راعياهُ مُراعاة الحنانِ والإكرامِ منذ الصغر، وربَّياهُ جهد طاقتهما حتَّى الكبر،فلم يأْلُوا جهداً في إرضائه، والعمل على تمام راحته، وإذا كان هذا هو حالهما معه، فما أولاه أن يُقابلهما بمثل إكرامهما له، ويبرهما في كبرهما مقابل عطفهما عليه في صغره، ويساعدهما في لوامز الحياة بكل ما أوتيمن قوة، وما وُهبَ من عقل، وهو يعلم أنَّهُ ليس من الدِّين، ولا من المروءة أن يُقابلهما بالعقوق، ويجحد فضلهما عليه، وينكر ما قدماه له من خدمات جليلة، وما تحمَّلاه معه من متاعب جسيمة، ولقد حثَّنا الله تعالى بوجوب برهما والإحسان إليهما في كثيرٍ من الآيات القرآنية.

فقال جلَّ شأنه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا [١]

---

(١) تنهرهما: تزجرهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الاسراء: ٢٣، ٢٥).

وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف: ١٥). وقال رسول الله ﷺ: (بروا آبائكم تبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ وَعِفُّوا تعِفَّ نِسَاؤُكُمْ) [١].

وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ) [٢].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ، زَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُمْرِهِ) [٣].

---

(١) حسن لغيره، رواه أبو الطيب الجعفري في جزء ابن عمشليق: ٣٠/٣٠.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٦٠/٣٥، وابن ماجه في سننه: ١٢٠٧/٢، برقم: ٣٦٦١.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢٢/٢٢، والحاكم في المستدرك: ١٧٠/٤، برقم: ٧٢٥٧، وقال الذهبيُّ في التلخيص: صحيح.طوبى: أصاب خيراً وطيباً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليه الصلاة والسلام: (مَا مِنْ وَلَدٍ بَارٍّ يَنْظُرُ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَةً) (١).

وقال ﷺ: (طَاعَةُ اللَّهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ، وَمَعْصِيَةُ اللَّهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ) (٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدَهُ، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ) (٣).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (كُلُّ ذُنُوبٍ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا الْبَغْيَ، وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَوْتِ) (٤).

---

(١) إسناده ضعيف، رواه البيهقي في الشعب: ٢٦٥/١٠، برقم: ٧٤٧٢، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق: ٢١٥/٧٤.

(٢) إسناده ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط: ٣٦٩/٢، برقم: ٢٢٥٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١١٤٨/٢، برقم: ١٥١٠، والبخاري في الأدب المفرد: ١٠/١٧.يعتقه: يجعله حُرّاً.

(٤) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٥٩١/٢٠٧.

www.alukah.net

وقال رسول الله ﷺ: (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ- ثَلاَثًا- الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَوْلُ الزُّورِ)[1].

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ! مَنْ أَرْضَى وَالِدَيْهِ فَقَدْ أَرْضَى الرَّحْمَنَ، وَمَنْ أَسْخَطَ [2] والديه فَقَدْ أَسْخَطَ الرَّحْمَنَ.

وقال الحسن البصريّ[3]: حقُّ الوالد أعظم، وبرُّ الوالدةِ ألزم.

وقال محمد بن علي[4]: إن الله تعالى رضي الآباء للأبناء، فحذَّرهم فتنتهم، ولم يوصهم بهم، ولم يرض الأبناء للآباء فأوصاهم بهم، وإن شرَّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/١٧٢، برقم: ٢٦٥٤، ومسلم: ١/٩١، برقم: ٨٧.

(٢) أسخط: أغضب.

(٣) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وتوفي سنة (١١٠ هـ/ ٧٢٨م). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦).

(٤) هو: محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام. وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد رأى ابن عمر رجلاً يطوفُ بالكعبةِ حاملاً أمه على رقبته، فقال: يا ابن عمر أترى أني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدة، ولكنك أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً.

وقيل: العقوق ثُكلُ من لم يَثْكل.

وقال الشاعر:

وعليك برُّ الوالدين فضيلة ... وارعى بذي الأرحام نعمةَ فضلهِ
يا طالما عطفوا عليك برأفةٍ ... ربُّوك في حجر الدّلال [1] وظلّه
فاشكر محاسن والديك وعزهم ... واخفض لهم عن الجناح بِذُلّهِ

وقال الشاعر:

أطع الإله كما أمر ...واملأ فؤادك بالحذر
وأطع أباك فإنه ... رباك من عهد الصِّغر

---

خولة بنت جعفر الحنفية، يُنسب إليها تمييزا له عنهما، توفي سنة (٨١ هـ/ ٧٠٠م). الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٠).

(١) أدلَّ عليه إذا ثقل عليه، وتوثقت محبَّته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر:

لأمك حـقٌّ لـو علمتَ كبيرُ ... كثيركَ يا هذا لــديــه يسيرُ

فكم ليلةٍ باتت بثقـلك تشتكي ...لها من جــواها أنَّةٌ وزفـيرُ (١)

وفي الوضعِ لا تدري عليها مشقَّةٌ ... فمن غصص منها الفؤاد يطير (٢)

وكـم غسلت عنك الأذى بيمينها... ومـا حجرها إلا لديـك سرير

وتفديـك ممـا تشتكيـه بنفسها ...ومن ثديها شُربٌ لديك نميـرُ (٣)

وكم مـرة جـاعت وأعطتك قـوتها ...حنوا وإشفاقاً وأنت صغيرُ

فضيعتها لمـا أسنَّت جهالةً ... وطـال عليك الأمر وهو قصـيرُ

فآها لذي عقلٍ ويتبعُ الهوى... وآهــا لأعمى القلب وهو بصيرُ

فدونك فارغب في عميم دعائها...فأنت لما تدعو إليه فقــير

وقال غيره:

وأطع أباك بكلِّ ما أوصى بهِ ...إنَّ المطيعَ أباهُ لا يتضعضعُ (٤)

---

(١) الجوى: الحرقة.

(٢) الغصص: الهم والحزن.

(٣) نمير: ناجع.

(٤) لا يتضعضع: لا يذل.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال غيره:

والوالدين أكرم تنجُ من ضرر ... ولا تكن نكِداً تستوجبُ النِقَما

وقال غيره:

عليك ببرِّ الوالدين كليهما ...وبرَّ ذوي القربى وبرَّ الأباعدِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## صلة الرّحِم

تتكون حياتنا الإجتماعية من الأسر والعائلات، فإذا تفككت عن اتصال هذه الأسر، وتحللَّت روابط تلك العائلات، فقد ضاع القصد منها، وأصبح كل فردٍ منعزلاً عن الآخر، يهيم على وجهه في الفيافي والقفار، لا يجد ناصراً، ولا يرى مُعيناً، وحينئذٍ لا تجد للحياةِ نظاماً، ولا للعيش سعادةً، ولهذا كانت صلة الرحم السبيل الأقوى إلى توطيد عُرى المحبَّة، وتوثيق روابط الأُلفة والوئام، فمن تجرَّأ على قطع تلك العلائق، وفصم عاتيك الصِلات بين الأقارب، فقد اعتدى على النظام الإلهي، ثم لا يجدله من دون الله وليّاً ولا نصيراً.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: ٣٦).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٦).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (الرعد: ١٩، ٢١).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: ٢٢).

وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٥٦/٣، برقم: ٢٠٦٧، ومسلم: ١٩٨٢/٤، برقم: ٢٥٥٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليه الصلاة والسلام: (خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، وقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ)[1].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (قَالَ اللَّهُ عز وجل: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ)[2].

وقال عليه السلام: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ)[3].

وقال ﷺ: (صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ)[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٨/٥، برقم: ٥٩٨٧، ومسلم: ٤/١٩٨٠، برقم: ٢٥٥٤.العائذ: الملتجئ.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٣/٥٣، وأبو داود في سننه: ٢/١٣٣، برقم: ١٦٩٤.بتته: قطعته.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٦/٦٤، وابن حبان في صحيحه: ٢/١٩٩، برقم: ٤٥٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً، الْبَغْيُ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ)[٢].

وقال بعض الحكماء: بُلُّوا أرحامكم بالحقوق، ولا تجفوها بالعقوق.

وقال بعض الأدباء: من لم يصلح لأهله لم يصلح لغيرهم، ومن لم يذب عنهم لم يذب عن غيرهم.

وقال بعض البلغاء: صلوا أرحامكم فإنها لا تُبلي أصولكم، ولا تُهضم عليها فروعكم. وقال آخر: من وصل رحمه وصله الله ورحمه.

وقال محمد بن عبد الله الأزدي [٣]:

وحسبك من ذلٍ وسوءِ صنيعةٍ ...مناوأةَ ذي القربى وإن قيل قاطعُ [٤]

---

(١) إسناده صحيح،رواه أحمد في مسنده: ١٥٣/٤٢، برقم: ٢٥٢٥٩.

(٢) إسناده ضعيف، رواه ابن ماجه في سننه: ١٤٠٨/٢، برقم: ٤٢١٢، والطبراني في الأوسط: ١٤٩/٩، برقم: ٩٣٨٣.

(٣) هو: محمد بن عبد الله، أبو إسماعيل الأزدي البصري: مؤرخ، توفي نحو سنة (١٦٥ هـ/ ٧٨٢م) الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢١).

(٤) مناوأة: معاداة.

ولـكن أواسيــهِ وأنسى ذنــوبه ... لترجعه يوماً إليَّ الــرواجـــعُ
ولا يستوي في الحكمِ عبدانِ واصلٌ ... وعبدٌ لأرحـامِ القرابةِ قاطعُ



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ العملُ للدارين

تقضي الشريعة الإسلامية، والقوانين الإلهيَّة أن يعمل الإنسان للدنيا والآخرة معاً، بحيث لا ينكب على الدنيا ويفرط في الحب لها والولوع بها، فيسوقه ذلك إلى التغالي في لذاتها، والانهماك في شهواتها، فينسى عاقبته، ويخسر آخرته، ولا يترك الدنيا مطلقاً، ويرغب عنها كلية، فيضيعها ويقضي على الغرض منها، وحينئذ يكون قد أخلَّ بنظام الكون، وخالف قوانين الشريعة، وقد قال الله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح: ٧، ٨).

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (أَعْظَمُ النَّاسِ هَمًّا الْمُؤْمِنُ، الَّذِي يَهْتَمُّ بِأَمْرِ دُنْيَاهُ وَأَمْرِ آخِرَتِهِ)[١].

---

(١) ضعيف، رواه ابن ماجه في سننه: ٢/٧٢٥، برقم: ٢١٤٣، وأبو نعيم في الحلية: ٣/٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه أنَّه قال: (دَعُوا الدُّنْيَا لأهلها، مَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ حَتْفَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ)(١).

وعن أبي موسى الأشعريّ، أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى)(٢).

وقال عليٌّ لرجلٍ ذمَّ الدنيا عنده: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها.

وقال ابن عمر: اعمل لدنياك كأنَّك تعيشُ أبداً، واعمل لآخرتك كأنَّك تموتُ غداً.

وقال حذيفةُ بن اليمان: لَيْسَ خِيَارُكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلآخِرَةِ، وَلا الآخرة للدينا، وَلَكِنَّ خِيَارَكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هذه وهذه.

---

(١) ضعيف،رواه البزار في مسنده: ٨٩/١٣، برقم: ٦٤٤٤، وفيه: هانئ بن المتوكل ضعيف .حتفه: هلاكه.

(٢) إسناده ضعيف، رواه ابن حبان في صحيحه: ٤٨٦/٢، برقم: ٧٠٩، وواحمد في مسنده: ٤٧٠/٣٢، برقم: ١٩٦٩٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال سفيان الثوريّ: مكتوبٌ في التوراة؛ إذا كان في البيت بُرٌّ فتعبَّد، وإن لم يكن فاطبل، يا ابن آدم حرِّك يدكَ يأتي لك رزقك.

وقال وهب بن منبِّه[1]: مثل الدنيا والآخرة مثل ضُرَّتين [2] إن أرضيتَ إحداهما أسخطتَ الأُخرى.

وقال ابن السَّمّاك: من جرعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها.

وقال بعض الحكماء: ليكن طلبك الدنيا اضطرارا، وتذكرك في الأمور اعتبارا، وسعيك لمعادك ابتدارا [3].

---

(١) هو: أبو عبد الله وهب بن منبه الا بناوي الصنعاني الذماري، مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. وأمه من حمير. ولد ومات بصنعاء سنة (١١٤ هـ/٧٣٢م) الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٥).

(٢) الضرتان: هما الزوجتين لرجلٍ واحد.

(٣) معادك: آخرتك. ابتدارا: اسراعاً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق[1] بها.

وقال غيره: ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العِضَ فيها.

وقال بعض السلف: الموت أقصى أمرك، فخذ من دنياك لآخرتك.

وقال آخر: إني وجدت خير الدنيا والآخرة في التقى والغنى، وشر الدنيا في الفجور والفقر.

وقال غيره: من عمل للآخرة أحرزها [2] والدنيا، ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة.

وقال جرير[3]:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

---

(١) الوامق: المُحبّ العاشق.

(٢) أحرزها: فاز بها.

(٣) هو: جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، من تميم، أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة سنة (١١٠ هـ/ ٧٢٨ م). الأعلام للزركلي (٢/ ١١٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال محمود الوراق:

لا تتبع الدنيا وأيامها ... ذمَّاً وإن دارت بك الدائرة

من شرف الدنيا ومن فضلها... أن بها تستدرك الآخرة

وقال أبو العتاهية:

لا تُلهينَّك عن معادك لذَّةٌ ... تفنى وتورثُ دائم الحسراتِ

إنَّ السعيـد غداً زهيدٌ قانعٌ ...عَبَد الإلهَ بأخلصِ النِّيَّاتِ

وقال الشاعر:

واجعل إلى الأخرى بَدَارَكَ بالتُّقى ... تغنم فما الدنيا بدار قرار[١]

واعمل لتلك الدار ما هي أهلُهُ ... عمل المُداري أهل هذي الدار[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) بدارك: اسراعك.

(٢) المداراة: الملاينة.

## ۞ الكرم والمعروف والإحسان

صفاتٌ جليلة في النفس تدفعها إلى فعل المكرمات، ومد يد المساعدة لذوي الحاجةِ والبائسين، والعمل على تخفيف الكوارث [1] عمَّن سطا عليهم الدهر، وصرعتهم شقوة الحياة، وهي العوامل الفعالة إلى غرس بذور المحبة بين النَّاس، وتوطيد علائق الألفة بين الأفراد، ويكفي المرء دليلاً على الترغيب في التخلُّقِ بها ما قرنه الله تعالى من البركةِ والنَّماء في أرزاق المُحسنين، وما وعدهم إيَّاه من الثواب والأجر العظيم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩).

وقال جلَّ شأنه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠).

---

(١) الكوارث: المصائب.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠).

وقال جلّ جلاله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:٣، ٤).

وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

❁ ولقد حبَّبَ الإسلام إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخيَّة، وأكفّهم نديَّة، وأن يسارعوا إلى سبل الإحسان، ووجوه البرّ، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه صباحاً ولا مساء: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا لم يجد ما يقدمه لهؤلاء المساكين، فعليه أن يردَّهم بميسور من القول: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (الاسراء:٢٨).

❁ إن الشقاء يتسرب إلى الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون إلا أنفسهم، مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض، وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختباراً ليس بالهيّن، وذلك ليمحِّص الإيمان، ويوزع به الفضل ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠).

❁ والإنسان بطبعه يحُبُّ المال ويحرص على اقتنائه، وللأثرة في نفسه إيحاء شديد، تجعل أكثر تفكيره في نفسه، وأقله في الآخرين، حتى لو أنه أوتي ما في الأرض جميعاً، وامتلك خزائن الرحمة العليا لما طوَّعت له نفسه أن تنفق منها بسعة، ولقامت من طبيعته الضيقة علل شتَّى تضع في يديه الأغلال: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ (الاسراء: ١٠٠).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولن تفلح أمة ويستقر أمرها في هذا المضمار، إلا إذا وثقت الصلة بين أبنائها، فيعطف القويُّ على الضعيف، ويرفق المكثر بالمقل، حتى لا يبقى محرومٌ يُقاسي ويلات الفقر، ولا يبقى غنيٌّ يحتكر مباهج الغنى والثروة.

❁ إن هذه الشريعة السمحاء تدفع بأبنائها إلى تحقيق هذه الأهداف النبيلة، وتسعى لتنشئتهم على فعل الخير وإسداء العون وصنائع المعروف، فتكون النتيجة سعادة الفقراء، وطمأنينة الأغنياء، فلا حقد، ولا حسد، ولا غل، ولا أثرة عمياء، ﴿هاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).

وإنه لعزيز على النفس أن ترى شخصاً مشقوق الثياب، تكاد فتوقه تكشف سوءاته، أو ترى حافي الأقدام أبلى أديمُ الأرض كعوبه وأصابعه، أو جوعان يمدُّ عينيه إلى شتَّى الأطعمة، ثُمَّ يردُّه الحرمان وهو حسير ...

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والذين يرون هذه الصور الفاحشة ثم لا يكترثون بها، ليسوا بشراً، وليسوا مؤمنين، فبين البشر عامَّة رحم، يجب أن توصل وألا تمزِّقها الفاقة، وقضية الإيمان في أمثال أولئك البائسين أن نتقي الله فيهم.

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ)(١).

ورُوي عنه ﷺ أنَّه قال: (أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ)(٢).

❁ إن من ينطلق في ربوع الأرض، ولا همَّ له إلا جمع ما يضره، ونسيان ما يفيده، يجعله ذلك نقمةً عند أهل السماء، فعنه ﷺ أنَّه قال: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)(٣).

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ٢٨٦/١٧، برقم: ٧٨٨، والبيهقي في الشعب: ٤٩/٥، برقم: ٣٠٧٦.

(٢) صحيح،رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢٢١/٨٦، والطبراني في الكبير: ٣٧٥/١٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١١٥/٢، برقم: ١٤٤٢، ومسلم: ٧٠٠/٢، برقم: ١٠١٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:يا ابنَ آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) (١).

وقال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (٢)، وقال رسول الله ﷺ: (كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ) (٣).

❁ ولقد بيَّن الإسلام أن هذه الأموال المستخفية في الخزائن، ولا يعطى منها حقُّ المسكين والبائس شرٌّ جسيم على صاحبها في ايدنيا والآخرة، وأخبرنا أنها تتحول إلى ثعابين وحيَّات قد أمرقَتْ واحتدَّت أنيابها، وتطارد صاحبها لتقضم يده التي غلَّها الشُّحُّ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦٢/٧، برقم: ٥٣٥٢، ومسلم: ٦٩٠/٢، برقم: ٩٩٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١١/٨، برقم: ٦٠١٨، ومسلم: ٦٨/١، برقم: ٤٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١١/٨، برقم: ٦٠٢١، ومسلم: ٦٩٧/٢، برقم: ١٠٠٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تلاَ قول الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠)) (١).

وفي رواية: (وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ، وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، وَيُقَالُ: هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ، أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ) (٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٠٦/٢، برقم: ١٤٠٣، وغيره. شجاعاً: الحية الذكر أو الثعبان. أقرع: لا شعر على رأسه لكثرة سمه وطول عمره. زبيبتان: نابان يخرجان من فمه أو نقطتان سوداوان فوق عينيه وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه. يطوقه: يجعل في عنقه كالطوق، بلهزمتيه: بشدقيه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢٣/٩، برقم: ٦٩٥٧، ومسلم: ٦٥٨/٢، برقم: ٩٨٨، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وقد يحرص المرء على المال؛ لأنه يريد ترك أولاده في ثراء يحميهم من تقلب الأيام وأحداث الليالي، وهذا قصدٌ حسن، وفي الحديث: (...إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ) (١).

ولكن كفالة الأولاد وضمان مستقبلهم ينبغي ألا يكون على حساب دين المرء وخلقه، فما قيمة أن يضحي الإنسان بنفسه ومروءته وبرضوان الله عليه في مقابلة ما يجنيه لأولاده؟!!

❁ والحقيقة الغائبة أن أولاد المسلم وأمواله كسائر النِّعم التي تُساق إليه،فإن وقف عندها وذهل عن الواجبات المكتوبة والتضحيات المطلوبة، فإن هذه النعم تكون مصدر بلائه، بل هي أنكى أعدائه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤)، فالرجل الذي يقعد عن الجهاد ليظلَّ قريباً من زوجته، أو نكص عن البذل ليدَّخِرَ لأولاده، فهو مسئ في شكر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢/٨١، برقم: ١٢٩٥، ومسلم: ٣/١٢٥٠، برقم: ١٦٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النِّعم؛ لأن البخل بالحقوق لا يمحو فقراً، ولا يضمن غنى، ولا يشفع لصاحبه يوم القيامة.

❁ ولو أمعن الإنسان التفكير في حقيقة ما يملك؛ لوجد أن السماحة أفضل من الأثرة، والعطاء خير من البخل؛ وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟)(١).

ولذلك فإن أعظم ما يدخره المرء لنفسه صدقة يلقاها بين يدي ربِّه، فالصدقة ليست الجزء المفقود، بل هي الجزء الباقي من المال، فعنْ عَائِشَةَ، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا بَقِيَ مِنْهَا؟، قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا)(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٢٧٣/٤، برقم: ٢٩٥٨، وأحمد في مسنده: ٢٤٧/٢٦، برقم: ١٦٣٢٧.

(٢) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٦٤٤/٤، برقم: ٢٤٧٠، وأحمد في مسنده: ٢٨٦/٤٠، برقم: ٢٤٢٤٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٦)، ولن يسبق بالمسلم ويقوي صلته بالله وثقته في فضل الله شئٌ كالإنفاق، وحسن ظنه بالله، ولن يؤخر المرء ويقطعه من الله، ويحرمه من فضل الله شئٌ كبخله وسوء ظنه بالله.

❁ وإذا انزلق المسلم إلى ذنب وشعر أنه باعد بينه وبين ربِّه، فإن الطهور الذي يعيد إليه نقاءه، ويرد إليه ضياءه، ويلُّفه في ستار المغفرة والرضا أن يتقرب بصدقة عزيزة إلى أرحم الراحمين، فعن أبي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ) (١).

وفي حديث أنس مرفوعاً: (الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ) (٢).

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ٢٦١/٨، برقم: ٨٠١٤، وله شواهد صحيحة.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ١٤٠٨/٢، برقم: ٤٢١٠، وغيره.

وما من شئ أشقُّ على الشيطان مأبطل لكيده من إخراج الصدقات؛ لأنه يقذف في النفوس الوهن حتَّى يُثبِّطها عن البذل، ويعلقها بالحطام الفاني: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦٨).

وقال عليّ: لا تستحي من إعطاء القليل، فالحرمان أقلُّ منه، ولا تجبن عن الكثير فإنك أكثر منه.

وقال الأحنف بن قيس: ما ادخرتِ الآباءُ للأبناء، ولا أبقى الموتى للأحياء شيئاً أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب.

وقال عبد الله بن مسعود: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَبُغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليُّ بن الحُسين[1]: اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ مَع أَهْلهِ وَمَع غيرِ أَهْلهِ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ.

وقال جعفر بن محمد[2]: اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزكَاةِ.

وقال الحسن: داووا مرضاكم بِالصَّدَقَةِ، وحصنوا أَمْوَالكُم بِالزَّكَاةِ، وَأَعدُّوا للبلاء الدُّعَاء.

وقال سعد بن العاصي: قبَّح الله المعروف إذا لم يكن ابتداءاً من غير مسألة، والرجل بذل وجهه وقلبه خائف وفرائصه ترتعد، ولا يدرى أيرجع بنُجح الطلب أم بسوء المنقلب.

---

(١) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الائمة الائني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، توفي سنة (٩٤ خ/ ٧١٢م). الأعلام للزركلي (٤/ ٢٧٧).

(٢) هو: جعفر بن محمد بن علي القرشي الهاشمي بن الشهيد أبي عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، توفي سنة (١٤٨ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٢٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحكماء: الكرم عِزُّ الدنيا، وشرف الآخرة، وحسن الصيت، وخلودُ[1] جميل الذكر.

وقال آخر: الجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم.

وقال غيره: اصنع الخير عند إمكانه، يبقى لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك، يُحسن إليك والدولة عليك، واجعل زمانَ رخائك عُدَّةٌ لزمان بلائك.

وقال أحد الأدباء: من لم يصن وجهه عن مسألتك، فصن وجهك عن ردِّه.

وقال آخر: أفضلُ النَّاسِ ما عاش النَّاسُ في فضلهِ، وزارِع البر يحصد السرور. وقال أحد العقلاء: جود الرجل يُحبِّبُه إلى أعدائه، وبخله يبغضه إلى أصدقائه.

---

(١) الخلود: دوام البقاء.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر: من كثرت عوارفه[1]، كثرت معارفه. وقال أحد البلغاء: من بذل ماله أدرك مآله. وقال آخر: أفضل العطيَّة جهدُ المُقل[2].

وقال أحد الفضلاء: للمعروف خصال ثلاث؛ تعجيله، وتيسيره، وتستيره، فمن أخلَّ بواحدة منها، فقد بخس المعروف حقه، وسقط عنه الشكر.

وقال أحد الأجواد: خير النوال ما وصل قبل السؤال.

وقال آخر: أكمل الخصال ثلاثة؛ وقار بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلم بغيرِ ذُل.

وكتب كسرى إلى بعض عماله: استقلل كثير ما تُعطي، واستكثر قليل ما تأخذ، فإن قُرَّةُ عين الكريم فيما يُعطي، وقُرَّةُ عين اللئيم فيما يأخذ، ولا

---

(١) العوارف: المعروف.

(٢) جهد المُقل: طاقة الفقير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تجعل الشَّحيح لك معيناً، ولا الكذاب أميناً، فإنه لا إعانة مع شُح [١]، ولا أمانة مع كذوب.

وقال صالح بن عبد القدوس:

وإذا اتَّسعتَ برزق ربِّكَ فاجعلنْ ... منه الأجلَّ [٢] لأوجهِ الصدقاتِ

وقال أيضاً:

ويُظهر عيب المرء في الناس بُخلُه ... ويستره عنهم جميعاً سخاؤه

تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنني ... أرى كُلَّ عيبٍ والسخاءُ غطاؤه

وقال الأنصاريُّ:

وإن قومك سادوا فلا تحسدوهمُ... وإن كنتم أهل السيادةِ فاعدلوا

وإن أنتم أُعوزتم [٣] فتعفَّفوا... وإن كان فضلُ المالِ فيكم أفضلُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي[١]:

---

(١) الشح: البخل.

(٢) الأجل: العظيم.

(٣) الإعواز: الفقر والحاجة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يرزي بأهله... فأكرمت نفسي ان يقال بخيل

وقال الشَّاعر:

خيرُ أيَّامِ الفتَى يومٌ نَفَعْ ... وَاصطِناعُ الخَيرِ أبْقَى ما صَنَعْ
مَـا ينـالُ الخَيْرُ بالشَّرِّ ولاَ ... يَحْصِدُ الزَّارِعُ إلاَّ مَـا زَرَعْ
ليْسَ كلُّ الدَّهْرِ يوماً واحداً..رُبّما ضَاقَ الفَتى ثمّ اتّسَعْ

وقال آخر:

كن محسنا مهما استطعت فهذه الدنيا ... وإن طالت قصير عمرها
إن المآثر في الورى ذريـــةٌ ... يفنى مــؤثرهـا ويبقى ذكرهـا
فترى الكريم كشمعة من عنبر ... ضاءت فإن طفئت تضوَّع نشرُها (٢)

---

(١) هو: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، ابن النديم، من أشهر ندماء الخلفاء. تفرد بصناعة الغناء، وكان عالما باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راويا للشعر حافظا للأخبار، شاعرا، له تصانيف، من أفراد الدهر أدبا وظرفا وعلما. فارسي الأصل، مولده ووفاته ببغداد سنة (٢٣٥ هـ/ ٨٥٠م). الأعلام للزركلي (١/ ٢٩٢).

(٢) تضوع: انتشرت رائحتها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره:

إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ وَلَمْ تَكُ ذَا نَدَى ... فَأَنْتَ إِذَا وَالْمُقْتِرِينَ سَوَاءُ
على أن للأموال يوماً تباعة (١) ... على أهلها والمقترون براءُ

قال غيره:

أحسن إلى النَّاس تستعبد قلوبهم ...فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ
وكُنْ على الدّهرِ مِعْوَانًا لذي أملٍ ... يرجو نَداكَ فإنّ الحُرَّ مِعْوانُ
واشدُدْ يَدْيكَ بحَبلِ الله مُعتَصِماً ... فإنَّهُ الرُّكْنُ إنْ خانَتْكَ أركانُ
وكُلُّ كَسْرٍ فإنَّ الدين يَجبُرُهُ ... وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

وقال غيره:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس (٢)

❁ ❁ ❁

---

(١) التباعة والتبعة، وتكون عقب كل فعل ذميم.

(٢) جوازيه: الجائزة عليه، وهي العطيَّة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

# ۞ الشكر

اعتراف المرء بالإحسان لذويه، وإقراره بالثناء على مُسديه، فجحد النعمة كفرٌ، وإنكارها لؤمٌ؛ لهذا كان من الواجب أن يشكر الإنسان المولى العليِّ الأعلى على تواتر نعمه، ومزيد إحسانه وكرمه، حتَّى يُضاعف له في رزقه، ويبارك له في عمله، كما يجب عليه ألا يجحد شكر من قدَّم إليه صنيعاً حسناً، وأولاه معروفاً، فإذا فعل ذلك فقد أدَّى الواجب، واستحقَّ العطف والمعونة متى عَرَتْهُ(١) شِدَّة أو نابته نائبة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ [لقمان:١٢]، وقال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (ابراهيم:٧).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ أَشْكَرَ النَّاسِ لِلَّهِ أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ)(٢).

---

(١) عرته: غشيته.

(٢) صحيح، رواه أحمد في مسند: ١٦٦/٣٦، برقم: ٢١٨٤٦، والطبراني في الكبير: ٢٣٦/١، برقم: ٦٤٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ، وَمَنْ لَا يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَا يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ) [(١)].

وعنه أنَّه قال: (وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ) [(٢)].

وقال عليّ: كفر النعمة لؤم. وقال الحسن: كلما شكرت نعمةً تجدَّدَ لك بالشكر أعظم منها، فأنت لا تنفك عن بالشكر من نعمةٍ إلا إلى ما هو أعظم منها.

وقال عمر بن عبد العزيز: تذكروا النِّعم فإنَّ ذكرها شكر.

---

(١) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٣٠/٣٩٠، برقم: ١٨٤٤٩، والبيهقي في الشعب: ٦/٢٤٢، برقم: ٤١٠٥، واللفظ له.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٥٨/ ٢١٦، وابو داود في سننه: ٢/١٢٨، برقم: ١٦٧٢.

www.alukah.net

وقال المغيرة بن شعبة [1]: اشكر لمن أنعم عليك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شُكرت.

ودخل أبو هارون على بعض الحكماء، فقال له: يرحمك الله! ما شكر العينين؟، قال: إذا رأيت بهما خيراً ذكرته، وإذا رأيت بهما شرًّاً سترته، قال: فما شكر الأذنين؟، قال: إذا سمعت بهما خيراً حفظته، وإذا سمعت بهما شرًّاً نسيته.

وقال عبد الحميد الكاتب: من لم يشكر الإنعام [2]، فاعدده من الأنعام [3].

---

(١) هو الصحابي الجليل: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، يقال له (مغيرة الرأي). ولد في الطائف (بالحجاز) وبرحها، وأسلم سنة ٥ هـ. وشهد الحديبيّة واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وتوفي سنة (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٧٧).

(٢) الإنعام: النعم والصنائع.

(٣) الأنعام: الإبل والبقر والغنم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض الحكماء: من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة، وَمَن مَنَّ [١] بمعروفه سقط شكره، ومن أُعجب بعمله أحبط أجره.

وقال آخر: كفر النعمة من أمارات البطر وأسباب الغِيَر.

وسئل بعضهم: ما أضيعُ الأشياء؟، قال: المطر الجود [٢] في أرضٍ سبخة لا يجفُّ ثراها [٣]، ولا ينبت مرعاها، وسراجٌ يُوقد في وَضحِ النَّهار، وصنيعةٌ تُسدى إلى من لا يشكرها.

وقال بعض الأدباء: الشكر أفضل النعم؛ لأنه يبقى والنعم تفنى.

وقال آخر: من أُعطي أربعاً لم يُمنع من أربع، من أعطي الشكر لم يُمنعِ المزيد، ومن أُعطي التوبة، لم يُمنع القبول، ومن أُعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أُعطي الاستشارة لم يُمنع.

---

(١) منَّ: عد ما فعله من الإحسان.

(٢) الجود: الغزير.

(٣) ثراها: ترابها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره: لا تسئ إلى من أحسن إليك، ولا تُعِن على من أنعم عليك. وقال غيره: من بذل بعض عنايته لك، فابذل جميع شكرك له.

وقال بعض الفضلاء: إذا قصرت يدك عن المكافأة، فليطل لسانك بالشكر.

وقال بعض العقلاء: أمسكوا المعروف عن ثلاث؛ اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة، والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو لمخافةِ فُحشه، والأخرق فإنَّه لا يعرف لك قدرك.

وقال بعض الفصحاء: الكريم شكور أو مشكور، واللئيم كفور أو مكفور. وقيل: قيمة كُلِّ نعمةٍ شكرها. وقيل: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا الدُّعَاءَ وَالثَّنَاءَ فَقَدْ كَافَأَه.

وقال الشاعر:

من جاوز النعمة بالشكر لم... يخش على النعمةِ مُغتالها [(١)]

لـو شكروا النِّعمة زادتهم ... مقالة الله التي قالها

---

(١) اغتالها، أي أخذها من حيث لم يدرِ به أحد أو على حين غِرَّةٍ وغفلة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لئن شكرتم لأزيدنّكم ... لكنما كفرهم غالها [(١)]

والكفر بالنعمةِ يدعو إلى ... زوالها والشكر أبقى لها

وقال آخر:

شكر الإلهِ بطول الثناءِ ... وشكر الولاة بصدقِ الولاء [(٢)]

وشكر النظير بحسنِ الجزاء ... وشكر الدنيِّ بحسن العطاء

وقال غيره:

سأشكر لا أني جازيتُ مُنعِماً ...بشكري ولكن كي يُزاد لك الشكرُ

وأذكر أياماً لديَّ اصطنعتها ... وآخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال غيره:

الشكر أفضلُ ما حاولت ملتمساً ... به الزيادةُ عند الله والنَّاسِ

وقال غيره:

إن الصنائع أطواقٌ إذا شُكرت ... وإن كُفرت فأغلالٌ لمُنتَعِلِ [(١)]

---

(١) غال مثل اغتال.

(٢) الولاء: المحبَّة.

www.alukah.net

وقال غيره:

أوليتني نعماً أبوح[٢] بشكرها ... وكفيتني كل الأمور بأسرها

فلأشكرنَّك ما حييتُ وإن أمت ... فلتشكرنَّك أعظمي في قبرها

❁ ❁ ❁

---

(١) يلبسها كالنِّعال في القدمين.

(٢) أبوح: أعترف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الإخلاص

هو أن يعمل المرء الخير بوحي ضميره الخالص، ويقدم الإحسان بدافع نفسه الطاهرة، قاصداً زجه الله الكريم، وطالباً ثوابه العظيم، غير ناظرٍ لسُمعةٍ، أو مُتطلّعٍ إلى شهوة؛ إذ كُلُّ ما يُعمل رياءً لا خير فيه، ولا يجلب لصاحبه غير المقت والازدراء، كذلك فإن صلاح النية وإخلاص العمل لله، يرتفعان بالعمل الدنيوي البحث إلى درجة العبادة المتقبلة، وخبثُ الطويَّة يهبط بالطاعة المحضة فيقلبها معاصي شائنة، فلا ينال المرء منها غير التعب والنصب.

وقد أثنى الله تعالى على المخلصين، وذمَّ المُرائين، فقال جلَّ شأنه: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ، فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (الصافات: ٤٠، ٤٣).

إن الصلاة مع الرياء أمست جريمة، وبعدما فقدت روح الإخلاص باتت صورة ميتة، لا خير فيها، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٤، ٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك الزكاة إن صدرت عن قلب كله سخاء وعطاء لله عز وجل، قبلت وإلا فهي عمل باطل؛ قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ (البقرة: ٢٦٤)، فالقلب المقفر من الإخلاص لا ينبت قولاً طيباً، كالحجر المكسوّ بالتراب لا يخرج منه زرعاً، والقشور الخادعة لا تغني عن اللباب الردئ شيء!!.

وقال عزَّ وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

ولتصحيح اتجاهات القلب، وضمان تجرده من الأهواء والشهوات، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)(١).

وعن أبي أمامة الباهليّ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦/١، برقم: ١، وأبو داود في سننه: ٢٦٢/٢، برقم: ٢٢٠١.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعنه ﷺ أنَّه قال: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ)(٢).

وقال النَّبيُّ ﷺ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ،قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ)(٣).

وقال رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)(٤).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ)(٥).

---

(١) صحيح، رواه النسائي في سننه: ٢٥/٦، برقم: ٣١٤٠، ووالطبراني في الكبير: ١٤٠/٨، برقم: ٧٦٢٨.

(٢) إسناده ضعيف،رواه أحمد في مسنده: ٢٣٩/٣٥، برقم: ٢١٣١٠، والبيهقي في الشعب: ٢٥٦/١، برقم: ١٠٧.

(٣) حسن، رواه أحمد في مسنده: ٣٩/٣٩، برقم: ٢٣٦٣٠، وغيره.

(٤) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٩٣/ ٢٤٠، وأبو داود في سننه: ٢٧٠/٤، برقم: ٤٨٨١.

(٥) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢٥٠/ ٧١٦، والطبراني في الأوسط: ١٠/٤، برقم: ٣٤٧٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ قد يبني الإنسان قصراً منيفاً، وثم يغرس حوله بستاناً نضيداً، وهو بين القصر المنيف والبستان النضيد يُعدُّ من ملوك الدنيا، بيد أنه إذا قصد من وراء قصره وبنيانه نفع الناس، كان له فيهما ثواباً غير مقطوع، فعن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) (١).

وهذه الشهوات بما فيها من اللذاذات، إذا صاحبتها النية الصالحة، والهدف النبيل، تحولت إلى قربة من أعظم القربات؛ فهذا الذي يواقع امرأته يريد العفاف لنفسه، وصيانة دينه أجره عظيم عند الله عز وجل: (وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) (٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٠٣/٣، برقم: ٢٣٢٠، ومسلم: ١١٨٩/٣، برقم: ١٥٥٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٦٩٧/٢، برقم: ١٠٠٦، وابن حبان: ٤٧٥/٩، برقم: ٤١٦٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا الطعام الذي تشتهيه نفسك ويأكل منه زوجك وأولادك وخادمك، لك ثوابه بنية الخير التي تقارنه: (مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ، فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ)[١].

❁ والحقُّ أن الله عز وجل مطَّلعٌ على خبايا النفوس، فيرفع الحريض على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والرغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين؛ لأن بُعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم!

وأوضح مثال على ذلك ما حدث في غزوة العسرة من أن رجالاً قدموا على رسول الله ﷺ يريدون أن يجودوا بأرواحهم في سبيل الله، إلا أنه لم يستطع تجنيدهم، فعادوا بثوب الحزن والألم؛ لتخلفهم عن الميدان، ونزل فيهم: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة:٩٢)، ولكن يقينهم الراسخ، ورغبتهم العميقة في التضحية لم تكن لتذهب هدراً، بل

---

(١) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٤٧٢/٢٨، برقم: ١٧١٩١، والبخاري في الأدب: ١٩٥/٧٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن النَّبيَّ  نوَّه بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم، فقال: (إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، وَلَا سَلَكْتُمْ طَرِيقًا، إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ)[1].

❁ إن الإخلاص بضاعة نفيسة، وبركته غزيرة، إنه يخالط القليل من العمل فينميه حتى يزن الجبال، ويخلو منه كثير من العمل، فلا يزن عند الله هباءة.

وشعاع الإخلاص يسطع في النفس، وأشد ما يكون تألقاً في المواقف المحرجة، وذلك عندما ينسلخ الإنسان من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف بساحة الرحمن أواباً، يرجوا رحمته ويخاف عذابه، يستنجد به ليخرجه من مأزقٍ وقع فيه.

وللإخلاص حرارة تنطفئ رويداً رويداً كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة، وحبُّ الثناء من الخلق، والتطلع إلى الجاه وبعد الصيت، والرغبة في العلو والإفتخار، وفي المقابل: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ،

---

(١) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٩٢٣/٢، برقم: ٢٧٦٥، واحمد في مسنده: ٢٣٨/٢٠، برقم: ١٢٨٧٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ) (١).

❁ إن الرياء يدلُّ على فساد الطويَّة، وهي طريقة ملتوية للتنفيس عن الشهوات المكبوتة؛ وقد يتمادى المرائي في ريائه؛ لأن رذيلته ظهرت في ثوب الفضيلة والطاعة، ولأن صاحب الرياء يقترفه وهو يشبع نهم نفسه، في الوقت الذي يتوهم فيه أنه يُرضي الله تبارك وتعالى؛ فكيف يُحسُّ بأنه ارتكب إثماً؟، وكيف يتوب مما يظنُّ أنه خير؟؛ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)) (٢).

وقال عليّ: لا تعمل شيئاً رياءاً، ولا تتركه حياءاً.

---

(١) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: ٢/١٣٢٠، برقم: ٣٩٨٩، والحاكم في المستدرك: ٤/٣٦٤، برقم: ٧٩٣٣، وصححه الذهبي في التلخيص.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٢/١٢٢، برقم: ٢٥٢٧، والبيهقي في الشعب: ٩/١٧١، برقم: ٦٤٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحكماء: من التمس أربعاً بأربع التمس مالا يكون، من التمس الجزاء بالرياء، ومن التمس مودة الناس بالغلظةِ، ومن التمس وفاء الإخوان بالخيانة، ومن التمس العلم براحةِ الجسد.

وقال بعض الفصحاء: المرائي يتبهرج بزيِّ الصُّلحاء، ويظهر بمظهر الأخيار، حتَّى يستعطف القوب النافرة، ويخدع القلوب الواهية.

وقال بعض الفضلاء: لتكن سريرتك أحسن من علانيتك.

وقال آخر: الرياءُ فضي بصاحبه إلى استهزاء الناس به.

وقال بعض الصلحاء: كل حسنة لم يُرد بها وجه الله، فعلَّتُها قُبحُ الرياء، وثمرتها سوء الجزاء.

وقال آخر: لو أن رجلاً عمل الخير فكتمه، ثُمَّ أحب أن يعلم النَّاس أنه كتمه فهو من الرياء.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: المتزيِّنُ بما ليس فيه كلابس ثوبيّ زور، فهو محروم الأجر، مذموم الذكر؛ لأنه لا يقصد وجه الله فيؤجر، ولا يخفى رياؤه على الناس فيُحمد به.

قال الشاعر:

وأفضلُ البر ما لا مَنَّ يتبعهُ ... ولا تَقدَّمَهُ شيءٌ من المطلِ [1]

فإنما الجود بذلٌ لم تُكلَّف به ... صنعاً ولم تنتظر فيه جزا رجلِ [2]

وقال آخر:

عليك بالصبرِ والإخلاصِ في العملِ ... ولازم الخيرَ في حلٍ ومُرتَحلِ [3]

---

(١) المطل: التأخير مع الملاينة.

(٢) تكلَّف: لم يطلب منك، إنما أخرجته ابتداءاً.

(٣) الحِل: الإقامة، والمرتحل: السفر.

## الصراحة

خُلُقٌ يوجب على الإنسان الإفصاح بما في قلبه من غير زيغٍ، ولا مراوغة، فليس من العيب أن يسرد الإنسان لأخيه كل ما في نفسه من مجريات الحياة بوضوح وجلاء، حتى يتضافرا معاً على الإصلاح، ولكن العيب كل العيب أن يتلون المرء في أحواله ومعاملاته ومحادثاته، ثم هو يعلم أن لِلّسانِ سَقطات، وللوجهِ علامات، وكلُّ ما كان يُبطنُه فإن الأيام تُظهره، ولا شك بعدها أن تُعرف حقيقة أمره، وتظهر خبيئاتُ نيَّتهِ، ويفتضح سوء تملُّقهِ، ولا يلومنَّ بعدئذٍ إلا نفسه، حيثُ ينفضُّ الكُلُّ من حوله، ويبرأ الجميع من معرفته.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤)، وقال جلَّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (الفتح: ١١).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ) (١)، ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢).

وقال عليٌّ: ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه. وقال أيضاً: أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه؛ لأنهم يهدونه إلى عيوبه فيجتنبها، ويخاف شماتتهم فيضبط نعمته، ويتحرَّز من زوالها بغاية طاقته.

وقال: المرآة التي ينظر إليها الإنسان فيها إلى أخلاقه هي النَّاس؛ لأنه يرى محاسنه منهم، ومساوئه فيهم. وقال: اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطبٌ غيرك، وثوابه وجوابه قد سقط عنك.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٧١/٩، برقم: ٧١٧٩، ومسلم: ٢٠١١/٤، برقم: ٢٥٢٦.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٦٨/٤، برقم: ٤٨٧٣، وابن حبان في صحيحه: ٦٨/١٣، برقم: ٥٧٥٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال سعيد بن عروة: لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قُبح المنظر، وعجز المخبر [1] أحبُّ إليَّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين.

وقال الأحنف بن قيس: لا صديق لمتلون، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا مروءة لدنيّ، ولا زعامة لسيئ الخُلق.

وقال الإسكندر [2]: انتفعت بأعدائي أكثر مما انتفعت بأصدقائي؛ لأن أعدائي كان يعيروني ويكشفون لي عيوبي، وينبهوني بذلك على الخطأ، فأستدركه وكان أصدقائي يزينون لي الخطأ، ويشجعوني عليه.

وجاء رجل إلى المهدي، فقال له: أنا عبدك، فقال: لا أعلم أحداً يَنسب نفسه إلى مخلوقٍ نفسه، فإنه مَلَقٌ كاذب لا يقبله إلا مأفون [3]، أو مفتون [1].

---

(١) المخبر: ضد المظهر.

(٢) هو الاسكندر الثالث المقدوني، والمعروف بالإسكندر الأكبر، توفي ببابل نحو سنة (٣٢٣ ق. م) انظر: موسوعة ويكبيديا.

(٣) مأفون: مجنون.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان أبو بكر الصديق إذا مُدح، قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

وقال بعض الحكماء: إن الملق مصائدُ العقول الواهنة (٢)، والمداهنة شبكة القلوب الغافلة، وهما من ضروب التدليس والتمويه (٣)، والتضليل والتغرير، وليس فيمن يكون الملق والمداهنة بعض سجاياه خيرٌ يُرجى، ولا صلاحٌ يؤمَّل.

وقال آخر: إن المتملقين يجعلون التمليق خديعة، فإذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة أغروا أربابها، وجعلوا ذلك ذريعة (٤) إلى الاستهزاء بهم.

وقال غيره: عجبت لمن قيل فيه الخير، وليس فيه كيف يفرح؟، وعجبت لمن قيل فيه الشر، وهو فيه كيف يغضب؟

---

(١) مفتون: ناقص العقل.

(٢) الواهنة: الضعيفة.

(٣) التدليس والتمويه: إخفاء العيوب وإظهار غير الحقيقة ، والتضليل والتغرير مثلهما.

(٤) ذريعة: وسيلة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الفضلاء: من أعظم الذنوب تحسين العيوب.

وقال آخر: لا تحمل على ظنك ما لا تطيق، ولا تعمل عملاً لا ينفعك، ولا تغتر بالمداهنة، ولا تثق بمالٍ وإن كثر.

وقال غيره: ينبغي للرجل أن يكون مرآة أخيه، تريه خيره وشره.

وقال أحد العقلاء: اعرف الرجل من فعله لا من كلامه، واعرف محبته من عينيه لا من لسانه.

وقال بعض البلغاء: التمليق خُدعة لا يرضاها عاقل، ولا ينخدع بها مميِّز.

وقال آخر: من آداب الكلام ألا يتجاوز المرء في مدح، ولا يُسرف في ذم؛ لأن التجاوز في المدح مَلق يصدر عن مهانة، والسَّرف في الذم انتقلمٌ يصدر عن شر، وكلاهما شَينٌ، وإن سلم من الكذب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال أبو حيان الأندلسي [1]:

عداي لهم فضلٌ علي ومنة ... فلا أبعد الرحمن عنّي الأعاديا

هموا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ... وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وقال إبراهيم بن محمد:

كم من صديق وده بلسانه ... خؤون بظهر الغيب لا يتندم

يضاحكني كرها لكيما أوده ... وتتبعني منه إذا غبت أسهم

وكم من صديق ودُّه بلسانه ...وفي قلبه إن غبت صابٌ وعلقمُ [2]

وقال صالح بن عبد القدوس:

---

(١) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره سنة (٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤م). الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٢).

(٢) الصاب: عصارة شجر مُرّ، والعلقم: شجر مُر أيضاً، وكلُّ شيءٍ مر يُقال له: علقم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قل للذي لست أدري من تلوّنه ... أناصحٌ أم على غشّ يداجيني

إني لأكثر مما سميتني عجباً ... يد تشجّ[1] وأخرى منك تأسوني[2]

تغتابني عند أقوامٍ وتمدحني ... في آخرين، وكلّ عنك يأتيني

هذان أمران شتّى البون بينهما ... فاكفف لسانك عن ذمي وتزييني

وقال الشاعر:

خل النفاق لأهله ... وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن تُرى ... إلا عدوا أو صديقاً

وقال غيره:

ولا خير في ود امرىء متلون ... إذا الريح مالت مال حيث تميلُ

وما أكثر الاخوان حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليلُ

وقال غيره:

(١) تشج: تجرح.

(٢) تأسوني: تداويني.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا خير في ود امرئ متملق ... حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة ...ويروغ منك كما يروغ الثعلب
واختر قرينك واصطفيه تفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغِنيَّ من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه ... ويقام عند سلامه ويقرب

## ۞ الاستقامة والاعتدال

هما خصلتان ممدوحتان إذا وُجدتا في المرء دلَّتا على حُسن سيره، وكمال عقله، وهما سياجه الوحيد لدفع ما يتسرب إليه من ضرر، وصد ما يلحقه من قدح، ولولاهما لما كان النظام الذي نشاهده، ولا كان الاطمئنان الذي نرح في بحبوحته، فهما سبيل نجاحٍ لمن أراده، وطريق سعادة لمن رغب فيها، وهيهات هيهات أن ينال الخالي منهما مأربه، أو يبلغ مقصده، بل لا يزال طول حياته يتخبط في دياجير الظلام، فلا يرى للنور بصيصاً فيهتدي به، ولا للذة الحياة بريقاً فيصلُ إليه، فينقطع رجاؤه وتفنى معه آماله.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠).

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٦).

وقال جلّ شأنه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك:٢٢).

وقال: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦)، وقال رسول الله ﷺ: (اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ للنَّاس)[١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ، وَفَضْلٍ)[١].

---

(١) حسن، رواه ابن حبان في صحيحه: ٢/٢٨٣، برقم: ٥٢٤، والبيهقي في الشعب: ١٠/٣٨٢، برقم: ٧٦٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيّ[٢]، قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ) [٣].

وقال عليّ: خير الأمور النمط الوسط، إليه يرجع الغالي، وبه يلحق التالي.

وقال بعض الحكماء للإسكندر: أيها الملك عليك بالإعتدال في كل الأمور، فإن الزيادة عيب، والنقصان عجز.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٤/٢١٧٠، برقم: ٢٨١٦، وابن ماجه في سننه: ٢/١٤٠٥، برقم: ٤٢٠١.

(٢) هو الصحابي الجليل سفيان بن عبد الله الثقفي، توفي نحو (٤٣ هـ). انظر تاريخ الإسلام ت بشار (٣/ ٣٧٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١/٦٥، برقم: ٣٨، والنسائي في الكبرى: ١٠/٢٥٦، برقم: ١١٤٢٥.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر: ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة؛ كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة نُسبَ إلى التهور[1]، والسَّخي إذا زاد على حدِّ السخاء نُسبَ إلى التبذير.

وقال بعض الأدباء: أحسن الأعمال أن تأتي بها على وجه الكمال من غير زيادةٍ ولا نقصان، فهي أوسط الأحوال وأعدلُها؛ لأنه لم يكن تقصير فتندم، ولا تقتير فتعجز.

وقال آخر: إياك ومفارقة الاعتدال، فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد.

وقيل: لا تكن يابساً فتكسر، ولا ليناً فتُعصر.

وقال زياد بن أبيه [2]: إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله؛ لينٌ في غير ضعف، وشدَّةٌ في غير عنف.

---

(١) التهور: هو قلَّة المبالاة عند الوقوع في شئ ما.

(٢) هو: زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عُبَيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض العلماء: إن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز حدَّ الاعتدال فهو خروج عن العدل، ولست تجد فساداً إلا وسببه الخروج عن حال الاعتدال.

وقال بعض العقلاء: أحسن الأحوال حال يغبطك [1] بها مَن دونك، ولا يحقرك معها مَن فوقك.

وقال آخر: أكثر الخير في الأوساط. وقيل: الاستقامة مفتاح الكرامة.

وقال أبو العتاهية:

اسلك بُنَيَّ مناهج [1] السادات... وتخلقن بأشرف العادات

لاتلهينك عن معادك لذة... تفنى وتورث دائم الحسرات

إن السعيد غداً زهيد قانع... عند الإله بأخلص النيات

---

الطائف، وتبناه عبيد الثقفي (مولى الحارث بن كلدة) وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ومات سنة (٥٣ هـ/ ٦٧٣م) الأعلام للزركلي (٣/ ٥٣).

(١) يغبطك: يتمنى مثل حالك من غير زوالها عنك، وهو ضدُّ الحسد.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن الوردي:

اعتزل ذكر الأغاني والهزل ... وقل الفصل وجانب مَن هَزل

واترك الغادة لا تحفَــل بها ... تُمسِ في عــزٍّ رفيعٍ وَتُجَلْ

وقال الخريميُّ [٢]:

وخير حال الفتى في القول أقصدها ... بين السبيلين لا عَيٌّ ولا هَذَرُ [٣]

وقال المعرِّي [٤]:

إذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا...فعند التناهي يَقصُر المُتطاولُ [٥]

---

(١) مناهج: طرق.

(٢) هو: أبو يعقوب، إسحاق بن حسان بن قوهي، الخريمي، شاعر مطبوع، وصفه أبو حاتِم السِّجِسْتَاني بأشعر المولدين. خراساني الأصل من أبناء السغد. ولد في الجزيرة الفراتية، وسكن بغداد، وتوفي سنة (٢١٢ هـ/ ٨٢٧م). الأعلام للزركلي (١/ ٢٩٤).

(٣) العيّ: هو العجز عن الكلام. والهذر: هو الهذيان والإكثار.

(٤) هو: أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخيّ المعري: شاعر فيلسوف. ولد ومات في معرة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدريّ صغيرا فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، وتوفي سنة (٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٥٧).

(٥) يقصر: يعجز. المتطاول: من جاوز الحد.

www.alukah.net

تُوقَّى البدورُ النَّقصُ وهي أهلةٌ ...ويدركها النقصانُ وهي كواملُ

وقال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها.... نجاة ولا تركب ذلولاً[١] ولا صعباً

وقال آخر:

لا تذهبنَّ في الأمور فَرَطا ... ولا تسألنَّ إن سألت شططا [٢]

وكن من النَّاسِ جميعاً وسطا

وقال غيره:

ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن ... لكفيكَ في الإنفاقِ إمساكُ مُقتِرِ

ألا إن أوساط الأمور خيارُها ... مقالُ نبيٍّ عن هُدى الله مُخبرُ

(١) ذلولاً: سهلاً.

(٢) فرطا: فرط الأمر أي قصَّر فيه وضيَّعه حتَّى فات، وشططا: أي زيادة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الأمل والتفاؤل

خلق كريم، به تنشرح النفس، ويتسع مجال العمل، ويقوم الإنسان بما عليه من واجبات الحياة طبقاً للقوانين الشرعية، فلا يصيبه فيها ملل، ولا تعتوره منها كآبة، فما أصابه من خير شكر الله عليه، وما مسَّه من سوءٍ قابله برباطة جأش وثبات جنان، وتضرع إلى مولاه الأعلى أن يُخلفَ عليه (١) فيما أصابه من عيشه، ويزيل عنه ما اعترضه من أمور حياته، ثم هو لا يكاد يستأنف عمله إلا وهو واضعٌ الأمل نصب عينيه، لعلمه أنه العدة على اقتحام الصعاب بصدر رحب، والوسيلة إلى ارتكاب الأهوال في سبيل الوصول إلى الطلب وهو غيرُ هيَّابٍ ولا وجل ما دام يعتقد أنه لعلى طريق الحق يسير، وإلى غاية شريفة يأمل، واقفاً عند حد ذلك الأمل لا يخرج به إلى درجة الطامع في الدنيا والمتكالب عليها، وشتان بينه وبين امرئ انقطع الأمل منه، فتسرب اليأس إلى فؤاده، وتملك القنوط من قلبه، فقعد عن العمل، وكفَّ عن السير في سُبلِ الحياة حتَّى ضاقت به الأرض على سعتها، وأصبح يعيبُ الزمان وأهله، وما للزمان عيبٌ سوى نفسه، ثم صار يطلب الفرار من الحياة،

---

(١) يُخلف عليه: يعوضه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وربما أهلك نفسه تخلُّصاً منها، وهو ما نشاهده بين ظهرانينا من بعض الجهلاء اليائسين، فيذهب غير مأسوف عليه وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:١١٠).

وقال جل شأنه: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ[١] مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (الحجر:٥٦).

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

وقال رسول الله ﷺ: (يُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ)[٢]. وقال ﷺ: (أَبْشِرُوا، وَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا)[١]، وكان عليه الصلاة والسلام –يقول: (أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ، وَآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ)[٢].

---

(١) يقنط: ييأس.

(٢) صحيح، رواه البخاري في صحيحه: ١٣٥/٧، برقم: ٥٧٥٦، و١٧٤٦/٤، برقم: ٢٢٢٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ) (٣).

وعنه عليه الصَّلاة والسلام أنَّه قال: (مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ) (٤).

وقال ﷺ: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي) (٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) (١).

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٩٨/٢٥٤، والبيهقي في الشعب: ٣٤٣/٢، برقم: ١٠٢٧.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٤٣٨/٣، برقم: ٥٦٦٦، والطبراني في الأوسط: ١٤١/٢، برقم: ١٥٠٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٢١٠٩/٤، برقم: ٢٧٥٥، وابن حبان: ٤٣٢/٢، برقم: ٦٥٦.

(٤) رواه البخاريُّ في صحيحه: ٧١/٢، برقم: ١٢٣٧، ومسلم: ٩٤/١، برقم: ٩٤.

(٥) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٣٦/٤، برقم: ٤٧٣٩، والترمذي: ٦٢٥/٤، برقم: ٢٤٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحكماء: لولا الأمل ما بنى بانٍ بيتاً، ولا غرس غارسٌ غرساً. وقيل: قتل القنوط صاحبه، وفي حسن الظن بالله راحة القلوب.

وقال الطغرائي [٢]:

ولا تيأسنَّ من صنع ربك إنه ...ضمينٌ بأن الله سوف يديـلُ [٣]

فإن الليـالي إذ يزول نعيمها ... تبشر أن النـائبات تزول

ألم تر أن الليل بعد ظلامهِ ...عليه لإسفارِ الصباحِ دليلُ [٤]

ألم تر أن الشمس بعد كسوفها ...لها صفحةٌ تغشى العيونَ صقيلُ [٥]

وأن الهلال النِضْوَ يقمُرُ بعدما ...بدا وهو شَخْتُ الجانبين ضئيلُ [٦]

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٦٨/٤٧٩، وأحمد في مسنده: ٢٠/٢٥١، برقم: ١٢٩٠٢.

(٢) هو: أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد، مؤيد الدين، الأصبهاني الطغرائي: شاعر، من الوزراء الكتّاب، كان ينعت بالأستاذ. ولد بأصبهان، قتله السلطان محمود سنة (٥١٣ هـ/ ١١٢٠م). ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤٦).

(٣) يديل: ينصر.

(٤) الإسفار: الضياء.

(٥) صفحةُ كُلِّ شيءٍ جانبه. يغشى: يغطي. الصقيل: اللامع.

(٦) النِّضْو: المهزول. والشخت: الضامر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال المتنبي:

لا تلق دهرك إلا غير مكترثٍ ...ما دام يصحب فيه روحك البدنُ

فما يدوم سرور ما سررت به ... ولا يردُّ عليك الفائتَ الحزنُ

وقال الشاعر:

وللنفوس وإن كانت على وَجَلٍ...من المنيَّةِ آمالٌ تقويّها [١]

فالصبر يبسطها والدهر يقبضها ...والنفس تنشرها والموتُ يطويها

وقال آخر:

لا خير في اليأسِ كُلُّ الخيرِ في الأملِ ... أصل الشجاعةِ والإقدامِ في الرجلِ

وقال غيره:

أعلل النَّفسَ بالآمال أرقيها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وقال آخر:

إن للآمال في أنفسنا ...لذَّةً تُنعِشُ منها ما ذَبُل

---

(١) الوجل: الخوف. والمنيَّة: الموت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## الجد والعمل

إن نظام هذه الحياة يتطلب السعي والعلم، وحركة الأعمال فيها تتوقف على الجد والاجتهاد؛ ولذلك كان من الواجب أن ينهض الإنسان للعمل مستشعراً بشعار الجد والنَّشاط، طارحاً القعود والكسل وراءه ظهريّاً، حتى يقوم بما فرضته عليه الطبيعة –وهي سنة الله في خلقه– ويعمل بما أوحته إليه القوانين الشرعية، والعاقل لا يرضى لنفسه أن يكون كلّاً على غيره، وهو يعلم أن الرزق منوط بالسعي، وأن مصالح الحياة لا تتم إلا بإشتراك الأفراد حيث يقوم كل واحدٍ بعمل خاص له، وهناك تتبادل المنافع، وتدور رحى الأعمال، ويتمُّ النظام على الوجه الأكمل.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١)﴾ (الملك:١٥).

---

(١) مناكبها: جوانبها وأطرافها ونواحيها. النشور: البعث بعد الموت.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ: ١٠، ١١).

❁ ومن مظاهر الحياة الراقية في الأمم المتحضرة، الجدُّ في الأعمال، والمضي بعزيمة صادقة لا تعرف الكلل أو الملل؛ فما رأينا أمةً درجت في سلم الرقي والحضارة، وانتشر فيها نور العرفان، وقامت بجليل الأعمال وعظيم المخترعات إلا كان رائد أفرادها ونبراسهم الإرادة القوية التي لا تتزعزع؛ قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وقال رسول الله ﷺ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)(١)، ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (اطْلُبُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ)(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/٥٧، برقم: ٢٠٧٢، وغيره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وفي المقابل نجد أن الكسل يضرب أطنابه على الأمم المغلوبة على أمرها، ولذلك كان فتور العزيمة ديدنها أينما ولت وجهها، وكما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقال عمر بن الخطاب: لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، وهو يقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تُمطر ذهباً ولا فضة، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض.

وقال بزدجمهر: إن يكن الشغل مجهدة، فإن الفراغ مفسدة.

وقال بعض الحكماء: اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مواتياً [٢] لك، ولا ما فات مستدركاً.

وقال أحد الأدباء: العمل تُرس [١] يقي سهام البلاء، والجد سيف يقطع أعناق الشقاء.

---

(١) إسناده ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده: ٣٤٧/٧، برقم: ٤٣٨٤، والطبراني في الأوسط: ٢٧٤/١، برقم: ٨٩٥.والمراد به إثارة الأرض بالحراثة والزراعة.

(٢) مواتياً: موافقاً ومطاوعاً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر: لا شئ أحسن من عقلٍ زانه حُلم، ومن عملٍ زانه علم، ومن حلم زانه صدق.

وقال بعض البلغاء: إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوراً على الخلق كله، وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرُّف والتحرُّز، وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخِلابة (٢) والاحتيال.

وقال آخر: من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرضٍ أدَّاه، أو مجدٍ حصَّله، أوحمدٍ حصَّله، أو خيرٍ أسَّسه، أو علمٍ اقتبسه، فقد عقَّ يومه، وظلم نفسه.

وقال غيره: إذا عمل المرء ولم يدرك حاجته، فحسبه نفعاً أن يسلم من عواقب التواني التي هي أسوأ من مغبات (٣) الخيبة.

---

(١) الترس: الحصن.

(٢) الخلابة: الخديعة.

(٣) مغبات: عواقب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره: من صادف حظاً بدون مشقَّة، كان فيما ناله كالمغتصب؛ إذ ليس في الحظوظ استحقاق.

وقال بعض العقلاء: لا تُمضِ يومك في غير منفعة، ولا تُضع مالك في غير صنيعة، فالعمر أقصر من أن ينفذ في غير النافع، والمال أقل من أن يُصرف في غير الصنائع، والعاقل أجلُّ من أن يُفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره.

وقال بعض العلماء: هل يجوز في وهم أو يتمثل في عقل، أو يصح في قياس أن يُحصد زرعٌ بغير بَذر؟، أو تُجنى ثمرةٌ بغير غرس؟، أو يُورى زَنَد (١) بغيرِ قدح، أو يُثمرَ مالٌ بغير طلب؟

وقال بعض الفضلاء: الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم، والعلم كله هباء إلا موضع العمل، والعمل كله هباءإلا في موضع الإخلاص.

وقد قيل: كل رزق له سبب، ومن طلب الأمر وجدَّ وجد.

---

(١) ورى الزند: خرجت ناره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن شهاب [1]:

تتبع خبايا الأرض وادعُ مليكها ... لعلَّك يوماً أن تُجابَ فتُرزقا

فيؤتيك مالاً واسعاً ذا متانَةٍ ... إذا ما مياهُ الأرضِ غارت [2] تدفَّقا

وقال صفي الدين الحلّي:

ومن أراد العلا عفواً بلا تعبِ ... قضى ولم يقضِ من إدراكها وطرا [3]

لا يُبلغُ السؤلُ [4] إلا بعد مؤلمةٍ ... ولا تتم المنى إلا لمن صبرا

وقال الشاعر:

وما طلب المعيشةِ بالتمنّي ... ولكن ألقِ دلوك في الدلاء [5]

تجئُ بملئها طورا وطورا ... تجئ بحمأةٍ وقليل ماء [6]

ولا تقعد على كسل التمني ... تحيل على المقدر والقضاء

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد علماء التابعين، توفي سنة (١٢٤ هـ).

(٢) غار الماء: سفل في الأرض.

(٣) قضى: مات. وطرا: حاجة.

(٤) السؤل: المأمول.

(٥) الدلاء جمع دلو، وهي ما يُستقى بها.

(٦) الحمأة: الطين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن مقادير الرحمن تجري ... بأرزاق الرجال من السماء

مُقدَّرةٌ بقبضٍ أو بِبَسطِ ...وعجز المرء أسباب البلاء [1]

وقال آخر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ...ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال غيره:

دع التكاسل في الخيراتِ تطلبها... فليس يسعد في الخيراتِ كسلان

وقال غيره:

بصرتُ بالحالةِ العليا فلم أرها ... تنال إلا على جسرٍ من التعبِ

وقال غيره:

وما طلب الحاجاتِ في كل وجهةٍ ... من الناسِ إلا مَن أجدَّ وشمَّرا

---

(١) القبض ضد البسط، والبسط: السعة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الثبات في الأعمال

هو المواظبة عليها بدون هوادة ولا انقطاع؛ لأن الأعمال لا تتكلل بالنجاح، ولا يبلغ المرء منها أمنيته إلا بالثبات فيها، وتوطيد العزم على المثابرة عليها، من غير أن يجعل لليأس عليه سبيلاً، أو يدع للسآمةِ عنده مجالاً، وما فشل في عمله إلا من ضعفت عقيدته، وخارت عزيمته، فقعد عن مواصلةِ العمل، ولم يهتدي إلى بلوغ الأمل، ولكن كبار النُّفوس أشدُّ شكيمةً [(١)]، فتراهم لا يزالون يكافحون الأعمال من جميع وجوهها بقلوبٍ ثابتة، وعزائم صادقة، فلا يلبثون أن يبلغوا منها مآربهم، ويفوزوا منها بمقاصدهم جزاء ما تحمَّلوا من متاعب، وتجشموا [(٢)] من مصاعب، والله لا يضيع أجر العاملين .

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥).

---

(١) أشدهم شكيمة: أعزهم نفساً، وتطلق على الأبيّ الأنف.

(٢) تجشموا: تكلفوا من متاعب ومشاق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقال رسول الله ﷺ: (أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ)[١]، ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)[٢]، وعنه ﷺ أنَّه قال: (مَنْ أبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)[٣].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: التواني مفتاح البؤس، وبالعجز والكسل تولَّدت الفاقة، ونتجت الهلكة، ومن لم يطلب لم يجد، وأفضى إلى الفساد.

وقال: من أطاع التواني ضيع الحقوق، ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه، وترك ما أمكن مما تُحمد عواقبه.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢١٧١/٤، برقم: ٢٨١٨، وأبو داود في سننه: ٤٨/٢، برقم: ١٣٦٨.

(٢) حسن، رواه الطبراني في الأوسط: ٢٧٢/٨، برقم: ٨٦١٠، وأبو يعلى في مسنده: ٩٦/٧، برقم: ٤٠٣٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٧٤/٤، برقم: ٢٦٩٩، وأبو داود في سننه: ٣١٧/٣، برقم: ٣٦٤٣. أبطأ: قصَّر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال: لهب الشوق أخفُّ محملاً من مقاساة الملالة [1].

وقال الأحنف: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

وقال يزيد بن المهلب [2]: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود الضجر.

وقال أعرابيّ: العاجز هو القليل الحيلة، الملازم للأماني المستحيلة.

وقال أحد الحكماء: ما لزم أحد الدَّعَة [3] إلا زل، وحب الهوينا يُكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز.

---

(١) الملالة: السآمة.

(٢) هو: يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان الأجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٣ هـ فمكث نحوا من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان، وجرت بينه وبين بني أمية حروبٌ كثيرة انتهت بمقتله سنة (١٠٢ هـ/ ٧٢٠م). انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٨٩).

(٣) الدعة: السكون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: احذر مجالسة العاجز، فإن من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه، وأمده من جزعه، وعوَّده قلَّة الصَّبر، ونسَّاه ما في العواقب، وليس للعجزِ ضدٌّ إلا الحزم.

ومن لطيف الكلام أنه قال الممكنُ للمستحيل: أين تُقيم؟، قال في أحلام العاجز.

وقال أحد الفضلاء: من دام كسله خاب أمله، ومن التوفيق بُغض التواني.

وقال غيره: أولى الأمور بالإنجاح المواظبة والإلحاح.

وقيل: لا تؤخرنَّ عملاً عن وقته، فإن للوقت الذي تؤخره إليه عملاً آخر، ولست تطيق ازدحام الأعمال؛ لأنه إذا ازدحمت دخلها الخلل.

وقيل أيضاً: من لزم الرقاد عدم المراد، ومن كثر تواكله كثر إهمابه، ومن كثر إهماله ضاعت أمواله.

يقول المتنبي:



شبكة الألوكة - قسم الكتب

على قدر أهل العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

وتعظم في عين الصغير صغارها ...وتصغر في عين العظيم العظائمُ

وقال المنصور [(١)]:

إذا كنت ذا رأيٍ فكن فيه مُقْدِمَا ... فإنَّ فساد الرأيِ أن تتردَّدا

وقال الشاعر:

لا تخضعنَّ فإنَّ دهرك إن رأى ...منك الخضوعَ أمدَّه بهوانِ

وإذا رآك قد قصدتَ لِصَرفِهِ ...بالصَّبرِ لاقى الصَّبرَ بالإذعانِ

وقال الشاعر:

لقد هاج [(٢)] الفراغ عليك شغلاً ... وأسباب البلاء من الفراغ

وقال آخر:

---

(١) هو: أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء، توفي سنة (١٥٨ هـ/ ٧٧٥م). انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١١٧)

(٢) هاج: أثار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توكل على الرحمن في الأمر كلِّه ...ولا ترغبنَّ في العجزِ يوما

وقال غيره:

لا تكونن للأمور هيوباً[١] ...فإلى خيبةٍ يصير الهيوب

وقال غيره:

إذا همَّ لم تردع عزيمة همه ...ولم يأتِي ما يأتي من الأمر هائبا

إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمه ...ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقال غيره:

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمةٍ ... ولا تك بالترداد للرأي أفسدا

فإني رأيت الريث في العزم هجنةٌ ... وإنفاذ ذي الرأي العزيمة أرشدا

❁ ❁ ❁

(١) هيوباً: خائفاً.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ الألفة والأخوة

قضت الشريعة الإسلامية بالألفة والتآخي لما يعترض حالنا في هذه الحياة من العوائق والمصاعب، وما ينتابنا فيها من النوائب والمصائب، مما لا يقدر الفرد على احتماله، أو دفع أضراره، فبالألفة والأخوة تتوطد العلائق بين الأفراد، وتقوى الرابطة بين الجماعات، ويعمل الكل متحدين على مكافحة معترضات الحياة، وتذليل صعابها، فنفتح أمامهم الطرق، ويسهل عليهم عبورها، حتى يصلوا إلى ما يشاءون من بلوغ النجاح، ونيل الآمال، ومن هذا يتضح لك سوء عاقبة من انشق على إخوانه، وقطع حبل المودة فيما بينه وبينهم، فإنه لا يزال تتخبطه الوساوس، وتتلقفه الحوادث، ولا من يرشده، أو يشاركه في دفعِ ضُرٍّ، أوجرِّ مغنمٍ.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران:١٠٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقال عزَّ وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

وقال رسول الله ﷺ: (الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يُأْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ)[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: (لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ)[٢].

وعنه أنَّه قال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ)[٣].

---

(١) صحيح، رواه البيهقي في شعب الإيمان: ١١٥/١٠، برقم: ٧٢٥٢، والطبراني في الأوسط: ٥٨/٦، برقم: ٥٧٨٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٩/٨، برقم: ٦٠٦٥، ومسلم: ١٩٨٣/٤، برقم: ٢٥٥٨.

(٣) صحيح، رواه الطبراني في الأوسط: ٣٥٦/٤، برقم: ٤٤٢٢، والبيهقي في الشعب: ٣٥٦/١٠، برقم: ٧٦١٦.الوطئ: السهل اللين. والكنف: الجانب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن علائم الأخوة وشارات الإيمان أن تُحبَّ النفع لأخيك، فتفرح بفرحه، وتأسى لمصيبته، وتنطلق في قضاء حوائجه، وتفريج كرباته.

ومن الأخوَّة أن يشعر المسلم بأن إخوانه ظهير له في السراء والضراء، وأن قوى المؤمنين تسانده وتشدُّ من أزره، وكأنهم أغصانٌ انبثقت من دوحةٍ واحدة، أو زوجٌ واحد حلَّ في أجسام متعددة.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (١).

إن الأخوة الحقيقية هي التي تدفعك إلى كشف ضوائق إخوانك، فلا يهدأ لك بال حتى تزول غُمَّتها وتنفكَّ عقدتها، فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك؛ وقال رسول الله ﷺ: (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ١/٧٤، برقم: ٥٤، وأبو داود في سننه: ٤/٣٥٠، برقم: ٥١٩٣. واللفظ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) (١).

❁ وأخوة الدين تفرض التناصر بين المسلمين لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وردع المعتدي وإجارة المهضوم، ولا يجوز ترك مسلم يكافح وحده معترك الحياة، بل لا بد من الوقوف بجانبه؛ لإرشاده إذا ضل، وحجزه إن تطاول، والدفاع عنه إذا اعتدي عليه، وهذا هو معنى التناصر الذي فرضه الإسلام.

وفي حديث أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ: أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟، قَالَ: تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ) (٢)، كما أن خذلان المسلم شيءٌ عظيم، وهو إن حدث دليل على ذهاب الشهامة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/١٢٨، برقم: ٢٤٤٢. يُسلمه أي يخذله.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٩/٢٢، برقم: ٦٩٥٢، والترمذي في سننه: ٤/٩٣، برقم: ٢٢٥٥.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمروءة والإباء، وسيخنع المظلوم أمام هذا الضيم ما بين حيف الأعداء وتخلي الأشقَّاء، ومن ثم تتقطع عُرى الأخوَّة بينه وبين من خذلوه..

❁ وقد هان أمر هذه الأمة يوم أن وهت أواصر الأخوة بينهم، ونظر أحدهم إلى الآخر نظرة استغراب وتنكُّر، وأصبح الأخُ ينتقص من قدره أمام أخيه، فيهزُّ كتفيه ويمضي في سبيله، وكأنَّ الأمر لا يعنيه!

إن هذا التخاذل هو الذي جرَّ على المسلمين الذلة والمهانة، وقد حارب الإسلام هذا الوهن الذي دبَّ في أواصر هذه المجتمعات، ولعن من يقبع في ظلاله الداكنة الرزيَّة؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ)(١).

---

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الكبير: ١١/٢٦٠، برقم: ١١٦٧٥،والبيهقي في الشعب: ١٠/٦٦، برقم: ٧١٧٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا رأيت اساءة نزلت بأخيك أو مهانة وقعت عليه، فأره من نفسك الاستعداد لمظاهرته، والسير معه حتى ينال حقَّه ويردَّ الظلم عنه؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: (من مَشى مَعَ أَخِيه الْمُسلم فِي حَاجته حَتَّى يثبتها لَهُ ثَبت الله قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّراطِ يَوْم تَزُول الْأَقْدَام)(١).

وإذا كنت ذا جاه رفيع، أو رزقك الله سيادة في الأرض، أو تمكيناً بين الناس، فليس ذلك لتنتفخ بعد انكماش، أو تزدهي بعد تواضع، إنما يسر الله لك ذلك لينتفع الناس بقضاء حوائجهم عن طريقك.

❁ والحق أن أواصر الأخوة في الله هي التي جمعت أبناء الإسلام أوَّل مرة وأقامت دولته ورفعت رايته، وعليها أُسس رسول الله أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة، وسائر خصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل، وهي رفيعة العماد، وطيدة الأركان، على حين ذاب أعداؤها، وهلكوا.

---

(١) صحيح، رواه محمد بن علي النرسي في قضاء حوائج الإخوان: ٦٣/٢٠، وانظر صحيح الترغيب والترهيب: ٢٦٢٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

كانت المدينة هي التي احتضنت الإسلام، ومجَّدت كلمته، وأقامت العلاقات بين القاطنين والوافدين على التباذل في ذات الله، والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الأجناس والأنساب، والحب والاحترام المتبادل، وإشاعة الفضيلة وتقديس الحق، وهذه هي علائم الأخوة الصحيحة؛ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩).

❁ وقد راعى الإسلام هذا الإخاء، فحرّم كل ما شأنه أن يكدره، فلا يجوز لمسلم أن يثير القلق والفزع في نفس أخيه المسلم؛ فعن النَّبِيّ ﷺ قال: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا) (١).

ولا يجوز ترويع المسلم أو تهديده، ولو بالإشارة، فكيف بالإيذاء والاعتداء عليه؛ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: (مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ) (١).

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣٠١/٤، برقم: ٥٠٠٤، وأحمد في مسنده: ١٦٣/٣٨، برقم: ٢٣٠٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وراعى الإسلام الإخاء في تحريمه للكبر والفخر؛ لأن الإخوة في الدين يجمعهم أبٌ واحد، وإن تفاوتت حظوظهم الدنيوية؛ قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)(٢).

وذمَّ الإسلام من يتطاول على إخوانه، طلباً للاستعلاء في الأرض، فبين أن هؤلاء المتطاولين سيتضائلون يوم القيامة، وعلى قدر ما انتفخوا ينكمشون حتى يصيروا هباءً ينضغط في مواطئ النعال؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ)(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٤/٢٠٢٠، برقم: ٢٦١٦، والترمذي في سننه: ٤/٣٣، برقم: ٢١٦٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٤/٢١٩٨، برقم: ٢٨٦٥، وأبو داود في سننه: ٤/٢٧٤، برقم: ٤٨٩٥، عن عياض بن حمار مرفوعاً به.

(٣) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٩٦ /٥٥٧، والترمذي في سننه: ٤/٢٣٦، برقم: ٢٤٩٢.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومما يُمزّق أواصر الأخوَّة التهكم والإزدراء والسخرية من الآخرين، فلا يجوز أن تنال من الضعيف الغافل، ولا أن تضحك من الحيران التائه، وإذا وجدت بشخصٍ عاهة أو وقع في مصيبة فلا يجوز أن تجعله مثارَ تندُّرٍ واستهزاء؛ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ (الحجرات: ١١).

❁ وقد أبطل الإسلام كل فخر واستعلاء صيانةً للأخوة العامة، ومحا كل الفروق المصطنعة، وأكد على تكافؤ الدماء والتساوي في الحقوق، فلا مزية لأحد إلا بعمله، ومن ليس له عمل صالح لم ينفعه أسلافه ولو كانوا ملوك الآخرة؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: (لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أو شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ،أو فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي!، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أوَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ) [(١)].

❁ وأكد الإسلام على قضية الإخاء بين بنيه بإماتتة النزعات العنصرية والعصبيات الجاهلية؛ وعندما سَمع النبيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ ينادي ويقول: يَا لَلأَنْصَارِ، وآخر يقول: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ قَالَ: (مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ) [(٢)].

وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْعَصَبِيَّةُ؟ قَالَ: (أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ) [(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٧٤/٤، برقم: ٣٠٧٣، ومسلم: ١٤٦١/٣، برقم: ١٨٣١. الصامت: الذهب والفضة، والرقاع: هي الخرقة. تخفق: تتحرك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٥٤/٦، برقم: ٤٩٠٥، ومسلم: ١٩٩٨/٤، برقم: ٢٥٨٤.

(٣) حسن،رواه أبو داود في سننه: ٣٣١/٤، برقم: ٥١١٩، والطبراني في الكبير: ٩٨/٢٢، برقم: ٢٣٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن الطبيعي أن يُحبَّ المرءُ وطنه وقومه، لكن لا يجوز أبداً أن يكون ذلك سبباً في نسيان المرء لربه وخلقه ومثله العليا؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ عَصَبِيَّةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَقَالَ: (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)(١).

وعَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يُقَاتِلُ عَصَبِيَّةً، وَيَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)(٢).

❁ إن الأخوة في الإسلام تعنى الإخلاص لله وحده، والسير على سبيله، والعمل بأحكامه، وتغليب روح الشريعة على الصلات العامة والخاصة، واستفتاءه فيما يعرض من المشكلات، وغض الطرف عمَّا عدا ذلك من صيحات ودعوات.

وقال عمر بن الخطاب: لقاء الإخوان جلاء الأحزان.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢٠/٤، برقم: ٢٨١٠، والروياني في مسنده: ٣٤٨/١، برقم: ٥٣١، واللفظ له.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٤٧٨/٣، برقم: ١٨٥٠، والنسائي في سننه: ١٢٣/٧، برقم: ٤١١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليٌّ لابنه: الغريب من ليس له حبيب.

وقال ابن المعتز [1]: من اتخذ اخواناً كانوا له أعواناً.

وقال خالد بن صفوان: أعجز الناس من قصَّر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع منظف ربه منهم.

وقال عبد الملك بن طاهر: المال غادٍ ورائح، والسلطان ظلٌّ زائل، والإخوان كنوزٌ وافرة.

وقال زياد: خير ما اكتسب المرء الإخوان، فإنهم معونة على حوادث الزمان، ونوائب الدهر، وعون في السراء والضراء.

وقال أحد الحكماء لابنه: يا بني لا تستقلَّ عدواً واحداً، ولا تستكثر ألف صديق، ولا تستبدل بأخٍ قديم أخاً مستحدثا ما استقام لك.

---

(١) هو: أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد الهاشمي؛ أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر، وقتل جماعة من أصحابه الّذين بايعوه، وولي الخلافة يوما وبعض يوم في عاشر ربيع الأوّل سنة (٢٩٦ هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٧٦)، ومجمع الآداب في معجم الألقاب (٦/ ٥٣١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر: المودة والأخوة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة حصن منيع وركن شديد، وبها يُمنع الضيم[1]، وتنال الرغائب، وتنجح المقاصد.

وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخٌ فيٌّ حميم صادق المودة، لطيف الصحبة، يهتمُّ لشأنك اهتمامه بشأنه، ويتوفر[2] على هناتك كما يتوفر على هناته. وقال أحد الفصحاء: الصديق الحميم عدة في البلايا، وعمدة في المحن[3]، وبلسم[4] في النوائب، ومرهمٌ في الشدائد.

وقال آخر: لا تُساغ[5] مرارة الأوقات إلا بحلاوة الإخوان الثقات، فاستروح[6] من غمة الزمان بمؤانسة الخلان.

---

(١) الضيم: الظلم.

(٢) يتوفر: يحافظ.

(٣) المحن: ما يمتحن به الإنسان من بليَّة وغيرها.

(٤) البلسم: الدواء.

(٥) تساغ: تطيب وتسهل، من ساغ اللقمة إذا سهل ابتلاعها.

(٦) استروح بمعنى استراح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن الرومي [١]:

عليك بإخوان الصفاء فإنهم...عماد إذا استنجَدَّتَهُم [٢] وظهور

وليس كثيرا ألف خِل وصاحبٍ ...وإن عدواً واحداً لكثير

وقال عبد الله بن عرفة [٣]:

همـوم رجـــال في أمور كثيرةٍ ... وهمِّي من الدنيا صديقٌ مُســاعدُ

تكون كروحٍ بين جسمين قُسمَت ... فجسماها جسمانِ والروح واحدُ

وقال الشاعر:

فإنما الرجال بالإخوان ... واليد بالساعدِ والبنانِ [٤]

(١) هو: أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشي ببغداد، ومات فيها مسموما، وقيل: دس له السمَّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومي قد هجاه، وكان موته سنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م). الأعلام للزركلي (٤/ ٢٩٧)

(٢) استنجدتهم: استعنت بهم.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي المالكي، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. ومولده ووفاته فيها سنة (٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م). الأعلام للزركلي (٧/ ٤٣).

(٤) البنان: أطراف الأصابع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر:

لا يحقر الصحبة إلا جاهلٌ ... أو مارقٌ [1] عن الرشاد غافلُ

وقال غيره:

وما المرء إلا بإخوانه ... كما تقبض الكفَّ بالمعصمِ [2]

ولا خير في الكف مقطوعةٌ ... ولا خير في الساعدِ الأجذمِ [3]

❁ ❁ ❁

(١) المارق: هو الخارج.

(٢) المعصم: موضع السوار من الساعد.

(٣) الأجذم: المقطوع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ۞ اختيار الأصدقاء

الناس في هذه الحياة متفاوتوا الأخلاق، متباينوا المشارب، فمنهم من ساءت أخلاقهم، فنزعت نفوسهم إلى الشهوات، ومالوا إلى اللذات، فما عرفوا غير إشباع نهمتهم[1]، وما راعوا غير العمل لأهوائهم، فهؤلاء لا خير يُرجى منهم، ولا منفعة تعود على المجتمع الإنساني من ورائهم، فالابتعاد عنهم راحة، وعدم الارتباط بهم وقاية، ومنهم من حسنت طباعه، فقمع نفسه عن لذاتها، وردعها عن شهواتها، وعمل للمنفعة العامة، وسار في طريق الإصلاح، وهذا هو الجدير بالألفة، والخليق بالتودد، فالخيرُ معقودٌ بمصاحبته، والسعادة مقرونة بمصادقته؛ لأن نفسه الطاهرة تطمح على الدوام إلى الكمال، وقلبه الثابت مشرئبٌ[2] لنيل معالى الأمور، والمرء على دين خليله.

---

(١) النهم: هو الإفراط في الشهوة.

(٢) مشرئب: أي مُتطلّعٌ ومتشوّفٍ. يُقال: أُشرب الحُبُّ في قلبه: أي خالطه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

وقال في معرض التحذير من قرناء السوء مبيّناً ندامة من لم يحتط لنفسه في اختيار من يُصادق : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان:٢٨، ٢٩)، فالصديق العظيم هو الذي يقود صديقه إلى النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، أما الصديق الغبيُّ المفتون فهو شئومٌ على صاحبه، وكم من غرٍّ قرع سن الندم على هذه الصحبة السيئة، لأنها أدت به إلى الهاوية وانهار به في نار جهنم؟!!.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (هود:١١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ لقد عني الاسلام بهذه الصلات التي تربطك بأشخاصٍ يؤثرون فيك ويتأثرون بك، ويقتربون من حياتك اقتراباً خطيراً لأمد طويل، وللصداقة أثر عميق في توجيه النفس والعقل، ولها نتائج مهمة في تقدم الجماعة وتأخرها، وفيما يصيبها من قلق واطمئنان، ولا ريب أن هذه الصلات إن بدأت ونمت نبيلة خالصة لله كانت مقبولة مباركة، وإن كانت رخيصة مهينة رُدَّت في وجوه أصحابها يوم القيامة؛ ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ (الزخرف:٦٧-٦٨).

وأثر الصديق في صديقه عميق، ومن ثَمَّ كان لزاماً على المرء أن ينتقي إخوانه، وأن يبتلوا حقائقهم حتى يطمئنوا إلى معدنها؛ وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ)(١).

---

(١) صحيح، رواه الحكام في المستدرك: ٤/١٨٩، برقم: ٧٣٢٠، والبيهقي في الآداب: ٩٤/٢٣٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فإن كانوا رجالاً أعانوه على فعل الخير وحفظ الحقوق، وحجزوه عن فعل الشر واقتراف الحرام، فهم قرناء الخير الذين يجب أن يستمسك بهم ويحرص على مودتهم وإلا فليحذر الانخداع بما يزينون له من طرق الغواية وبما يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو.

وللعدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام، بل إن الروح الذي يغمر المجلس قد يكون مصدره شخصٌ قويٌّ، يغمر من حوله بفيض مما يتفجر من باطنه.

وقد شوهد أن عدوى السيئات أشدُّ سرياناً وأقوى فتكاً من عدوى الحسنات، ففي أحيانٍ كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب إلى البرئ منها، وتقديراً لهذه الآثار، وحمايةً للخلق الحسن والعادات الكريمة أمر رسول الله ﷺ بتخيُّر المجالس؛ فعن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً)[1].

❁ إن الإسلام هو دين تجمُّعٍ وألفة، ونزعة التعارف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليمه، وهو لم يقم على العزلة، ولا دعا ابناءه للفرار من تكاليف الحياة، ولا رسم ريالة المسلم في الأرض على أنها انقطاع في دير، أو عبادة في صومعة، بل جعل الدرجات العالية في الجنة لأولئك الذين يألفون الناس ويخالطوهم، وليس لأولئك المنكمشين الضعاف؛ فعن ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)[2].

كذلك فإن تكوين الصلات وإنشاء الصداقات يخضع لأحكام شتى تدور حول قطبين عظيمين هما، فقه المخالطة، وأدب الاعتزال، وكما قال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٦٣/٣، برقم: ٢١٠١، ومسلم: ٢٠٢٦/٤، برقم: ٢٦٢٨.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٨٨/١٤٠، والبيهقي في الشعب: ٢٠١/١٢، برقم: ٩٢٧٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ابْنُ مَسْعُودٍ: "خَالِطِ النَّاسَ وَدِينَكَ لاَ تَكْلِمَنَّهُ " [(١)]، على أن العزلة ليست وصفاً دائماً للمسلم، فليقسم وقته بين الخلوة النافعة، والاختلاط الحسن، ليخرج من الحالين، بما يصلح شأنه كله.

❁ وأوَّلُ شرائط الصحبة الكريمة أن تبرأ من الأغراض، وأن تكون خالصة لوجه الحق سبحانه، فالمحبة القائمة لأجل المبدأ والعقيدة، لا من أجل الشهوة والهوى، وهذا الضرب من التعارف والتواد لا يمكن أن يُقاس بالعلاقات الزائفة بين أصحاب الدنيا، ولذلك احتفى الاسلام بمشاعر الصداقة النقيَّة ورغَّب المؤمنين في إخلاصها لله، وإبقاءها لوجهه، وجعل لها من جميل المثوبة ما هي له أهلٌ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) [(٢)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً: ٨/٣٠، وابن أبي شيبة في الأدب مسنداً: ٢٠/١٣٧. تكلمنَّه: تجرحه وتحدث فيه النقص والخلل.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٩٨٨/٤، برقم: ٢٥٦٦،والدارمي في سننه: ١٨١٤/٣، برقم: ٢٧٩٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عُمَرَ بْنَ الْخطَّابِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢)) [١].

❁ والحُبُّ في الله لا يزعمه كل أحد، ولا يصدق فيه كل دَعيّ، فلا بد أن يعرف الإنسان ربَّه معرفة صحيحه أولاً، ثم يُغالي في هذه المعرفة، حتى ترجح على ما في نفسه، فيؤثر مرضاته والعمل له، وعندئذٍ يصدق المرء في محبته إذا أحب لله، وفي بغضه إذا أبغض لله، أمَّا أن يُعجب المرء بموهبة عظيم، أو يستلطف سيرة آخر، أو ينبهر بحسن لباس ثالث، أو بجماله، أوبماله، فذلك لونٌ آخر من الصداقة غير ما نحن بإزائه.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣/٢٨٨، برقم: ٣٥٢٧، وأحمد في مسنده: ٣٧/٥٣٢، برقم: ٢٢٨٩٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي) (١).

وإذا نشأت الصداقة لله فإنها لن تزكو إلا بطاعته، ولن تستقيم إلا بالبعد عن معصيته، وإذا تسربت المعصية إلى أحد الصديقين أو كلاهما، فإن هذه العلاقة إلى انقطاع؛ لأن القلوب تغيَّرت، والمحبَّة غاضت، وفاض عليها النفاق والشقاق؛ فعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ أَوْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا) (٢).

ولذلك كان الصحابة يحرصون على حفظ ما بينهم من وُدٍّ بالإكثار من الطاعة ومحبة الالتقاء عليها؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرَى

---

(١) صحيح، رواه احمد في مسنده: ١٨٣/٣٢، برقم: ١٩٤٣٨، والبيهقي في الشعب: ٣١٣/١١، برقم: ٨٥٨٣.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٠١/١٤٥، وابن المبارك في مسنده: ١٣/٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ) (١).

❁ وأمر الإسلام أبناءه أن يتواصلوا فيما بينهم على بصيرة وبيّنة، فهذه العاطفة يجب أن تخضع لسلطان العقيدة ونظامها، وهذا النظام هو الذي يوجِّه المسلم في اتجاهات قلبه كلها، فيجعله يحبُّ الأخيار ويقترب منهم، ويبغض الأشرار ويبتعد عنهم؛ فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ) (٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) اسناده ضعيف، رواه أحمد في مسنده: ٣٠٩/٢١، برقم: ١٣٧٩٦، وأبو سعيد النقاش في فوائد العراقيين: ٥٠/٦٥. نؤمن بربنا: نذكره.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٣٣٢/٤، برقم: ٥١٢٤، وأحمد في مسنده: ٤٠٤/٣٥، برقم: ٢١٥١٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَعْلَمْتَهُ؟، قَالَ: لَا، قَالَ: أَعْلِمْهُ، قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ)[(١)].

وهذه الدرجة من الحب الخالص ترفع صاحبها درجات فوق منزلته؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟، فقَالَ: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[(٢)].

وقد يكون لتجانس المزاج والتفكير دور كبير في إنشاء تلك العلاقات، وتوثيق الأواصر، فقد يلتقي المرء في زحام الحياة من يُحسُّ بسرعة التجاوب معه، والانجذاب إليه، وكأنما سبقت المعرفة به من سنين، وقد قيل: "رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ"[(٣)].

---

(١) حسن، رواه أبو داود في سننه: ٣٣٣/٤، برقم: ٥١٢٥،وأحمد في مسنده: ٤٥/٢٠، برقم: ١٢٥٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣٩/٨، برقم: ٦١٧٠، ومسلم: ٢٠٣٤/٤،برقم: ٢٦٤٠.

(٣) رواه البيهقي في الشعب: ٣٤٠/١١، برقم: ٨٦٢٢، والخرائطي في مكارم الأخلاق: ٩٠٥/٢٩٥، عن الحسن بن أبي الحسن البصري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويدلُّ على هذا حديث رسول الله ﷺ: (الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) (١).

ومن سنن الإسلام التزاور في الله، بعيداً عن الأغراض الدنيوية والمصالح الضيقة؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟، قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟، قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ) (٢).

❁ وقد جعل الإسلام تلك الخطوات غالية من أجلِّ القربات؛ وكأنها خطا المجاهدين في سبيل الله تحظى بعظيم المنزلة وجزيل الأجر والثواب؛

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٣٣/٤، برقم: ٣٣٣٦، ومسلم: ٢٠٣١/٤، برقم: ٢٦٣٨.
جنود مجندة: جموع، وأنواع مختلفة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٩٨٨/٤، برقم: ٢٥٦٧، وابن حبان: ٣٣٧/٢، برقم: ٥٧٦.
تربها: تقصده لأجلها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً)[١].

وعَن أَنَس، عَن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ أَتَى أَخًا لَهُ يَزُورُهُ فِي اللَّهِ، إلاَّ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ، وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، وَإِلَّا قَالَ اللَّهُ فِي مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِي زَارَ فِيَّ، وَعَلَيَّ قِرَاهُ، فَلَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ)[٢].

والمسلمُ وإن كان يحب النفع للناس عامة، فهو لنفع أصدقائه أحب، ولما وصلهم من خير أفرح، وإن وجد فضلاً فلا بأس أن يذكر منه أصحابه؛ ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).

---

(١) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤٣٣/٣، برقم: ٢٠٠٨، والبيهقي في الشعب: ٣٣٠/١١، برقم: ٨٦١٠.

(٢) صحيح، رواه البزار في مسنده: ١٠١/١٣، برقم: ٦٤٦٦، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٦٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد استحب رسول الله ﷺ تبادل الهدايا بين الأصدقاء؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: (تَهَادُوا تَحَابُّوا) [١] ، وفي رواية: ( تَهَادَوْا، فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ) [٢].

وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَ) [٣].

وهذا الأدب العالي إذا خرج عن حده إلى التكلُّف أصبح مكروهاً؛ لأن الإسلام قام على محاربة التصنُّع والإحراج والمداهنة، وعمل على إشاعة البساطة وإحاطة هذه العلاقة بألوان من المجاملة التي تحين مظهرها بعد أن يطمئن إلى سلامة جوهرها.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد: ٢٠٨/٥٩٤، والبيهقي في الآداب: ٣٣/٨١.

(٢) حسن، رواه أحمد في مسنده: ١٤١/١٥،برقم: ٩٢٥٠، والترمذي في سننه: ٩/٤، برقم: ٢١٣٠.وحر الصدر: غلّه ووساوسه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١٥٧/٣، برقم: ٢٥٨٥، وأبو داود في سننه: ٢٩٠/٣، برقم: ٣٥٣٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ [1]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ) [2].

❁ وقد أباح الإسلام للشخص أن يأكل من طعام صديقه كما يأكل من طعام والديه، وإخوته الأقربين منه؛ ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ (النور: ٦١).

ولما يرتبط بالصداقات من حقوق عظام، أمر النَّبي ﷺ بالعناية البالغة في اختيار الأصدقاء؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ) [1].

---

(١) هو: الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش، من النساك. من أهل مكة. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه، وكان كثير العبادة، عمي في آخر حياته، وتوفي سنة (٦٥ هـ/ ٦٨٤م). الأعلام للزركلي (٤/ ١١١)

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: ١١٥/٥٣، والترمذي في سننه: ٣٩٧/٣، برقم: ١٩٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقلتُ أخٌ!! قـالوا: أخٌ من قرابةٍ ... فقلتُ لهم: إن الشكـوك أقـارِبُ
صديقيَ في حزمي وعزمي ومذهبي ... وإن باعدتنا في الأصولِ المناسِبُ

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا عَاقَبْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فِيهِ، وَضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ حَتَّى يَجِيئَكَ مَا يَغْلِبُكَ، وَلا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ مُسْلِمٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلا، وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ فِي يَدِهِ، وَمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِهِ، وَعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصَّفَا تَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ وَعُدَّةٌ لِلْبَلاءِ، وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنَّ قَتَلَكَ الصِّدْقُ، وَلا تَطْلُبْ حَاجَتَكَ إِلَى مَنْ لَا يُحِبُّ نَجَاحَهَا، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلا الأَمِينَ وَلا أَمِينَ إِلا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

وقال عليٌّ: خير إخوانك من واساك، وخير منه من كافأك.

---

(١) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٣١٥/٢، برقم: ٥٥٥، والدارمي في سننه: ١٣٠٧/٢، برقم: ٢١٠١.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عبد الله بن جعفر: عليك بصحبة من إذا صحبته زانك، وإن غبت عنه صانك، وإن احتجت إليه مانك [(١)]، وإن رأى منك خِلة سدَّها [(٢)]، أو حسنةً عدَّها.

وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجالس الفُجَّار ولا تُماشهم، واتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم، وجالس الفضلاء والعلماء، فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالفضيلة؛ كما يحيي الأرض بوابل [(٣)] المطر.

وأوصى أمير المؤمنين أولاده، فقال: يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنُّوا إليكم، وإن فُقدتم بكوا عليكم، إن القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة، وتتناجى [(٤)] بها، وكذلك هي في البُغض، فإن أحببتم الرجل من غير

---

(١) مانك: قام بكفايتك.

(٢) خلة: عيبة وثلمة. سدها: أصلحها.

(٣) الوابل: شدة المطر.

(٤) تتناجى: تتصل وتتسار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خير سبق منه إليكم فارجوه، وإذا أبغضتم الرجل منن غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه.

وقيل لابن السَّمّاك: أي الإخوان أحق ببقاء المودة؟، قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب، ولا ينساك على البعد، إذ دنوت منه داناك، وإن بَعِدتَ عنه راعاك، وإن استعنت به واساك، وإن احتجت إليه أعطاك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.

وقال بعض الحكماء: احذر من الكريم إذا أهنته، واللئيم إذا أكرمته، والعاقل إذا أحرجته، والأحمق إذا مازحته، والفاجر إذا عاشرته.

وقال آخر: الصديق النَّصوح من بصَّرك مواضع رشدك، وعواقب غيِّك. وقال غيره: معاشر ذوي الألباب عمارة القلوب، وصداقة الجاهل تعب وخراب. وقال غيره: شر الإخوان الواصل في الرخاء، والهاجر عند الشدة.

وقال بعض البلغاء: من خير الاختيار صحبة الأخيار، ومن شر الاختيار صحبة الأشرار. وقال آخر: اصحب من الإخوان من أولاك جمائلَ



شبكة الألوكة - قسم الكتب

كثيرة، فكافأته بجميلة واحدة، فنسي جمائله، وبقي شاكراً ذاكراً لجميلتك، يوليك عليها الإحسان الجميل، ويجعل أنه ما بلغ من مكافأتك القليل.

وقال غيره: الصديق من استروحت إليه النفس، واطمأنَّ إليه القلب.

وقال أوس بن جُحر [1]:

وليس أخوك الدائم العهد الذي ... يذمك إن ولَّى ويرضيك مُقبلا
ولكن أخوك النائي ما دمت آمناً... وصاحبك الأدنى إذا الأمر أعضلا [2]

وقال أبو تمام:

من لي بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم ردَّ جوابهِ
وإذا صبوتُ [3] إلى المُدامِ شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه

---

(١) هو: أبو شريح، أوس بن حجر بن مالك التميمي، شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها. وهو زوج أمّ زهير بن أبي سلمى. كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة. عمّر طويلا، ولم يدرك الإسلام. وفي شعره حكمة ورقة، وكانت تميم تقدمه على سائر شعراء العرب. وكان غزلا مغرما بالنساء، توفي نحو سنة (٢ ق. هـ/ ٦٢٠م). الأعلام للزركلي (٢/ ٣١).

(٢) اعضلا: اشتد واستحكم.

(٣) صبوت من الصبابةِ وهي الحنين والشوق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتــــراه يُصغي للحديـث بطرفهِ ... وبقـــلبــه ولعلَّه أدرى بـه

وقال الأحنف بن قيس:

أخوك الذي إن تدعه لِمَلَمَّةٍ ... يجيبك وإن تغضب إلى السيفِ يغضبُ

وقال الشاعر:

إن أخاك الصَّدق من يسعى معك ...ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريْب الزمانِ صدَّعك ...شتت فيك شمله ليجمعك

وقال آخر:

ليس الصديق الذي إن زلَّ صاحبُه ... يوما رأى الذنب منه غير مغفور

وإن أضـــاع لـــه حقَّاً فعـــاتبه ... فيـه أتـــاه بتزويق المعـــاذير

إن الصديـــق الذي تلقـــاه يعذِرُ في ... مـــا ليس صـاحبه فيه بمعذور

وقال غيره:

إن كنت متخذاً خليلاً ... فتنقَّ (١) وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفاً ... في الود فابغ له بديلا

---

(١) تنقَّ: اختر، من الانتقاء.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولقلَّما تلقى اللئيمَ ... علـيك إلا مستطيــلا

وقال غيره:

واحذر مؤاخاة الـــدنيِّ لأنه ... يعدي كما يُعدي الصَّحيح الأجربُ

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ... إن القريـــن إلى المقارن يُنسبُ

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب لبئس خِلاً يُصحبُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## المُعاتَبة

لمَّا كان التآخي والتآلف بين النَّاس من التعاليم الشرعية، والنظم الإلهيَّة، وكان من الواجب أن يعمل المرء على دوام العلائق واستمرار الروابط، ولا يتم ذلك مع من اختارهم لصحبته، ورضيهم لأخوته إلا باحتمال عثراتهم، والصفح عن هفواتهم، وكان من المحتم عليه ألا يقطع أخاه لأول وهلة، أو يتركه لأيسر كبوة، بل يعاتبه على ما صدر منه بالحجة والبرهان، بقصد إصلاحه، لا لغرضِ تعنيفه، وليلاحظ عدم الإغراق في العتاب، فإن ذلك يوجبُ مجانبته وقطع مصاحبته، وقد ورد في احتمال الأذى آثاراً كثيرة منها:

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ (١) الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى: ٤٠).

---

(١) الكاظمين: المتجرعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عمر بن الخطاب: أعقل الناس أعذرهم للناس.

وقال عليٌّ: لا تقطع أخاك على ارتياب، ولا تهجره دون استعتاب.

وقال معاويةُ: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت؛ لأنهم إذا جذبوها أرسلتها، وإذا أرسلوها جذبتها.

وقال أحد الحكماء: إذا رأيت من أخيك ما تكرهه أو خلة لا تحبها، فلا تقطع حبله، ولا تصرم [١] وُده، ولكن داوِ كلمه [٢]، واستر عورته، وأبقه وابرأ من عمله.

وقال آخر: مما يجب للصديق على الصديق الإغضاء من زلاته، والتجاوز عن سيئاته، فإن رجع وأعْتَب [٣] وإلا عاتبه بلا إكثار، فإن كثرة العتاب مَدرجَةٌ [٤] للقطيعة.

---

(١) لا تصرم: لا تقطع.

(٢) كلمه: جرحه.

(٣) أعتب: رجع عن خطأه.

(٤) مدرجة: طريق وسبيل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره: لا صديق لمن أراد صديقاً لا عيب فيه.

وقال غيره: لا تقطع أخالك إلا بعد عجز الحيلة من استصلاحه.

وقال غيره: كل عقلٍ لا يُداري به الكل فليس بعقلٍ تام.

وقال بعض الأدباء: ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم؛ حسن المحضر، واحتمال الزلة، وقلة المِلَال.

وقال بعض البلغاء: من لم يرضَ من صديقه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه، ومن عاتب على كل ذنب دام عَتَبه، وكثر تعبه.

وقال ابن عباس:

يا صديقي الذي بذلت له الوُدَّ ... وأنزلتهُ على أحشائي
إن عينـاً قذيتها (١) لتراعيكَ... على مـا بها من الأقذاء
ما بها حاجة إليك ولكن ... هي معقـودةٌ بحبـل الـوفاء

وقال أحمد بن أبان (١):

---

(١) قذيتها: ألقيت فيها القذى وهو القذر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أن إن لم أصبر على الذنب من أخ ... وكنت أجازيه فأين التفاضلُ
ولكن أداويهِ، فإن صحَّ سرَّني ... وإن هو أعيا [٢] كان منه تحامُلُ

وقال بشار بن برد:
إذا كنت في كُلِّ الأمورِ مُعاتباً ...صديقك لم تلقَ الذي لا تعاتبه
وإن أنت لم تشرب مراراً على القذى ...ظمئت وأي الناس تصفو مشاره
فعش واحداً أو صل أخالك فإنه ... مقارفُ [٣] ذنبٍ مرة ومجانبا

وقال زهير بن أبي سلمى [٤]:
ومن لم يُصانع في أمورٍ كثيرةٍ ... يُضَرَّس بأنيابِ ويوطأ بمنسِم [١]

---

(١) هو: أحمد بن أبان بن سيّد، أبو القاسم: عالم أندلسيّ كبير. كان في أيام الحكم بن المستنصر. ذكره ياقوت في معجم الأدباء وابن بشكوال في الصلة وقال ابن بشكوال إنه كان يعرف بصاحب الشرطة، توفي سنة (٣٨٢ هـ/ ٩٩٢م). انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٨٤).

(٢) أعيا: أعجز.

(٣) قارف الذنب: خالطه وباشره.

(٤) هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر: حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة، وله شعرٌ رائقٌ وله مُعلقةٌ شهيرة، توفي سنة (١٣ ق. هـ/ ٦٠٩م). الأعلام للزركلي (٣/ ٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الشاعر:

مـا دمت حيَّاً فدار الناس كلهم... فإنمـا أنت في دار الـمداراةِ

من يدرِ دارى ومن لم يدرِ سوف... يرى عمَّا قليلٍ نديماً للنداماتِ

وقال آخر:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وشرَّقني (٢) على ظمأ بريقي

غفرتُ ذنوبه وظمتُ غيظي ... مخافة أن أعيش بلا صديقِ

وقال غيره:

ولست براءٍ عيب ذي الودِّ كله ... ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ (٣) ... ولكن عين السُّخطِ تبدي المعايبا

وقال غيره:

ودار جميع الناس ما دمت بينهم ... وكن تابعاً حقاً نبياً مداريا

---

(١) المنسم: خف البعير.

(٢) شرَّقني: أي غصَّني.

(٣) الكليلة: الضعيفة التي لا تنفذ إلى المنظور ولا تحققه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ أدب الكلام

وهو واسطة التعارف بين الناس، والتعاون معهم، فلا يستغني المرء عن محادثة غيره في شؤون الحياة ونظام الأعمال، ولما كان الكلام هو عنوان المرء، ودليل جوهر نفسه بين النفوس، وجب أن يكون صحيحاً مختاراً ذا فائدة، صادراً عن عقلٍ ورويَّة، وصدق وحسن طويَّة، بعيداً عن البطلان والسخرية، قليلاً على قدر الكفاية، فإن الكلام الكثير يُنسي بعضه بعضاً، وتكراره يدعو إلى السآمة والملل، وقلَّما سَلِمَ مكثرٌ من لغو ضائع وهذر ضار، فإذا تكلم المرءُ فليقل خيراً، وليعوِّد لسانه الجميل من القول، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

وقال جل شأنه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (الحج:٢٤)، ومن علامات كمال الإيمان، وأحد أركان الفلاح البعد عن اللغو، وقد ذكره الله بين فريضتين من فرائض الإسلام، هما الصلاة والزكاة؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون:١–٤).

إن التعبير الحسن عمَّا يجول في النفس أدبٌ عالٍ أخذ الله به أهل الديانات جميعاً؛ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة:٨٣).

ولا شك أن الكلام العفيف الطيب يجمل مع الأصدقاء والأعداء جميعاً وله ثماره الحلوة الطيبة؛ فأما الأصدقاء فيحفظ مودتهم ويستديم صداقتهم، وأما الأعداء فيكسر خصومتهم، ويمنع كيدهم ويردَّ بأسهم؛ ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الاسراء:٥٣).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

❁ وقد أمرنا الله عز وجل في جدالنا مع أهل الكتاب في نطاق الهدوء والقول الكريم؛ إلا أن يجور علينا امرؤٌ أثيم ظنفيجب كبح جماحه ومنع اعتدائه ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وقد عدَّ الإسلام الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة؛ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

❁ إن العظماء هم فقط من يلتزمون الأدب في حديثهم، فيحرصون على أن لا تبدوا منهم كلمة نابية، ويتحرجون مع صنوف الخلق أن يكونوا سفهاء أو متطاولين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الآثار: "أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَقِيَ خِنْزِيرًا بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ لَهُ: انْفُذْ بِسَلَامٍ، فَقِيلَ لَهُ: تَقُولُ هَذَا لِخِنْزِيرٍ؟، فَقَالَ عِيسَى إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُعَوِّدَ لِسَانِي الْمَنْطِقَ بِالسُّوءِ" (١).

وقال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (٢)، ورُوِي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (رَحِمَ اللهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ)(٣).

وعنه أنَّه ﷺ قال لمعاذ: (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)(٤).

وفي ذلك يقولُ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ)(١).

---

(١) رواه مالك في الموطأ: ٢/٩٨٥، برقم: ٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٨/١١، برقم: ٦٠١٨، ومسلم: ١/٦٨، برقم: ٤٧.

(٣) صحيح، رواه ابن أبي الدنيا في الصمت: ٧١/٦٤، انظر السلسلة الصحيحة: ٣٤٩٦.

(٤) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤/٣٠٨، برقم: ٢٦١٦، واحمد في مسنده: ٣٦/٣٨٣، برقم: ٢٢٠٦٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ)(٢).

وعنه ﷺ أنَّه قال: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)(٣).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رُضْوَانِ اللَّهِ، مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يُرْفَعُ لَهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)(٤).

وقال ﷺ: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعَرِ لَحِكَمة)(٥).

---

(١) رواه أبو داود في الزهد: ١٤٩/١٥١، وابن أبي شيبة في الأدب: ٢٢١/٢٤٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١١/١، برقم: ١٠،ومسلم: ٦٥/١، برقم: ٤٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٥٥/٤، برقم: ٢٦٧٠، وأبو داود في سننه: ٢٠١/٤، برقم: ٤٦٠٨. والمتنطع: هو المتكلف المتعمِّق.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ١٠١/٨، برقم: ٦٤٧٨، وأحمد في مسنده: ١٣٥/١٤، برقم: ٨٤١١.

(٥) حسن، رواه الحاكم في المستدرك: ٧١٠/٣، برقم: ٦٥٦٩، والطبراني في الأوسط: ٣٤١/٧، برقم: ٧٦٧١، وله شواهد صحيحة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا شك أن الكلام الطيّب خصلة من خصال البر ومظهر من مظاهر الفضل؛ فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)(١).

❁ بل إن الكلم الطيب يقود صاحبه إلى رضوان الله ويفضي به إلى الجنَّة؛ فعَن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: عَلِّمْنِي عَمَلا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: أَطْعِمِ الطَّعَامَ وَأَفْشِ السَّلامَ وَأَطِبِ الْكَلامَ وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَلامٍ)(٢).

❁ وقد شرع الإسلام مداراة السفهاء الذين لا يحجزهم عن الشرِّ بذل، ولا تلزمهم المكارم مروءة، بل طبيعتهم الجهل والنزق، فإذا انطلق كان له صياح لا ينتهي، وشرّةٌ لا تنحبس!، ولا يسوغ للرجل العاقل أن يفقد خلقه

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٢١٢/١، برقم: ٤٢٧، والبيهقي في الشعب: ٤٠١/١٠، برقم: ٧٦٩٥

(٢) صحيح، رواه البزار في مسنده: ٣٥٦/١٣، برقم: ٦٩٩٦، والبيهقي في الشعب: ١٨٢/١١، برقم: ٨٣٧٤



شبكة الألوكة - قسم الكتب

مع من لا خلق له، ولو أنه اشتغل بتأديب كل سفيه لأعيته الحيل وتفرقت به السبل من كثرة ما يلقى، وكما قيل: الحُلمُ فِدامُ السفيه [1].

وعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: (بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ) [2].

❁ وقد عدَّ القرآن الكريم صفة المداراة، من أوائل الصفات التي يتحلى بها عباد الرحمن، والتي تعصم الإنسان من الزلل ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٣).

---

(١) الفدام: ما يشد على الفم أو اللجام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣/٨، برقم: ٦٠٣٢، ومسلم: ٢٠٠٢/٤، برقم: ٢٥٩١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال سبحانه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥).

❁ ومداراة السفهاء لا تعني قبول الدنيَّة، فالفرق بين الحالين بعيد!، فالمداراة تعني ضبط النفس أمام كل عوامل الاستثارة والاستفزاز، ومنعها من الاستجابة لدواعي الغضب وإدراك الثأر، بينما الدنيَّة تعني بلادة النفس وقبولها بالذلة والهوان وبما لا يرضاه عاقل أو صاحب مروءة؛ وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ ذَهَبَ الْمَلَكُ وَقَعَدَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ قَعَدَ الشَّيْطَانُ)[١].

---

(١) حسن، رواه أبو داود في سننه: ٢٧٤/٤،برقم: ٤٨٩٦، والبيهقي في الآداب: : ٤٩/٩، برقم: ٦٢٤٢.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وسدَّ الإسلام كل الأبواب أمام إطلاق اللسان في المجادلات والمناوشات حقّاً كان أو باطلاً، وكل ذلك صيانة للنفس عن الاستبداد وحب الظهور والغلبة، ودفعاً لطبائع العناد والأثرة المنكرة؛ ولئلا يكون حبُّ الانتصار للذات أهم من إظهار الحق؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ)(١).

❁ وهناك أناس طغت عليهم شهوة الكلام، فاشتبكوا مع العالم والجاهل؛ وهذا الصنف إذا سلط ذلاقته على شئون الناس أساء، وإذا سلطها على حقائق الدين شوَّه جماله وأضاع هيبته؛ وقد سخط الإسلام على هذا الفريق الثرثار المتشدق المتقعِّر أشدَّ السخط؛ فعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ)(٢).

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٥٣/٤،برقم: ٤٨٠٠، والبيهقي في الآداب: ٣٢٢/١٣٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣١/٣، برقم: ٢٤٥٧، ومسلم: ٢٠٥٤/٤، برقم: ٢٦٦٨، (الألد الخصم) المعوج عن الحق المولع بالخصومة والماهر بها و(الألد) في اللغة الأعوج.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: ٥٨))[(١)].

وهذا الصنف لا يقف ببسطة لسانه عند حد، بل إنه يريد الكلام فحسب، يريد أن يتباهى بكلامه ويستطيل، وهؤلاء تأتي الألفاظ عندهم في المرتبة الأولى، والمعاني في المرتبة الثانية، أما الغرض النبيل فربما كان له موضوع آخر، قد يعزله عن الموضوع في وسط هذا الصخب، فالجدل أبعد شيءٍ عن البحث النزيه، والاستدلال الموفق سواء في حقائق الدين أو شئون الحياة.

❁ وقد ذمَّ الإسلام مجالس القاعدين الذين يقضون أوقاتهم في تسقط الأخبار وتتبع العورات؛ ولهم فضول أموال يستريحون بظلها، وليس لهم شغلٌ إلا التسلي بشؤون الآخرين؛ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (الهمزة: ١–٥).

---

(١) حسن، رواه ابن ماجه في سننه: ١٩/١، برقم: ٤٨، والترمذي في سننه: ٢٣٢/٥،برقم: ٣٢٥٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد فشا في عصرنا الحاضر جلوس الجماهير على قوارع الطرقات وفي الأزقة وعلى أبواب المحلات، وفي النوادي والأسواق لغير ضرورة، وتلك آفةٌ أصابت المجتمع بعلل لا دواء لها إلا الرجوع إلى الله عز وجل، واجتناب تلك المجالس.

وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ(١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا إِذْ أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ : غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ،وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٢).

وقال علي: احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلوه إلا في الخير.

وقال أيضاً: اللسان أطاشه الجهل، وأرجَحه العقل.

---

(١) هو الصحابي الجليل: سعد بن مالك بن سنان الخدريّ الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلّم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، وتوفي سنة (٧٤ هـ/ ٦٩٣م) الأعلام للزركلي (٣/ ٨٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣٢/٣، برقم: ٢٤٦٥، ومسلم: ١٦٧٥/٣، برقم: ٢١٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: خير الكلام ما صدقه الفعال.

وقال أبو الأسود الدؤلي لابنه[١]: يا بني إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك، فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك.

وقال جعفر بن يحيى [٢]: إذا كان الإيجاز كافياً، كان الإكثار عيَّاص، وإن كان الإكثار واجباً، كان التقصير عجزاً.

وقال المهلب [٣]: لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانه فضلاً على عقله.

---

(١) هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين. رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود. وأخذه عنه جماعة، توفي سنة (٦٩هـ /٦٨٨م). انظر الأعلام للزركلي (٣/ ٢٣٦).

(٢) هو: أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، المقتول في محرم سنة (١٨٧هـ). انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٤١٥).

(٣) هو: أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكيّ، أمير، بطاش، جواد، سيد أهل العراق، ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وفقئت عينه بسمرقند. وانتدب لقتال الأزارقة فقضى عليهم، توفي سنة (٨٣ هـ/ ٧٠٢ م) الأعلام للزركلي (٧/ ٣١٥)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بطليموس[1]: افرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما نطقت به من الصواب.

وقال بعض الحكماء: اعقل لسانك إلا عن حقٍّ تدحَضه[2]، أو حكمةٍ تنشرها، أو نعمةٍ تذكرها.

وقال آخر: بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبعدل المنطق تجلب الجلالة.

وقال غيره: إنما هلك النَّاسُ بفضولِ الكلامِ وفضولِ المال.

وقال غيره: من أعجب بقوله كثر زلله، وقلَّ سامعوه، وليس لكثرةِ الهذرِ نفعٌ يوازي ضُرَّهُ.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبَّة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الإعتذار.

---

(١) هو: الحكيم والفيلسوف الماهر بطلميوس القلوذي الفلكي الرياضي اليُوناني، كان من علماء اليونان، انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول (١/ ٣٧٩).

(٢) تدحضه: تبطله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، أو يتلف نفسك، فلا شئ أولى بطولِ الحبس من لسان يقصُرُ عن الصواب، ويُسرِعُ إلى الجواب.

وقال غيره: الكلمة أسيرةٌ في وثاق [١] الرجل، فإذا تكلم بها صار في وثاقها. وقال غيره: رُبَّ ألسنةٍ كالسيوف.

وقال بعض الأدباء: سعد من لسانه صَموت، وكلامه قوت.

وقال آخر: الكلام في الخير كله أفضل من الصمت، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام.

وقال بعض العقلاء: أشد الناس بلاءً وأكثرهم عناءً من له لسان مُطلق، وقلبٌ مُطبِق [٢]، فهو لا يستطيع أن يسكت، ولا يحسن أن يتكلم.

وقال بعض العلماء: من أعوز ما يتكلم به العاقل ألا يتكلم إلا لحاجته، ولا يفكر إلا في عاقبته أو في آخرته.

---

(١) الوثاق: هو القيد الذي يُشدُّ به الأسير.

(٢) مطبق: مغطى ومغلق.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل لإياس بن معاوية [1]: ما فيك إلا كثرة الكلام، قال: أفتسمعون صواباً أو خطأً؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادةُ من الخيرِ خير.

وقيل: إذا تمَّ العقل نقص الكلام، وقيل: من كثر لغطه كثر غلطه.

وقال أبو الفتح البستي [2]:

تكلَّم وسدِّد ما استطعت فإنما ... كلامك حيٌّ والسكوتُ جمادُ [3]

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله... فصمتك عن غير السديدِ سدادُ

---

(١) هو: أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة المزني، قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. يضرب المثل بذكائه وزكنه، قال الجاحظ: إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس، نقابا، عجيب الفراسة، ملهما وجيها عند الخلفاء، توفي سنة (١٢٢هـ/ ٧٤٠م). الأعلام للزركلي (٢/ ٣٣).

(٢) هو: علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي، أبو الفتح: شاعر عصره وكاتبه. ولد في بست (قرب سجستان) وإليها نسبته. وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة (السلطان محمود، ابن سبكتكين) ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبا في بلدة " أوزجند " ببخارى سنة (٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م). الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٦).

(٣) السداد والسديد: هو الصواب والقصد من القول والفعل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أيضاً:

إذا تحدثت في قومٍ لتؤنسهم ...بما تحدث من ماضٍ ومن آتِ
فلا تعد لحديث إن طبعهم ...موكل بمعاداة المعاداتِ (١)

وقال صالح بن عبد القدوس:

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارةٌ في كل نـادٍ تـخطبُ (٢)
واحفظ لسانك واحترز من لفظه... فالمرءُ يسلم بالسانِ ويعطبُ (٣)

وقال الشاعر:

لسانك احفظه وصن نطقه ... واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زين ووقار وقد ...يؤتى على الإنسان من لفظته (٤)
من أطلق القول بلا مهلةٍ ... لا شك أن يعثر في عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً ... لا يندم المرءُ على سكتته

(١) معاداة: بغض. المعاداتِ: التكرار وإعادة الكلام.

(٢) ثرثارة: كثيرة الكلام تلكفاً. نادٍ: مجلس.

(٣) يعطب: يهلك.

(٤) يؤتى أي يهلك، يُقال: أتى الدهر عليه؛ أي أهلكه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الإمام الشَّافعيُّ:

إذاشئت أن تحيا سليماً من الأذى ...وحظُّك موفورٌ وعرضكَ صَيِّنُ

لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ ...فكلك عوراتٌ وللناسِ ألسنُ

وعينكَ إن أبدت إليك معايباً ... فصنها وقل يا عين للناس ألسنُ

وعاشر بمعروفٍ وسامح من اعتدى...وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

وقال آخر:

إن القليل من الكلام بأهلهِ ...حسنٌ وإن كثيره ممقوتُ

ما زلَّ ذو صمتٍ وما من مُكثرٍ ...إلا يَزلُّ وما يُعابُ صَموتُ

إن كان ينطق ناطقٌ من فضَّةٍ ... فالصمتُ دُرٌّ زانه الياقوتُ

وقال غيره:

رأيت العز في أدبٍ وعقلٍ...وفي الجهل المذلة والهوانُ

وما حسن الرجال لهم بحسنٍ...إذا لم يُسعد الحسنَ البيانُ

كفى بالمرء عيباً أن تراه ... له وجهٌ وليس له لسانُ

وقال غيره:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وزن القول من قبل الكلامِ فإنما ... يدل على قدر العقولِ التكلُّمُ

وقال آخر:

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس...يموتُ المرءُ من عثرة الرِجل

❁ ❁ ❁



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ النّظافة والتّجمُّل والصِّحَّة

إن صحة الأجسام وجمالها ونَضرتها من الأمور التي وجَّه الإسلام إليها العناية، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحاً في ميزان الإسلام، محترم الجناب إلا إذا تعاهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان بعيداً عن الأدران والأوساخ والهيئات المنفرة، وليست صحة لجسد وطهارته صلاحاً مادياً فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان من القيام بأعباء الحياة، وما أحوج أعباء الحياة إلى الجسم الصحيح، والبدن القوي الصبور، ولقد كرَّم الإسلام البدن؛ فجعل طهارته التامة شرط من شروط صحة الصلاة، وفرض الصلاة خمس مرات في اليوم، وكلَّف المسلم أن يغتسل في أحيان كثيرة لأجل أمور تلابسه، وتلك هي الطهارة الكاملة؛ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ (المائدة:٦).

وقد ربط الإسلام بين الأمر بالغسل وبين الطبيعة المادية للجسد، الذي هو الغلاف المادي المتكون من تربة الأرض، تلك الأرض التي يحيا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوقها، ويتغذى من نباتها وحيوانها، ويترك فضلات معدته فيها، ثم أخيراً يثوي في ثراها؛ فشريعة الإسلام تنفي عن المسلم أي أثرٍ من آثار القذارة والاتساخ، حتى أنها تجعل المرء يعاود الغسل والوضوء ولو كان نظيفاً طاهراً.

وقد يشقُّ على بعض الناس الاغتسال كل يوم، وقد يتكاسل البعض الآخر عن الاغتسال لعدم وجود دواعيه، ولذلك وقَّت الإسلام للغسل يوماً في الاسبوع؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ) (١).

وفي رواية عن ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيَغْتَسِلْ) (٢).

وقد عني الإسلام بنظافة الاسنان، وسعى لإزالة كل ما يعلق بها، فأمر بدلكها وإزالة ما يعلوها وما يختفي حولها، وذلك محافظة على نظافة الفم

---

(١) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ١٢٥/١٨، برقم: ١١٥٧٨، وأبو داود في سننه: ٩٤/١، برقم: ٣٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٢/٢، برقم: ٨٧٧، ومسلم: ٥٧٩/٢، برقم: ٨٤٤.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

واللثة وليبقى للأسنان رونقها وسلامتها؛ فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ) (١).

وأوصى الإسلام بأن يكون المرء حسن الهيئة، جميل المنظر، وألحق ذلك بآداب الصلاة؛ ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١).

وكان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أن يعتنوا بمظهرهم، وأن يلتزموا بذلك في شئونهم الخاصة والعامة، ومن ذلك تسريح الشعر فهي سُنَّةٌ حسنة، وتعطيره كذلك؛ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ) (٢).

---

(١) صحيح، رواه النسائي في سننه: ١/١٠،برقم: ٥، والدارمي: ١/٥٣٨،برقم: ٧١١.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٧٦، برقم: ٤١٦٣، ووالبيهقي في الشعب: ٨/٤٢٥، برقم: ٦٠٣٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ [(١)]، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ ثَائِرَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ كأنه يأمره بِإِصْلَاحِ شَعَرِهِ وَلِحْيَتِهِ، فَفَعَلَ الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ) [(٢)].

وفي حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ) [(٣)].

❁ إن الأناقة في غير سرف، والتجمُّل في غير تصنُّعٍ وتزويق، وتحسين القالب بعد إصلاح القلب، من تعاليم الإسلام التي يحض عليها، ويرغِّبُ فيها؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

---

(١) هو: عطاء بن يساء، أبو محمد المدني الفقيه، مولى أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها المتوفى نحو سنة (١٠١ هـ). انظر: تاريخ الإسلام ت بشار (٣/ ١٠٤).

(٢) مرسل، رواه مالك في الموطأ: ٩٤٩/٢، برقم: ٧، والبيهقي في الشعب: ٤٢٨/٨، برقم: ٦٠٤٣.

(٣) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٥١/٤، برقم: ٤٠٦٢، وأحمد في مسنده: ١٤٢/٢٣، برقم: ١٤٨٥٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ،قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)[1].

وقد يتذرع البعض بكثرة المشاغل، والاهتمام بالمعايش في عدم العناية بحسن زيه ونظافته؛ ولمَّا رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أعرابياً عَلَيْهِ بُرْدَانِ لَهُ قَدْ خَلَقَا، قَالَ: (أَمَا لَهُ ثَوْبَانِ غَيْرُ هَذَيْنِ؟، فقيل: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَهُ ثَوْبَانِ فِي الْعَيْبَةِ، قَالَ: فَأمَرَهُ أن يَلْبَسْهُمَا، فَلَبِسَهُمَا، ثُمَّ وَلَّى، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لَهُ ضَرَبَ اللَّهُ عُنُقَهُ، أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا لَهُ؟، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقُتِلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)[2].

❁ وبعض محترفي التديُّن يحسبون فوضى الملبس واتساخه ضروباً من العبادة، وربما تعمدوا فعل ذلك، فيلبسون المرقعات والملابس البالية ليظهروا زهدهم وتقشفهم، وهذا من الجهل الفاضح بالدين، ومن الافتراء

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٩٣/١، برقم: ٩١، وابن حبان: ٢٨٠/١٢، برقم: ٥٤٦٦.

(٢) صحيح، رواه مالك في الموطأ: ٩١٠/٢، برقم: ١، وابن حبان في صحيحه: ٢٣٦/١٢، برقم: ٥٤١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على تعاليم الدين الحنيف؛ فعن ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ أَتَيْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ : ائْتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلَلِ الْيَمَنِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ؟، قَالَ: مَا تَعِيبُونَ عَلَيَّ؟!؛ (لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الحُلَلِ) (١).

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ (٢)، قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعَرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ) (٣).

---

(١) إسناده حسن، رواه أبو داود في سننه: ٤/٤٥، برقم: ٤٠٣٧، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٠٢، برقم: ٧٣٦٨.

(٢) هو: الصحابي الجليل براء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: قائد صح أبي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، وتوفي أيام فتنة مصعب بن الزبير، سنة (٧١ هـ/ ٦٩٠م). الأعلام للزركلي (٢/ ٤٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ٤/١٨٨، برقم: ٣٥٥١، ومسلم: ٤/١٨١٨، برقم: ٢٣٣٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ ونبَّه الإسلام إلى ضرورة تطهير البيوت والطرقات من الفضلات والقمامات، حتى لا تكون مباءة للحشرات، وكان اليهود من أقذر النَّاس فحذَّر من التشبُّه بهم؛ فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظِّفُوا بُيُوتَكُمْ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَكْنَافَ فِي دُورِهَا) (١).

❁ وإماطة الأذى عن الطريق شعبةٌ من شعب الإيمان، ومع خفة هذا العمل، وصغر حجمه إلا أنه كبير القدر عند الله عز وجل، فاعتبره مرَّةً بمنزلة الصلاة، وتارة اعتبره بمنزلة الصدقة؛ فعن ابن عباس، عن النَّبيِّ ﷺ قال: (وَحَمْلُكَ عَنِ الضَّعِيفِ صَلَاةٌ، وَإِنْحَاؤُكَ الْقَذَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَلَاةٌ) (٢).

---

(١) ضعيف،رواه الترمذي في سننه: ٤٠٩/٤، برقم: ٢٧٩٩، وأبو يعلى في مسنده: ١٢١/٢،برقم: ٧٩٠.

(٢) إسناده ضعيف، رواه ابن خزيمة في صحيحه: ٣٧٦/٢، برقم: ١٤٩٧، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٨١٢/٢، برقم: ٨٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي رواية: (عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، كُلُّ كَلِمَةٍ طَيْبَةٍ صَدَقَةٌ، وَعَوْنُ الرَّجُلِ أَخَاهُ صَدَقَةٌ، وَالشَّرْبَةُ مِنَ الْمَاءِ يَسْقِيهَا صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) [1]؛ أي إزالة الأذى من حجر أو شجر أو شوك أو نجاسة أو نحو ذلك.

❁ إن سلامة الجسم له أثر كبير في سلامة التفكير، بل في تفاؤل الإنسان مع الحياة والناس، ومن أجل ذلك حارب الإسلام المرض، ووضع العوائق أمام جراثيمه حتى لا تنتشر، فينتشر معها الضعف والتراخي والتشاؤم من الحياة والناس، ومن وسائل الوقاية المحكمة التي شرعها الإسلام لحماية الناس من غوائل الأمراض إيجابه قضاء الحاجة في أماكن بعيدة عن الطرق والمجالس والمياه الراكدة؛ فعَنْ جَابِرٍ: (أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ) [2]، وفي رواية: (فِي الْمَاءِ الْجَارِي) [1].

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤٢٢/١٥٢، وابن حبان في صحيحه: ٥٣٤/١، برقم: ٢٩٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ، ٢٣٥/١، برقم: ٢٨١، وابن ماجه في سننه: ١٢٤/١، برقم: ٣٤٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ [(٢)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ) [(٣)]؛ أي أنَّ هذه الأمور تجلب لفاعلها اللعنة، كما أن الشخص الذي يتخلى في الطريق ساقط المروءة؛ لأنه يأتي فعلاً يثير الاشمئزاز، ويستوجب السخط .

وفي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: (مَنْ سَلَّ سَخِيمَتَهُ عَلَى طَرِيقٍ عَامِرٍ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) [(٤)].

---

(١) إسناده صحيح، رواه الطبراني في الأوسط: ٢٠٨/٢، برقم: ١٧٤٩، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

(٢) هو: الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلّى الله عليه وسلم. أسلم وهو فتى، وآخى النبي صلّى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب، مات في طاعون عمواس سنة (١٨ هـ/ ٦٣٩م). الأعلام للزركلي (٧/ ٢٥٨).

(٣) حسن، رواه أبو دود في سننه: ٧/١، برقم: ٢٦، وابن ماجه: ١١٩/١، برقم: ٣٢٨.

(٤) إسناده حسن، رواه الحاكم في المستدرك٢٩٦/١، برقم: ٦٦٥: ، والبيهقي في السنن: ١٥٨/١، برقم: ٤٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ [(١)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ) [(٢)].

وهذه المنهيات كلها أساس انتشار الأمراض المتوطنة لدينا نحن المسلمين؛ إذ إن العوام استهانوا بها فجرَّت عليهم الوبال.

وإذا وقع الإنسان في براثن المرض وجب عليه أن يعالجه حتى ينجو منه، وقد أرشدنا الدين الحنيف إلى التماس الأدوية الناجعة لما يحيق بنا من الآم؛ فعَنْ جَابِرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصَبت دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ) [(٣)].

---

(١) هو: حذيفة بن أُسيد الغفاري، وَأَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ مَعَ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلم الْحُدَيْبِيَةُ، وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ بَعْدَ ذَلِكَ. انظر: الطبقات الكبرى ط دار صادر (٦/ ٢٤).

(٢) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ١٧٩/٣، برقم: ٣٠٥٠، وانظر السلسلة الصحيحة: ٢٢٩٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١٧٢٩/٤، برقم: ٢٢٠٤، وأحمد في مسنده: ٤٩٩/٢٢، برقم: ١٤٥٩٧، واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً)[(١)].

❁ وحرَّم الإسلام الالتجاء إلى الخرافات في طلب الشفاء؛ لأن هؤلاء الدجالين يقحمون أنفسهم فيما لا ينبغي لهم، مع أن لكل علمٍ أهلاً يحسنونه، فلا يسوغ لمسلمٍ أن يقصدهم أو يصدق مزاعمهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافاً أو كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[(٢)].

ومع ذلك تجد أن طبَّ التمائم والودع والحجب المكتوبة، والتعاويذ المسحورة تلقى بين العامة رواجاً!، وقد عدَّها الإسلام ضرباً من الشرك بالله عز وجل؛ فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ جَاءَ فِي رَكْبٍ عَشَرَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ بَيْعَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُ هَذَا الرَّجُلِ لَا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٢/٧، برقم: ٥٦٧٨، وابن ماجه في سننه: ١١٣٨/٢، برقم: ٣٤٣٩.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ٢٠٩/١، برقم: ٦٣٩، وأبو بكر الخلال في السنة: ١٥٢/٤، برقم: ١٣٩٨، واللفظ له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تُبَايِعُهُ؟، فَقَالَ: إِنَّ فِي عَضُدِهِ تَمِيمَةً، فَقَطَعَ الرَّجُلُ التَّمِيمَةَ، فَبَايَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ عَلَّقَ فَقَدْ أَشْرَكَ) (١).

❁ وقد وضع الإسلام قواعد الحجر الصِّحيّ، فإذا ظهر مرضٌ معدٍ في بلدٍ ما، ضرب حوله حصاراً شديداً، فمنع الدخول فيه والخروج منه، وذلك حتى تنكمش رقعة الداء في أضيق نطاق؛ فعن أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا) (٢).

❁ وقد واسى الإسلام سكان البلد الموبوء، وحبَّب إليهم المكث فيه؛ لأن الرغبة في النجاة تُزيّنُ للكثيرين الفرار منه خلسةً، وتلك الرغبة في إحراز السلامة الشخصيَّة، تُعرِّض البلاد والعباد لجملة من الأخطار الجارفة؛

---

(١) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٢٤٣/٤، برقم: ٧٥١٣، وأحمد في مسنده: ٦٣٦/٢٨، برقم: ١٧٤٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣٠/٧، برقم: ٥٧٢٨، ومسلم: ١٧٣٧/٤، برقم: ٢٢١٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) (١).

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: (المَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ) (٢) أي من مات بالطاعون.

كذلك فإن الأخذ بالأسباب حقٌّ، والخوف من العدوى لا يدلُّ على ضعف اليقين، أو أنه هروب من القضاء المحتوم، بل هو من قدر الله، وشرعه وأمره؛ ولذلك عندما خرج عمر بن الخطاب إلى الشَّام، وعلم أن فيها الوباء، رجع بالناس، فقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ (٣): أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٢٤/٤، برقم: ٢٨٣٠، ومسلم: ١٥٢٢/٣، برقم: ١٩١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٣١/٧، برقم: ٥٧٣٣، وابن ماجه في سننه: ٩٣٧/٢.، برقم: ٢٨٠٤ ، والمبطون هو الذي يموت بمرض بطنه كالإسهال، والاستسقاء، وغير ذلك.

(٣) هو: الصحابي الجليل أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابيّ، أحد العشرة المبشَّرين بالجنة، قال ابن عساكر: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة. وكان لقبه أمين الأمة. ولد بمكة. وهو من السابقين إلى الإسلام. وشهد المشاهد كلها، وتوفي بطاعون عمواس في غور بيسان سنة (١٨ هـ/ ٦٣٩م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالَ عُمَرُ: "لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟، نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ لَكَ إِبِلٌ فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ" (١)، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وأخبرهم بحديث أسامة المتقدِّم.

❁ ويجب علينا أن نعرف أنه ليست كُلُّ عدوى تصيب، فقد يكون الشخص حاملاً للجرثومة، لكنه صحيح سليم؛ لأن فيه مناعة خاصة، أو أن الظروف المعقدة لنشاط المرض وانتشاره لم تتهيأ بعد.

ولو أن كل عدوى تصيب لهلك أهل الأرض في يوم واحد، وليس النفي في حديث: (لاَ عَدْوَى) (٢) منصبّاً على إنكار حقيقة العدوى، ولكن النفي هنا لتأثير العدوى أي أنها لا تؤثر بذاتها فتُمرضُ كل من تُصيبه؛ ولذلك لما جاء الأعرابي وسأل النَّبيَّ  عن الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٧/١٣٠، برقم: ٥٧٢٩، ومسلم: ٤/١٧٤٠، برقم: ٢٢١٩.

عدوتان: جانبان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٧/١٢٦، برقم: ٥٧٠٧، ومسلم: ٤/١٧٤٢، برقم: ٢٢٢٠.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيُجْرِبُهَا كُلَّهَا؟، فأجابه في آخر الحديث: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟) (١).

وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أن الرجل الحريص على نقاوة بدنه، ووضاءة وجهه، ونظافة أعضائه يُبعث على حاله تلك يوم القيامة؛ وضئ الجبين، نقي البدن والأعضاء؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) (٢).

## المزاح والضحك

خلتان غير ممدوحتين ما لم تكونا في حدِّ الظَّرف والكمال، مع مراعاة للظروف الخاصة بهما، بقصد ترويح النفس، وتفريج السآمة؛ ليستأنف المرء عمله بجدٍ ونشاط، مع التزام الأدب والصدق، كي يكون محفوظ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٦/٧، برقم: ٥٧٠٧، ومسلم: ١٧٤٢/٤، برقم: ٢٢٢٠. الرمل: الصحراء. الظبي: الغزال.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٣٩/١، برقم: ١٣٦، ومسلم: ٢١٦/١، برقم: ٢٤٦. الغرة: هي لمعة البياض في جبهة الفرس، ثم استعملت في الوضاءة وحسن السمت والشهرة وطيب الذكر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القدر، موفور الكرامة، أمَّا إذا خرج الإنسان بهما عن موضع الجِد والاحترام، وحد الحشمة والوقار، فقد عرَّض نفسه للازدراء والاحتقار، وبئست حال من لم يعرف لنفسه قدرها، ولم يحفظ لكرامته مقامها في هذا المجتمع.

قال الله تعالى مخاطباً قوماً هذا شأنهم: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ، ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر: ٧٥، ٧٦).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنِّي لَأَمْزَحُ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا) (١).

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ) (٢)، و (كان ﷺ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ ) (١).

---

(١) صحيح، رواه الطبراني في الكبير: ٣٩١/١٢، برقم: ١٣٤٤٣، وفي الأوسط: ٢٩٨/١، برقم: ٩٩٥.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٩٨/ ٢٥٣، وابن ماجه في سننه: ١٤٠٣/٢، برقم: ٤١٩٣.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عمر بن الخطاب: التبسُّم أبلغ في الإيناس [٢] من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وعُجباً.

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي [٣]: المزاح يُوغِرُ [٤] صدر الصديق، وينفر الرفيق، ويبدي السرائر، ويظهر المعاير [٥]، ويجلب الشتم، ويثير الحقد.

وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح، فإنه حمقة تورث ضغينة.

---

(١) حسن، رواه البيهقي في الشعب: ٣/١٢٤، برقم: ١٣٦٢، والترمذي في الشمائل: ١٨٤/ ٢٢٦.

(٢) الإيناس من التأنيس والمؤانسة.

(٣) هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، وله أخبارٌ كثيرة، توفي سنة (٩٥ هأ/ ٧١٤م) الأعلام للزركلي (٢/ ١٦٨).

(٤) يوغر: يوقده غيظاً.

(٥) المعاير: المعايب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحكماء: الضحك شاغل عن النظر في الأمور المهمة، ومذهلٌ عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبةٌ ولا وقار، ولا لمن وُصِمَ به خطرٌ ولا مقدار (١).

وقال أحد الأدباء: على العاقل أن يتقي المزح، وينزه نفسه عن وصمة مساويه، فإنه مَخْرَج إلى القطيعة، ومذهبةٌ للهيبة والبهاء، ومدعاةٌ لتجرؤِ الغوغاء والسفهاء.

وقال غيره: الضحك كالمزاح يلزم تحامية (٢) والنفور منه، والأحرى بالعاقل أن يبدل الضحك عند الإيناس بالتبسم.

وقال بعض البلغاء: من قلَّ عقله كثر هزله.

وقال آخر: احذر فلتات المزاح، فسقطة الاسترسال (٣) لا تُقال.

وقيل: المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب.

---

(١) الوصم: العيب والعار. والخَطَر: القدر والمنزلة.

(٢) التحامي: الاجتناب والتوقي.

(٣) الفلتات: الهفوات والزلات. والاسترسال: الانبساط والاتساع في الكلام وغيره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل أيضاً: كثرة الضحك من الرعونة [١]، وضحكة المؤمن غفلةٌ من قِبَله.

وقال النيسابوري [٢]:

شرُّ مزاح المرء لا يُقال ...وخيره يا صاحِ لا يُنال
وقد يُقال كثرة المزاحِ ... من الفتى تدعو إلى التلاحي [٣]
إن المزاح بدؤه حلاوه ... لكنما آخره عداوة
يحتدُّ منه الرجل الشريف ... ويجتري بسخفه السخيف

وقال ناصح الدين [٤]:

لا تجعل الهزل دأباً فهو منقصةٌ ... والجِدُّ تعلو به بين الورى القِيَمُ
ولا يضرنَّك من ملك تبسُّمُه ...ما سحَّتِ السُّحب إلا حين تبتسمُ [١]

---

(١) الرعونة: الحمق.

(٢) لعله: الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوريّ: أديب، واعظ، مفسر، توفي سنة (٤٠٦ هـ/ ١٠١٦م). الأعلام للزركلي (٢/ ٢١٣).

(٣) التلاحي: التنازع والشقاق.

(٤) هو: عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، ناصح الدين ابن الحنبلي، توفي سنة (٦٣٤ هـ/ ١٢٣٦م). الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال علي بن أبي طالب:

ودع المزاح فرب لفظة مازحٍ ...جابت إليك بَلابِلاً لا تُدفعُ [٢]

وقال الشاعر:

أفد طبعك الكدود بالجِدّ راحةً ...يَجِـمُّ وعَلِّلْهُ بشيءٍ من المـزحِ [٣]

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يُعطي الطعامُ من الملحِ

وقال آخر:

واحذر من المزحِ كم في المزحِ من خطرٍ ... كم من صديقين بعد المزحِ فاختصما

---

(١) سحَّت: سالت.

(٢) بلابل: هموم.

(٣) يجمُّ: ينشط ويهدأ. علِّله: داوه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ❁ الإعتبار

هو الاتعاظ بحوادث الزمان، والانتصاح بنصائح الحدثان، فالعاقل من أخذ في أموره بالثقة، وسار في أحواله بالحيطة؛ كي تقلَّ عثراته، وتنقطع هفواته، ومن الجهل الفاضح أن ينظر الإنسان للحوادث نظر متفرّجٍ غير متدبِّر، لا نظر متفكر مُعتبر، ولذلك تراه يقع فيما وقع فيه غيره، ولعمر الحق إن هذا لخطأ فادح لا ينبغي أن يكون من العقلاء، فيجب تداركه والعمل على تلافيه، وليحرص كُلَّ الحرص أن يكون لنفسه من الأيام واعظ، ومن الحوادث رادع ومرشد؛ ليعيش عيشة الآمنين السُّعداء.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر:٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (النازعات: ٢٦)، وقال جلَّ شأنه:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

وقال عزَّ وجل: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال رسول الله ﷺ: (السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ)(١).

وقال بعض الحكماء: كفى بالتجاربِ تأديباً، وبتقلب الأيام عظة.

وقال آخر: إن للباقي بالماضي معتبرا، وللآخر بالأول مزدجرا، والسعيد لا يركن إلى الخِدع، ولا يغتر بالطمع.

وقال غيره: السعيد من اعتبر بأمسه.

وقال بعض الفصحاء: كفى بالدهرِ مُخبرا بما مضى عمَّا بقي، وكفى عبرا لأولي الألباب ما جرَّبوا.

وقال بعض البلغاء: ما أكثر العِبَر لمن نظر، وأنفعها لمن اعتبر.

وقيل لأحد الحكماء: من أدَّبك ؟، قال: ما أدبني أحد، رأيت الجهل قبيحاً فاجتنبته.

وقيل: من كثر اعتباره قلَّ عَثاره(٢).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٧٣/٤٠، برقم: ٢٦٤٥، وابن حبان: ٥٢/١٤، برقم: ٦١٧٧.

(٢) العثار: السقطات والزلات.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: العاقل من اتعظ بغيره واعتبر به.

وقال إبراهيم ابن شكلة[1]:

من لم يؤدبه والده ... أدبه الليل والنهار
كم قد أذلّا كريم قومٍ ... ليس له منهما انتصار
من ذا يدُ الدهرِ لم تنله ... أو اطمأنَّت به الديار
كُلٌّ عن الحادثات مُغضٍ ... وعنده للزمان ثار [2]

وقال طاهر بن الحسين [3]:

---

(١) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول وفي أخباره كثرة. ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين، توفي سنة (٢٢٤ هـ/ ٨٣٩ م). الأعلام للزركلي (١/ ٥٩).

(٢) غض عنه طرفه: إذا صرف بصره وخفضه.

(٣) هو: أبو طلحة طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، من كبار الوزراء والقواد، أدباً وحكمة وشجاعة. وهو الّذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد، توفي سنة (٢٠٧ هـ/ ٨٢٢م). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا أعجبتك خصال امرئٍ ... فكُنْهُ يكن منك ما يُعجبك

فليس على المجد والمكرماتِ ...إذا جئتها حاجب يحجبك [(١)]

وقال سليمان بن وهب [(٢)]:

نوائب الدهر أدَّبتني ... وإنما يوعظ بها الأديب

قد ذقت حلوا وذقت مُرًّا...كذاك عيش الفتى ضُروبُ [(٣)]

لم يمضِ بؤسٌ ولا نعيمٌ ...إلا ولي فيهما نصيبُ

كذلك من صاحب الليالي ...تغذوه من دَرِّها الخُّطوبِ [(٤)]

وقال عدي بن حاتم [(١)]:

---

(١) حاجب: مانع.

(٢) هو: سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي: وزير، من كبار الكتاب. من بيت كتابة وإنشاء في الشام والعراق. ولد ببغداد، وكتب للمأمون وهو ابن ١٤ سنة. وولي الوزارة للمهتدي باللَّه، ثم للمعتمد على الله. ونقم عليه الموفق باللَّه، فحبسه، فمات في حبسه سنة (٢٧٢ هـ/ ٨٨٥ م). الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٧).

(٣) ضروب: أصناف مختلفة، ليست على نمط واحد.

(٤) الدَر: اللبن.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

كفى زاجراً للمرءِ أيام دهره ...تروح له بالواعظات وتغتدي [٢]

وقال الشاعر:

من لم تفده عبرا أيامه ...كان العمى أولى به من الهدى

وقال آخر:

وافطن لصرف الدهر والعجائب ... فإنه لا علم كالتجاربِ

كفاك من عاشرت من إخوانِ ...معــرفةً بصورة الزمـــانِ

وقال غيره:

الدهر أدبني والصبر رباني ... والقوت أقنعني واليأسُ أغناني

وحَنَّكتني من الأيام تجربةٌ ...حتى نهيت الذي قد كان ينهاني [٣]

---

(١) هو: الصحابي الجليل أبو وهب عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أمير، من الأجواد العقلاء. كان رئيس طيئ في الحاهلية والاسلام. وقام ابن الأثير: خير مولود في أرض طيِّئ وأعظمه بركة عليهم. وكان إسلامه سنة ٩ هـ وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد الجمل وصفين والنهروان مع عليّ، توفي سنة (٦٨ هـ/ ٦٨٧م). الأعلام للزركلي (٤/ ٢٢٠).

(٢) تروح: تذهب إليه في الرواح أي العشية. وتغتدي: تذهب غدوة أي بكرة.

(٣) حنكتني: هذبتني.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال غيره:

وما أبقت لك الأيام عذراً ... وبالأيامِ يتعظ اللبيب

وقال غيره:

وأغزرُ الناس عقلاً من إذا نظرت ... عيناه أمراً غدا بالغيرِ مُعتبرا [١]

(١) أغزر: أكثر وأوفر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## ۞ قمع النفس عن الهوى

للنفسِ نزعاتٌ شيطانية، ولذات شهوانية، فإن هي تُركت وشأنها تعثي وراء لذاتها، وتسير وراء شهواتها، فنزعت من الشر كُلَّ منزع، فلا شكَّ أنها تودي بصاحبها إلى الهلاك، فيردى في مهاوي الرَّدى، أمَّا مَن تغلَّبَ على نفسه، وقادها بعقلٍ راجح، وفكرٍ ثابت، ومعها عن أطماعها الدنيئة، وكفَّها عن شهواتها الخسيسة، فإنه يكون بعيداً عن مواطن الشقاء والهلاك، غير مرتكبٍ إثماً ولا متحمّلٍ وزراً، وسيجزيه الله الجزاء الأوفى مع المتقين.

قال الله تعالى مخاطباً قوماً هذا شأنهم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠، ٤١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩، ١٠).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: ٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عزَّ وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣).

وقال رسول الله ﷺ: (الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، ثُمَّ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) (١).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ) (٢)، ورُوي عنه أنَّه قال في التحذير من الهوى: (حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ) (٣).

---

(١) حسن لغيره، رواه الترمذي في سننه: ٢١٩/٤، برقم: ٢٤٥٩، وابن ماجه: ١٤٢٣/٢، برقم: ٤٢٦٠. الكيس: العاقل.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ٥٤/١، برقم: ٢٤، وابن حبان في صحيحه: ٢٠٣/١١، برقم: ٤٨٦٢.

(٣) صحيح موقوف، رواه أبو داود في سننه: ٤/ ٣٣٤، برقم: ٥١٣٠، وغيره.واحمد في مسنده: ٥٣٣/٤٥، برقم: ٢٧٥٤٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال عمر بن الخطاب: ادفعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلَّاعة، تنزعُ إلى شرِّ غاية، وإن هذا الحقَّ ثقيل مُرِّي، وإن الباطل خفيفٌ وَبِيّ، وترك الخطيئة خيرٌ من مُعالجة التوبة، ورُبَّ نظرةٍ زرعت شهوة، وشهوة ساعةٍ أورثت حزناً طويلاً.

وقال عليّ: أخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الأمل، فإن اتباع الهوى يصدُّ عن الحق، وطول الأمل يُنسي الآخرة. وقال: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها وآجلها وخيم.

وقال الشعبي: إنما سمي الهولا هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه.

وقال ابن السَّمّاك: كن لهواك مسوِّفا، ولعقلك مسعفاً، وانظر ما تسوء عاقبته، فوطن نفسك على مجانبته، فإن ترك النفس وما تهوى داؤها، وترك ما تهوى دواؤها، فاصبر على الدواء كما تخاف من الداء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض البلغاء: من أثلح نفسه أرغم [١] أنف أعاديه، ومن أعمل جدَّ بلغ أقصى أمانبه. وقال آخر: أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك.

وقال غيره: من أمات شهوته، فقد أحيا مروءته.

وقال غيره: الهوى عسوفٌ [٢]، والعدل مألوف.

وقال بعض العلماء: ركَّب الله الملائكة من عقلٍ بلا شهوة، وركب البهائم من شهوةٍ بلا عقل، وركب ابن آدم من كليهما، فمن غلب عقله على شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من الدواب.

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟، قال: من جاهد الهوى طاعةً لربِّه، واحترس في مجاهدته من خواطر الهوى على قلبه. وقيل: العقل وزير ناصح، والهوى وكيلٌ فاضح.

وقيل أيضاً من أطاع هواه أعطى عدوه مناه.

---

(١) أرغم: ألصق بالتراب.

(٢) عسوف: لا تؤمن عاقبته.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عليٌّ بن أبي طالب:

صن النفس واحملها على ما يزينها...تعش سالماً والقول فيك جميل

ولا تزيَّن للناسِ إلا تجمُّلا ...نبا بك [1] دهرٌ أو جفاك خليل

وقال أبو الفتح البستي:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ...لتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ

وقال الشاعر:

إذا ما رأيت المرء يقتاد الهوى ...فقد ثكلته عند ذاك ثواكله

وقد أشمَت الأعداء جهلاً بنفسه ... وقد وجدت فيه مقالاً عواذله [2]

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى ... من الناس إلا حازمُ الرأي كامله [3]

وقال آخر:

يا عاقلاً أردى الهوى عقله ... ما لك قد سُدَّت عليك الأمور [1]

---

(١) نبا: جفا وتباعد.

(٢) العواذل هم اللائمون والمعاتبون.

(٣) لجت النفس: لازمت وواظبت وأبت الانصراف.

أتجعل العقل أسيرُ الهوى ... وإنما العقل عليه أمير

وقال غيره:

إذا المرء أعطى نفسه كُلَّ ما اشتهت...ولم ينهها تاقت إلى كُلِّ باطلِ [٢]

وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاةِ عاجلِ

وقال غيره:

وما شرف الإنسان إلا بنفسه ... أكان ذووه سادةً أم مواليا [٣]

---

(١) أردى: أهلك.

(٢) تاقت: اشتاقت.

(٣) الموالي: العبيد.

## ۞ كتمان السّر

هو من أفضل الأخلاق وأكبر الفضائل، به تصان الأعراض وتُحفظ الأرواح، وتلتئم الجماعات، فرُبَّ سرٍّ أفشيته جلب شرّاً مستطيرا، وأحدث فتنةً أهلكت خلقاً كثيرا، ولهذا كان من الواجب على الإنسان أن يخفي سرَّه ما استطاع وإلا عرَّض نفسه إلى أضرار كثيرة لا قِبَلَ له بها، وحينئذٍ لا يمكنه دفع ما يترتب على ذلك من الأخطار، فيعضَّ سبابة المتندمِ، ولا ينفعه الندم بعد ما انقضى الأمر .

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)[١].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢/١٠٦٠، برقم: ١٤٣٧، وأبو داود في سننه: ٤/٢٦٨، برقم: ٤٨٧٠ . يُفضي: يُباشر زوجته بالجماع أو يُفضي بمعنى يُسرُّ بالخير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ) (١).

وعَنْ أَنَسٍ قال: (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ صِبْيَانٌ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَأَرْسَلَنِي فِي حَاجَةٍ، وَجَلَسَ فِي الطَّرِيقِ يَنْتَظِرُنِي حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟، فَقُلْتُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا هِيَ؟، قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: فَاحْفَظْ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) (٢).

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ) (٣).

---

(١) ضعيف، رواه الطبراني في الأسط: ٣/٥٥، برقم: ٢٤٥٥، والبيهقي في الشعب: ٩/٣٤، برقم: ٦٢٢٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ٤/١٩٢٩، برقم: ٢٤٨٢، والبخاري في الأدب المفرد: ٣٨٩ /١١٣٩.

(٣) حسن، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٦٧، برقم: ٤٨٦٨، والترمذي: ٣/٤٠٥، برقم: ١٩٥٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عمر بن الخطاب: من كتم سره كان الخيار في يده.

وكان يقول: ما أفشيت سري إلى أحد قط فلُمتُه؛ إذ كان صدري به أضيق.

وقال عليّ: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره.

وقال عمر بن عبد العزيز: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره.

وقال أنشروان: من حصَّن سره فله بتحصينه خَصلتان؛ الظفر بحاجته، والسلامة من السَّطوات.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوَّاداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أفضل جودِ المرء الإنفاقُ في وجوه البر، والبخل بمكتوم السر.

وقال آخر: انفرد بسرك، ولا تودعه حازماً فيَزل، ولا جاهلاً فيخون.

وقال غيره: من أفشى سره كثر عليه المتآمرون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الأدباء: أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره، وأقواهم من قوي على غضبه، وأصبرهم من ستر فاقته، وأغناهم من قنع بما تيسر له.

وقال غيره: كم من سرٍ أراق إفشاؤه دم صاحبه، ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه لأمن من سطوته، وسلم من عواقبه.

وقال بعض الفصحاء: من عجائب الأمور أن الأموال كلما كثر خُزَّانها كان أوثق لها، وأما الأسرار فإنها كلما كثر خزانها كنا أضيع لها.

وقال آخر: ما أسرَّك ما كتمت سرَّك.

وقال غيره: من لم تُغيِّبْهُ الأضالع فهو مكشوفٌ ضائع.

وقال بعض العقلاء: إظهار الرجل سرَّ غيره أقبح من إظهاره سرَّ نفسه؛ لأنه يبوء بإحدى وَصمَتين؛ الخيانة إن كان مؤتمناً، والنميمة إن كان مُستودعاً.

وقيل: من أفشى سره أفسد أمره، ومن كتم سره ملك أمره.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل أيضاً: قلوب العقلاء حصون الأسرار، وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع إليه، ويؤثر الوقوف عليه، فإن طالبَ الوديعة خائن.

وقال أنس بن أسيد [1]:

ولا تُفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا

فإني رأيتُ وشاة الرجال... لا يتركون أديماً صحيحـا [2]

وقال الشاعر:

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة ... والسر عند خيار الناسِ مكتومُ

فالسر عندي في بيت له غلقٌ ... ضاعت مفاتيحه والباب مختوم [3]

وقال آخر:

---

(١) هو: الصحابي الجليل أنس بن زنيم بن عمرو بن عبد الله، الكناني الدئلي، شاعر، نشأ في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم فأهدر دمه، فأسلم يوم الفتح ومدح رسول الله بقصيدة فعفا عنه. عاش إلى أيام عبيد الله بن زياد (أمير العراق) وكان عبيد الله يحرش بينه وبين بعض الشعراء، توفي نحو سنة (٦٠ هـ/ ٦٨٠م). الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤).

(٢) يُقال فلان صحيح الأديم؛ أي صحيح الأصل والعرض.

(٣) المغلاق: الذي يغلق به الباب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسرَّ فاكتمه ولا تنطق به ...إن الزجاجة كسرها لا يُشعِب [١]

وكـذاك سر المرء إن لم يطوه...نشرته ألسنة تزيد وتكذب

وقال غيره:

ومستودعي سراً تضمَّنَتْ سره ...فأودعته من مستقرِّ الحشا قبرا [٢]

ولكنني أخفيه عني كأني ...من الدهر يوماً ما أحطت به خُبرا [٣]

وما السـر في قلبي كميتٍ بحفـرةٍ ...لأني المدفون ينتظ النشـرا [٤]

وقال غيره:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث ...وأفشتهُ الرجال فمن تلومُ

وإن عاتبت من أفشى حديثي ...وسري عنده فأنا الملوم

وقال غيره:

ولستُ بِمُبدٍ للرجال سريرتي ...ولا أنا عن سرهم بسؤول

---

(١) لا يشعب: لا يجبر ولا يجمع.

(٢) الاحشاء: الأمعاء.

(٣) خبرا: علما.

(٤) النشرا: البعث.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال غيره:

صُنِ السِّرَّ عن كل مستصحَبِ ... وحاذر فما الرأي إلا الحذر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ۞ النَّهيُ عن السّؤال

يقضي نظام هذه الحياة على الإنسان أن يسعى ويعمل ويطلب الرزق من وجوهه المشروعة حتى لا يمد يده إلى الناس، فإنه إذا قعد عن العمل ولزم البطالة والكسل، فلا شك أن تسوء حاله، وتنحطَّ نفسه، ويضيق عيشه، فليجأ إلى السؤال، وأيُّ عاقلٍ يرضى لنفسه بهذه الحال التعيسة ؟، بل وكيف يقبل أن يكون عضواً أشلَّ في الهيئة الاجتماعي لا يُقامُ له وزن، ولا تُعرف له قيمة.

قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٧٣).

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ (البقرة:٢٦٧).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رسول الله ﷺ: (لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) (١).

وعنه –صلى الله عليه وسلم –أنَّه قال: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ) (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لَا تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ، لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ) (٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٢٣/٢، برقم: ١٤٧١، وغيره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١١٢/٢، برقم: ١٤٢٧، ومسلم: ٧٢١/٢، برقم: ١٠٤٢. تعول: تنفق عليهم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ٧١٨/٢، برقم: ١٠٣٨، والنسائي في سننه: ٩٧/٥، برقم: ٢٥٩٣. تلحفوا: أي تُلحِّوا ويشتد طلبكم لها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ﷺ: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الْمَسْأَلَةِ، مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ يَسْأَلُهُ شَيْئًا) (١).

وقال عليٌّ لابنه الحسن في وصيته له: يا بني إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمةٍ فافعل، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً، فإن اليسير من الله تعالى أكرم وأعظم من الكثير من غيره. وقال لقمان لولده: يا بني إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك.

وقال أكثم بن صيفيّ: أفضل من السؤال ركوب الأهوال.

وقال شريح (١): من سأل حاجة فقد عرض نفسه للرق، فإن قضاها المسئول منه استعبده بها، وإن ردَّه عنها رجع كلاهما ذليلا، هذا بِذُلِّ البخل، وذاك بذلِّ الرَّد.

---

(١) حسن، رواه النسائي في سننه: ٥/٩٤، برقم: ٢٥٨٦، وأحمد في مسنده: ٣٤/٢٤٦، برقم: ٢٠٦٤٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه.

وقال بعض الحكماء: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغنِ عمَّن شئت تكن نظيره، وأنعم على من شئت تكن أميره.

وقال أحد الصلحاء: أقرب ما يكون العبد من الله إذا سأله، وأقرب ما يكون من الخلق إذا لم يسألهم.

وقيل لأعرابيّ: ما السَّقم الذي لا يَبرأ؟، والجرح الذي لا يندمل؟ [٢]، قال: حاجة الكريم إلى اللئيم.

وقيل: من لم يستوحش ذل السؤال لم يأنف من لؤم الرَّد.

وأنشد ثعلب [١]:

---

(١) هو: شريح بن هانئ بن يزيد الحارثي: راجز، شجاع، من مقدمي أصحاب عليّ، كان من أمراء جيشه يوم الجمل. ولما كان يوم التحكيم بعث عليّ أبا موسى، ومعه أربعمائة رجل، عليهم شريح بن هانئ. قتل غازياً بسجستان سنة (٧٨ هـ/ ٦٩٧م). الأعلام للزركلي (٣/ ١٦٢).

(٢) يندمل: يعود كما كان قبل الجرح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من عفَّ خفَّ على الصديق لقاؤه ...وأخو الحوائج وجهه مملولُ
وأخوك من وفَّرتَ ما في كيسهِ...فإن عبثت به فأنت ثقيلُ

وقال الشاعر:

لعمر الله ما عوَّدتُ نفسي ... خضوعاً لامرئ فيه ابتذال
أيرضى من له عقلٌ ورأيٌ ... تعاطي ما عليه به وبال؟

وقال غيره:

لا تحملنَّ من الأنام ... عليك إحساناً ومِنَّة
واختر لنفسك حظَّها ...واصبر فإنَّ الصَّبرَ جُنَّة (٢)
مِنَنُ الرجال على القلوبِ ... أشدُّ من وقعِ الأسِنَّه

وقال غيره:

لا تحسب الموتَ موتُ البِلَا ... لكنما الموتُ سؤلُ الرِّجال (١)

---

(١) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانيّ بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر، محدثا، مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ومات في بغداد سنة (٢٩١ هـ/ ٩١٤ م). الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٧).

(٢) جنة: سترة ووقاية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

كلاهمـا مـوتٌ ولكنَّ ذا ...أشرُّ من ذاك لـذُلِّ السـؤال

وقال غيره:

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله ...عِوضاً ولو نال الغنى بسؤاله

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخفَّ كُلُّ نوالِ [٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) البلا: الفناء.

(٢) النوال: العطاء.

## ذمُّ الحِرص والطَّمع

الحرص والطمع رذيلتان كبيرتان، وهما أصل الجشع وعدم الرضا بما قسم الله للمرء من الرزق، وتكالب النفس على طلب الزيادة ولو من غير طرقها المشروعة، وليس ما نراه من الجرائم الكثيرة من سرقةٍ وقتلٍ وغيرها إلا أثراً سيِّئاً من آثار الحرص على الدنيا والطمعِ فيها، فلا يقفُ صاحبها عند حدٍّ، ولا ينتهي إلى غاية، وتكون عاقبته الهلاك لا محالة، ولو نبذ الحرص والطمع وراء ظهره، ورضي بما كسبت يداه من رزقٍ حلال لكفاه ذلك وعاشَ عِيشةً هادئةً مرضيَّة.

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة:١٦٨).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨).

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

وقال رسول الله ﷺ: (لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ)(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: (يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ، وَطُولُ الْأَمَلِ)(٢).

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (إِيَّاكُمْ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ)(٣).

وعنه ﷺ أنَّه قال: (اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ)(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٩٣/٨، برقم: ٦٤٣٩، وابن حبان: ٢٨/٨، برقم: ٣٢٣٥.

(٢) صحيح، رواه البيهقي في السنن الكبرى: ٥١٥/٣، برقم: ٦٥٠٦، وله شواهد في الصحيحين.

(٣) ضعيف،رواه الطبراني في الأوسط: ٣٦٩/٧، برقم: ٧٧٥٣، وفيه محمد بن أبي حميد مجمعٌ على ضعفه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عليّ: ما الخمر صرفاً بأذهب لعقول الرجال من الطمع.

وقال: أكثر مصارع الرجال تحت بروق الطمع.

ومن وصايا سعد لابنه: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَلْقَى أَحَدًا هُوَ أَنْصَحُ لَكَ مِنّي، إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ، وَعَلَيْكَ بِالْيَأْسِ فَإِنَّهُ الْغِنَى، وَاعْمَلْ مَا بَدَا لَكَ.

وقيل لأبي بن كعب: مَا يَنْفِي الْعِلْمَ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ؟، قَالَ: الطَّمَعُ.

وقال بعض الحكماء: من أردا أن يعيش حراً أيام حياته، فلا يُسكن قلبَه الطمع.

وقال أحد الفلاسفة: العبيد ثلاثة: عبدُ رقٍّ، وعبدُ شهوةٍ، وعبد طمعٍ.

وقيل للإسكندر: ما سرور الدنيا؟، قال: الرضا بما رُزقتَ منها، قيل: فما غمُّها؟، قال: الحرص عليها.

---

(١) إسناده ضعيف، رواه الحاكم في المستدرك: ٧١٦/١، برقم: ١٩٥٦، وأحمد في مسنده: ٣٥١/٣٦، برقم: ٢٢٠٢١.الطبع: الدنس.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: الحرص مفسدة للدين والمروءة، ومن لزم الطموع عُدِمَ الورع.

وقال أبو العتاهية:

لقد لعبت وجدَّ الموت في طلبي...وإن في الموت لي شغلاً عن اللعبِ
لو شمَّرت فكري فيما خُلقتُ له... ما اشتد حرصي على الدنيا ولا طلبي

وقال أبو العباس أحمد بن مروان [(١)]:

وذي الحرصِ تراه يُلم وفراً ...لورائه ويدفعُ عن حِماهُ [(٢)]
ككلب الصيدِ يمسك وهو طاوٍ ...فريسته ليأكلها سواهُ [(٣)]

وقال الإبشيهي [(١)]:

---

(١) هو: أَحْمَد بن محمد بن مروان السَّرْخَسِيّ، المتوفى سنة (٢٨٦هـ)، وكان متفنناً في علومٍ كثيرة من علوم القُدماء والعرب، حَسَن المعرفة، جيّد القريحة، بليغ اللسان، مليح التَّصنيف. كَانَ معلّمًا للمعتضد، ثُمَّ نادَمَه وخُصّ بِهِ، وَكَانَ يفضي إِلَيْهِ بسرّه ويستشيره، وَلَهُ مصنفات في الفلسفة. تاريخ الإسلام ت بشار (٦/ ٨٥٧).

(٢) الوفر: المال الكثير الواسع.

(٣) الطاوي: هو الجائع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيا من يعيش في الدنيا طويلاً...وأفنى العمر في قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى ...وجمعٌ من حرامٍ أو حلال

هبِ الدُّنيا تُقادُ إليكَ عفواً ...أليس مصير ذلك للزوال

وقال محمد بن حازم [٢]:

يا أسير الطمع الكا ... ذب في غُل الهوانِ

إن عز اليأسِ خيرٌ ...لك من ذل الأماني

سامح الدهر إذا عز ...وخذ صفو الزمانِ

ربما أعدَمَ ذو الحر ...صِ وأثرى ذو التواني [٣]

وقال صالح بن عبد القدوس:

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي المحلي، بهاء الدين، أبو الفتح: صاحب " المستطرف في كل فن مستظرف –ط" في الأدب والأخبار: نسبته إلى "أبشويه"، توفي سنة (٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨م) الأعلام للزركلي (٥/ ٣٣٢).

(٢) هو: محمد بن حازم بن عمرو الباهلي بالولاء، أبو جعفر: شاعر مطبوع. كثير الهجاء، لم يمدح من الخلفاء غير المأمون العباسي. ولد ونشأ في البصرة وسكن بغداد ومات فيها سنة (٢١٥ هـ/ ٨٣٠م). الأعلام للزركلي (٦/ ٧٥).

(٣) أعدم: افتقر.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا تحرصنَّ فالحرصُ ليسَ بزائدٍ ...في الرزقِ بل يشقى الحريصُ ويتعبُ

وقال الشاعر:

من ملك لحرص القياد لم يزل ... يكرع من ماء من الذلِّ صري [(١)]

من عارض الأطماع باليأسِ رنت ...إليه عينُ العزِّ من حيثُ رنا

وقال غيره:

وجانبِ الحرص والأطماعَ تحظ بما ... ترجو من العز والتأييد في عجلِ

(١) يكرع: كرع المكاء أي تناوله من موضعه من غير أن يشرب بإناء ولا بكف. صري: الدائم الذي طال مكثه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## البُعد عن الفحش في القولِ والعمل

هو تجنب المرء النطق بالألفاظ البذيئة، والكلمات المبتذلة، والتبرؤ من سماعها، والعمل على محاربتها؛ لما تجلبه من العداوةِ والبغضاءِ، وتجرُّه من المنازعات والمشاحنات التي قد تنتهي بأوخم العواقب، وأسوأ النتائج، فتتفكك عُرى المحبَّة، وتنقطع روابط الألفة، ويحلُّ الفساد محلَّ النظام، والخصام محل الوئام، وإذ ذاك تسوء الأحوال، وتضطرب رحى الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٨).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ [١] أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص:٥٥).

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٣).

---

(١) اللغو: هو كل باطل من القول أو الفعل.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٦، ١٨).

وقال عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الاسراء: ٣٦).

وقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ – أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ –اتِّقَاءَ فُحْشِهِ) [١].

وعن ابن مسعود، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ) [٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٧/٨، برقم: ٦٠٥٤، ومسلم: ٢٠٠٢/٤، برقم: ٢٥٩١.

(٢) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ، و٣٥٠/٤، برقم: ١٩٧٧، واحمد في مسنده: ٦٠/٧، برقم: ٣٩٤٨. الطعان: الذي يطعن في أعراض الناس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه ﷺ، أنَّه قال: (إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟، قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ)(١).

وعنه ﷺ أنَّه قال: (مَنْ تَوَكَّلَ لِي مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَمَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، تَوَكَّلْتُ لَهُ بِالْجَنَّةِ)(٢)، وقال: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)(٣).

وقال: (اعْطُوا الْمَجَالِسَ حَقَّهَا؛ غَضُّ الْبَصَرِ وَرَدُّ السَّلَامِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ)(٤).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ)(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٣/٨، برقم: ٥٩٧٣، وأبو داود في سننه: ٣٣٦/٤، برقم: ٥١٤١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١٤٦/٨، برقم: ٦٨٠٧، والترمذي في سننه: ٦٠٦/٤، برقم: ٢٤٠٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١١/١، برقم: ١٠، ومسلم: ٦٥/١، برقم: ٤٠.

(٤) رواه مسلم في صحيحه: ١٧٠٣/٤، برقم: ٢١٦١، وأحمد في مسنده: ٢٨٧/٢٦، برقم: ١٦٣٦٧.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)[2].

وقال عمرو بن عتبة[3]: نزِّه نفسك عن استماع الخَنى[4]، كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل، ولو رُدت كلمة الناطق بالأذى في فيه لسعدَ رادُّها كما شقي قائله.

وقال المهلب: إذا سمع أحدكم العوراء[5] فليطأطئ لها فتتخطاه.

وقال ابن عبَّاس: رحمَ الله من حفظ لسانه، وعرفَ زمانه، واستقامت طريقته.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٥١، برقم: ٤٧٩٢، والبخاري في الأدب المفرد: ٢٦٥/٧٥٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ١/١٩، برقم: ٤٨، ومسلم: ١/٨١، برقم: ٦٤.

(٣) هو: عمرو بن عُتبة بن فرقد السُّلمي، الكوفي الزاهد، المتوفى نحو سنة (٧٦ هـ) انظر: تاريخ الإسلام ت بشار (٢/ ٨٦٧).

(٤) الخنا: الفحش من الكلام.

(٥) العوراء: الكلمة القبيحة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال حاتم:

وكلمة حاسدٍ في غير جُرمٍ ...سمعتُ فقلتُ مُرِّي فأنفذيني [١]

عنيت بهـا كأن قيلت لغيري ... ولم يعرق لها يومـاً جبيني

وقال أبو الحسن بن الحارث الهاشمي:

تـحرَّ من الطرق أوساطها ... وعدِّ عن المـوضع المشتبه

وسمعك صن عن قبيح الكلام ...كصون اللسان عن النطق به

فإنـك عند استماع القبيح ...شريك لقائله فـانتبه

وقال الشاعر:

إذا ما بدت من صاحبٍ لك زلَّةٌ ...فكن أنت محتالاً لزلته عـذرا

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعُه ... كأنَّ به عن كُلِّ فاحشةٍ رقرا [٢]

سليم دواعي الصدر لا باسطٌ أذىً ...ولا مانعٌ خيرا ولا قائلٌ هَجرا

وقال آخر:

---

(١) الجرم: الذنب. أنفذيني: تجاوزي عني.

(٢) وقرت أذنه إذا ثقلت، وذهب سمعه كله.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتجنَّب الفحشاء لا تنطق بها ...ما دمتَ في جِدِّ الكلامِ وهزلهِ

واحبس لسانك عن رديء مقالةٍ ...وتوقَّ من عَثرِ اللسان وزَلِّهِ

كم كلمةٍ جرَّت لرأسٍ نقمةً ... كالدهر يرشق نبلَهُ في نُبلِهِ [1]

❁ ❁ ❁

---

(١) يرشق: يرمي. النبل بالفتح –النون–: السهام، والبضم: النبالة والفضل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ذمُّ الغيبة والنميمة والسِّعاية

الغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكره، والنميمة نقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد، والسعاية هي الوشاية بين الناس بإختلاق الأكاذيب، وهي ثفات ذميمة تجلب الشَّر، وتدعو إلى الفُرقة، وتوغر الصدور، وتثير الأحقاد، فهي داعية الفساد، وأُس الشقاء والبلاء، تحطُّ بصاحبها إلى أسفل الدركات، وتنفر الناس منه، فيصبحُ ولا أنيس له ولا جليس، ولعمري إن مثل هذا جديرٌ أن يفرَّ من وجه الناس حياءً وخجلاً، والعاقل من تبرأ من تلك الخصال الرديئة، وتطهَّر من أدرانها الخبيثة، وعمل على محاربتها بكل ما في وسعه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٠، ١٢)[١].

---

(١) همَّاز: عيَّابٍ طعَّان. مشَّاءٍ بنميم: نقَّالٍ للحديث على جهة الإفساد. معتدٍ: ظلوم. أثيم: فاجر. عُلت: جافٍ غليظ. زنيم: دعيٌّ مُلصق بالقوم وليس منهم، وهو أيضاً اللئيم الذي يُعرف لؤمه؛ كما تُعرف الشاةُ بزنمتها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال جلَّ شأنه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا [1] وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢).

وقال عزَّ وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

وقال رسول الله ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ، أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ الْعَنَتَ) [2].

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (مَنْ ذَبَّ عَنْ أَخِيهِ الْغِيبَةَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ) [3].

---

(١) لا تجسسوا: لا تبحثوا عن عيوب الناس.

(٢) حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٣٢٣/١١٩، واحمد في مسنده: ٥٧٦/٤٥، برقم: ٢٧٦٠١. الباغون: الذين يطلبون ويسعون. البراء: الأبرياء. العنت: المشقة والتعب.

(٣) إسناده ضعيف، رواه أحمد في مسنده: ٥٨٣/٤٥، برقم: ٢٧٦٠٩، والطبراني في الكبير: ١٧٥/٢٤، برقم: ٤٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه ﷺ أنَّه قال: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ) [1]، وعنه أنَّه قال: (مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، وَهُوَ يقدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [2].

وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ) [3].

وقال ﷺ: (لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ) [4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٧١/٩، برقم: ٧١٧٩، ومسلم: ٢٠١١/٤، برقم: ٢٥٢٦.

(٢) إسناده ضعيف، رواه أحمد في مسنده: ٣٦١/٢٥، برقم: ١٥٩٨٥، والطبراني في الكبير: ٧٣/٦، برقم: ٥٥٥٤.

(٣) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤٤٦/٣، برقم: ٢٠٣٢، وابن ماجه: ٨٥٠/٢، برقم: ٢٥٤٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: ١٧/٨، برقم: ٦٠٥٦، ومسلم: ١٠١/١، برقم: ١٠٥. القتَّات: هو الذي يتسمَّعُ أخبار القوم وهم لا يعلمون ثم ينقل ما سمع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ) (١).

وقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي النَّارِ)، وقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: (هِيَ فِي الْجَنَّةِ) (٢).

وقال عليٌّ بن أبي طالب: الأشرار يتبعون مساوئ الناس، ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة.

---

(١) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٦٩/٤، برقم: ٤٨٧٨، وأحمد في مسنده: ٥٣/٢١، برقم: ١٣٣٤٠.

(٢) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٤٢١/١٥، برقم: ٩٦٧٥، وابن حبان في صحيحه: ٧٦/١٣، برقم: ٥٧٦٤. الأثوار: القطع. والأقط: اللبن المجفف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن عباس: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تُحبُّ أن تُذكر به، ودع منه ما تُحب أن يدع الناسُ منك.

وقال ابن مسعود: مَنِ اغْتِيبَ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أذلَّه اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وإِنْ قَالَ فِيهِ مَا يَعْلَمُ فَقَدِ اغْتَابَهُ، وَإِنْ قَالَ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَقَدْ بَهَتَهُ.

وقال المهديّ [(١)]: الساعي ليس بأعظم عورة ولا أقبح حالاً من قابل سعايته، ولا يخلو أن يكون الساعي حاسد نعمةٍ، فلا تشفى غيظه، أو عدواً فلا تعاقب له عدوه؛ لئلا يشمت به.

وقال بعض الحكماء: النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن نقل إليك نقل عنك، والساعي بالنميمة كاذبٌ لمن يسعى إليه، وخائنٌ لمن يسعى به.

---

(١) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي العباسي، المهدي باللَّه: من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد بإيذج (من كور الأهواز) وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ١٥٨ هـ وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في ماسبذان، صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً سنة (١٦٩ هـ/ ٧٨٥م). الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض الملوك لولده: ليكن أبغض رعيتك إليك أشدهم كشفاً لمعايب الناس، فإن للناس معايب أنت أحق بسترها، وأنت إنما تحكم بما ظهر لك، والله يحكم بما غاب عنك، وأكره للناس ما تكره لنفسك، واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره، ولا تُصْغِ إلى حديث ساعٍ غاشّ، وإن قال قول نصيح.

وقال بعض الحكماء: الساعي بين منزلتين قبيحتين، إمَّا أن يكون صدق فقد خان الأمانة، وإما أن يكون قد كذب فخالف المروءة.

وقال غيره: الصدق يزين كل أحدٍ إلا السعاة، فإن الساعي أذمُّ وآثَمُ ما يكون إذا صدق.

وقال بعض الأدباء: لم يمشِ ماشٍ شرٌّ من واشٍ (١).

وقال بعض الفضلاء: النميمة دناءة، والسعاية رداءة، وهما رأس الشر، فتجنَّب سُبُلهما، وتحرَّز من أهلهما.

---

(١) الواشي هو الساعي بين الناس للإفساد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر: إذا رأيت من يغتاب الناس فاجهد جهدك ألا يعرفك، فإن أشقى الناس به معارفه.

وقال بعض العلماء: السعاية إلى كل ذي قدة مَهلَكة، فكم دم أراقه ساع، وكم حريمٍ استبيح بنميمةِ نامٍّ، وكم من صَفِيَّينِ (١) تقاطعا، وكم من اثنين تهاجرا، وكم من زوجين تفارقا.

ودخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان، وكان معه جلساؤه، فقال له: أريد أن أُسرَّ إليك أمراً، فقال لأصحابه: إذا شئتم فقوموا، فلما تهيَّأ الرجل للكلام، قال له عبد الملك: إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك، أو تَكْذِبَني فإنه لا رأي لكذوب، أو تُسمِّي إليَّ بأحدٍ، فإن السعاية من أفظع جرائم وإن شئت أقلتك (٢)، قال: أقلني.

وقيل: النميمة سيفٌ قاتل.

وقال أبو تمام:

---

(١) الصفيين: الصديقان.

(٢) أقلتك: تركتك وشأنك.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن يأذن إلى الواشين تُسلقُ ... مسامعه بألينةٍ حدادِ [(١)]

وقال الشاعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا... فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكِرُوا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وقال آخر:

يسعى عليك كما يسعى إليك فلا ... تأمن غوائل ذي وجهين كيَّادِ [(٢)]

وقال غيره:

لا تقبلنَّ نميمةً بُلِّغْتَها ... وتحفظنَّ من الذي أنباكها [(٣)]
إن الذي أهدى إليك نميمةً ... سينُمُّ عنك بمثلها قد حاكها

وقال غيره:

من نمَّ في النَّاسِ لم تؤمن عواقبهُ ...على الصديق ولم تؤمن أفاعيهِ

---

(١) تسلق: تؤذى.

(٢) الكيَّاد: كثير الكيد والمكر.

(٣) أنباكها: أخبرك بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كـالسيل بالليل لا يدري به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيهِ

❁ ❁ ❁

## تجنب الحقد والحسد

الحقد والحسد صفتان مذمومتان، تأكلان حسنات صاحبهما كما تأكل النار العشب، فهما منشأ العداوة والبغضاء، وسببُ كُلِّ قطيعةٍ وتفرُّقِ كُلِّ جماعةٍ، وإن الحسود لخارجٌ عن ربِّه، غيرُ راضٍ قسمته في خلقه، فهو يُعارض فيما قضى وقدَّر على طِبقِ علمه ومقتضى حكمته، وقد جلب على نفسه غمّاً لا يهدأ، وناراً لا تنطفئ، فلا يستقرُّ له بال، ولا يستريح له ضمير، فحريٌّ بالعاقل أن يفُكَّ نفسه من تلك الأغلال، ويُخلِّص نفسه من كابوس تلك الخصال، فتسعد حاله، ويفوز بالرِّضا والرضوان.

وليس أروح للمرء ولا أطرد لهمومه، ولا أقرَّ لعينه من أن يعيش سليم القلب، متحرراً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، وإذا رأى نعمةً تنساق



شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى أحد من الخلق، تذكر قوله ﷺ: (للَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ)(١).

وإذا رأى أذى يلحق بأحد من خلق الله رثى له، ورجا الله أن يفرج كربه، ويغفر ذنبه؛ وذكر مناشدة رسول الله ﷺ: (إِنْ تَغْفِرِ اللهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا)(٢).

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤). وقال جلَّ شأنه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥).

وقال عزَّ وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ(٣) بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم: ٥١).

---

(١) ضعيف، رواه أبو داود في سننه: ٣١٨/٤، برقم: ٥٠٧٣، وابن حبان في صحيحه: ١٤٢/٣، برقم: ٨٦١.

(٢) صحيح، رواه الحاكم في المستدرك: ١٢١/١، برقم: ١٨٠، والبيهقي في الشعب: ٢٧٥/٩، برقم: ٦٦٥٤.

(٣) يزلقونك: يصيبونك بعيونهم ويصرعونك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢).

❁ إن الجماعة المسلمة حقًّاً هي التي تقوم على الحُبِّ المشترك، والودّ الخالص، والتعاون المتبادل؛ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

❁ لقد شرع الإسلام من المبادئ ما يردُّ المسلمين إلى بوادر المحبَّة والولاء والمودَّة؛ ونهى عن التقاطع والتدابر؛ لأن الله لا يرضى أن تنتهي الصلة بين مسلم وأخيه إلى هذا المصير؛ قال رسول الله ﷺ: (لاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ١٩/٨، برقم: ٦٠٦٤، ومسلم: ١٩٨٣/٤، برقم: ٢٥٥٩.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالْإِثْمِ) (١)؛ فيجب على المسلم أن يواصل إخوانه، وأن يعود معهم سيرته الأولى، وكأن القطيعة غيمة، فلما هبت عليه الريح بددتها، وصفا الأفق بعد عُبوس.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلٌ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) (٢).

❁ إن الخصومة إذا نمت، وغارت جذورها في أعماق القلب، وتفرعت أشواكها شلَّت زهرة الإيمان الغض، وأذْوَت ما فيه من محبَّةٍ ورحمة حتى أن الخصومة تدنو بصاحبها إلى اقتراف الصغائر المسقطة للمروءة،

---

(١) حسن، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤١٤/١٤٩، وأبو داود في سننه: ٢٩٧/٤، برقم: ٤٩١٢.

(٢) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ٤١١/١٤٨، وابن ماجه في سننه: ٥٥٣/١، برقم: ١٧٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والكبائر الموجبة للَّعنة، فقد رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ)(١).

وقال ﷺ: (لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ)(٢).

وقد يذهب الحق بصاحبه كل مذهب، فيتخيل ويفترض ويخترع الأكاذيب، فعنه ﷺ أنَّه قال: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)(٣).

---

(١) حسن لغيره، رواه أبو داود في سننه: ٢٧٦/٤،برقم: ٤٩٠٣، وابن ماجه: ١٤٠٨/٢، برقم: ٤٢١٠.

(٢) حسن، رواه النسائي في سننه: ١٢/٦، برقم: ٣١٠٩، وابن حبان في صحيحه: ٤٦٦/١٠، برقم: ٤٦٠٦.

(٣) إسناده ضعيف،رواه الترمذي في سننه: ٢٤٥/٤، برقم: ٢٥١٠، وأحمد في مسنده: ٢٩/٣، برقم: ١٤١٢.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ إن فساد القلب بالضغائن داءٌ عَياء، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم!، وربما يئس الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عابد صنم، لكنه لم يعجز عن إبعاد الإنسانِ عن ربِّه، حتى يجهل حقوقه أشدَّ مما يجهلها الوثنيُّ المُخرِّف، وذلك بإيقاد نيران العداوة، فعن جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ) (١).

فإذا اشتعلت نيران العداوة استمتع الشيطان برؤيتها وهي تحرق علاقات المودَّة والألفة، وتلتهم جذور المحبَّة التي غرسها الإسلام في قلوب المسلمين؛ فإذا ارتدت القلوب إلى حال من القسوة والعناد؛ فإنهم سيقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

❁ ومن صور الحقد الدفين تشويه الحقائق وجرح الأبرياء المستورين، وهذه قمَّة الدناءة والخسَّة، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢١١٦/٤،برقم: ٢٨١٢، والترمذي في سننه: ٣٩٤/٣، برقم: ١٩٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ: (إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ اسْتِحْلَالُ عِرْضِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٥٨)) (١).

فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها ويعكر صفوها، كما أن القلب المشرق، يكون في كل أحواله راضياً عن الله وبما قُسم له، لا يجزع على الدنيا إذا هي أدبرت، ولا تزيد سروره إذا هي أقبلت؛ وسُئلَ رسول الله ﷺ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: (كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ، ومَخْمُومُ الْقَلْبِ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ) (٢).

❁ ومن لوازم الحقد سوء الظن، وتتبع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم، أو بعيوبهم البدنية والنفسية، وقد رغّب الإسلام بستر ذلك

---

(١) صحيح، رواه البيهقي في الشعب: ٧٩/٩، برقم: ٦٢٨٥، وشرح الاعتقاد للالكائي: ١٣٢٥/٧، برقم: ٢٣٥٦.

(٢) صحيح، رواه ابن ماجه في سننه: ١٤٠٩/٢، برقم: ٤٢١٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

كله؛ ففي الحديث عن النَّبيُّ ﷺ: (مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً، فَسَتَرَهَا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [(١)].

ولا شك أن التربص بالجريمة لنشرها، أشدُّ على النفس من الوقوع فيها، وشتان بين الغيرة على حرمات الله وصيانتها، وبين البغضاء لعباد الله والرغبة في إذلالهم، والتشفي بمصائبهم، وانتظار عثراتهم، والشماتة في آلامهم!!.

❁ إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس إن عجز عن سوْقِه إليهم بيده، وأن يأسى لآلام العباد، أمَّا التلهِّي بسرد الفضائح وكشف العورات، فليس من الإسلام في شئ؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور: ١٩).

---

(١) صحيح، رواه أحمد في مسنده: ٢٨/١٦٠، برقم: ١٦٩٦٠، والطبراني في الكبير: ١٧/٣٤٩، برقم: ٩٦٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أهم أسباب الحقد؛ أن الحاقد إذا نظر إلى الدنيا، يجد أنا ما تمناه لنفسه، قد صار بيد غيره، ثم تتلوّى به الغيرة حتى تجعله يتمنَّى الخسار لكلِّ إنسان، لا لشئ، إلا لأنه لم يربح!، وقديماً رأى إبليس أن الحظوة التي يتشهاها قد ذهبت إلى آدم؛ فآلى ألا يترك أحداً يستمتع بها بعد أن حُرِمَ منها؛ وهذا الغليان الشيطاني هو نفسه الذي يضطرم في نفس الحاقدين؛ ﴿قالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦-١٧).

❁ وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم أوسع فكراً، وأكرم عاطفةً، بل إنها تدخله الجنَّة وتنجيه من النَّار، عَن أَنَس؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمًا لأصحابه: (يدخل من هاهنا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وُضُوءٍ تَوَضَّأَهُ يحمِلُ نَعْلَيْهِ - فَدَخَلَ سَعْدٌ قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ كُلُّ ذَلِك يَأْتِي سَعْدٌ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرو انْصَرَفَ مَعَهُ لَيْلَتَهُ، فَقَالَ يَا عَمِّ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمْرو بَعْضُ الْقَوْلِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ، قال: نعم يا ابن أَخِي..


شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَبَاتَ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَهُ وَبَاتَ سَعْدٌ نَائِمًا فَإِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ ذَكَرَ اللَّهَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ، فَصَنَعَ ذَلِكَ ثَلاثَ لَيَالٍ لا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ..

فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الثَّالِث، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمْرو إلاَّ خَيْرٌ، وَلكن سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ: يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا عَمَلُكَ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هُوَ إلاَّ مَا رأيت يا بن أَخِي إلاَّ أَنِّي لَمْ أَبِتْ ضَاغِنًا عَلَى مُسْلِمٍ) (١).

إن الحقد إذا ترسَّب في أعماق النفس، فإنه لا يخرج منها، بل يظلُّ يموَّجُ في جوانبها كما يموج البركان المكتوم؛ ولعلَّ أكثر ما ينفس به الحاقد عن حقده: الغيبة والحسد؛ لأن صدراً امتلآ حقداً وغيظاً لا يمكن أن يتسع للرحمة والصفاء.

---

(١) صحيح، رواه البزار في مسنده: ١٤/١٣، برقم: ٦٣٠٧، وابن حبان في صحيحه: ٤٥١/١٥، برقم: ٦٩٩١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وقد حذرنا الإسلام من ذلك فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُك أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ) (١).

وقد نهى النَّبيُّ ﷺ أن يبلغه أحدٌ أمراً عن أصحابه يسوؤه؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) (٢)، فرُبَّ كلمة شرٍّ تموت مكانها حيث قيلت، ورُبَّ كلمة شرٍّ سعَّرت الحروب وأيقظت الفتن، ذلك أن غِرّاً نقلها ونفخ فيها، فعادت بالويلات والحروب.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: ٢٠٠١/٤، برقم: ٢٥٨٩، وأبو داود في سننه: ٢٩٦/٤، برقم: ٤٨٧٤.

(٢) ضعيف، رواه أبو داود في سننه: ٢٦٥/٤، برقم: ٤٨٦٠، والترمذي: ١٩٣/٦، برقم: ٣٨٩٦.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ إن الشحناء التي يبغضها الإسلام هي التي تنشب من أجل الدنيا وأهوائها، أما البغض لله، والغضب لله، والثورة لأجل العرض والشرف والمروءة فشأنٌ آخر.

وليس على المسلم جناح أن يقاطع الظلمة والفسقة من أهل الفجور والعصيان، وليس عليه لائمة في أن يُكنَّ لهم البغضاء، بل إن ذلك من أمارات الإيمان الصحيح، فقد هجر النَّبيُّ ﷺ بعض أزواجه أربعين يوماً، وهجر عبد الله بن عمر ولداً له حتى مات؛ لأنَّه ردَّ حكماً لرسول الله ﷺ، كان أبوه يرويه في إباحة خروج النساء إلى المساجد.

وقال عبد الله بن المعتز[1]: الحاسد مغتاظٌ على من لا ذنب له، بخيلٌ بما لا يملكه، طالبٌ ما لا يجده.

---

(١) هو: أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد وأبي العباس ثعلب وغيرهما، كان أديباً بليغاً شاعراً مطبوعاً مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع، وقتل سنة (٢٩٦ هـ/ ٩٠٩م). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحسن بن علي[1]: يحسد أحدكم أخاه حتى يقع في سريرته وما يَعرف علانيته، ويلومه على ما لا يعلمه منه، ويتعلم منه في الصداقة ما يعيره به إذا كانت العداوة.

وقال الفضيل بن عياض[2]: الْغِبْطَةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْحَسَدُ مِنَ النِّفَاقِ، وَالْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَلَا يَحْسِدُ، وَالْمُنَافِقُ يَحْسِدُ وَلَا يَغْبِطَ.

---

(١) هو: الصحابي الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحا من أحسن الناس منطقا وبديهة، خلع نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة (٤١ هـ) وسمى هذا العام (عام الجماعة) لاجتماع كلمة المسلمين فيه. وانصرف الحسن إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي مسموماً سنة (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) الأعلام للزركلي (٢/ ١٩٩).

(٢) هو: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، شيخ الحرم المكيّ، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعيّ. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها سنة (١٨٧ هـ/ ٨٠٣م). الأعلام للزركلي (٥/ ١٥٣).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الجاحظ[1]: من العدل المحض والإنصاف الصريح أن تحطَّ عن الحاسدِ نصفَ عقابه؛ لأنَّ ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك.

وقال معاوية: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

وقال بعض الحكماء: من صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة.

وقال غيره: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد.

وقال غيره: ما أمحق[2] للإيمان وأهتك للسترِ من الحسد، وذلك أن الحاسد مُعاندٌ لحكم الله، باغٍ على عباده، عاتٍ[3] على ربِّه، يعتدُّ نعم الله

---

(١) هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه سنة (٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م). الأعلام للزركلي (٥/ ٧٤).

(٢) محق الشئ: إبطاله ومحيُه.

(٣) العاتي: هو المتجبِّر المتلسِّط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نِقَماً، ومزيده غِيَراً [١]، وعدل قضائه حيفاً [٢]، للناس حالٌ وله حال ليس يهدأ ليلهُ ولا ينامُ جشمه[٣]، ولا ينفعه عيشه، محتقرٌ لنعمِ الله عليه، متَسَخِّطٌ[٤] بما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله[٥]، إن سالمته وَتَرَك[٦]، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته سبقك.

وقال بعض الأدباء: ما رأيتُ ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، نفَسٌ دائم، وهمٌّ لازم، وقلبٌ هائم.

وقال بعض العلماء: من انقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم، حتى ظهر حسده واشتدَّ كمدُه، فقد باء [٧] بأربعِ مذام، "إحداهُنَّ" حَسَراتُ الحسد، وسقام الجسد، ثم لا يجدُ لحسرته انتهاءً، ولا يؤملُ

---

(١) غِيَراً: أي مصائب.

(٢) الحيف هو الظلم.

(٣) الجشم: هو الحرص والطمع.

(٤) متسخِّط: غير راضٍ.

(٥) غوائله: شروره.

(٦) وَتَرَك: أدركك بمكروه وقطعك من كل معروف.

(٧) باء: رجع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لسُقامِهِ شفاءً، "والثانية": انخفاضُ المنزلةِ وانحطاطٌ للرقبة؛ لانحراف الناس عنه ونفورهم منه، "والثالثة": مقتُ النَّاسِ له حتى لا يجد فيهم مُحبَّاً، وعداوتهم له حتَّى لا يرى فيهم وليَّاً، "والرابعة": إسخاط الله تعالى في معارضته إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً، ولا لنعمهِ من الناس أهلاً.

وقال محمود الوراق [(١)]:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا ... إلا الحسودَ فإنه أعياني

ما إن لي ذنباً إليه علمتُه ... إلا تظاهر نعمة الرحمنِ

وأَبى فما يرضيهِ إلا ذُلِّي ... وذهاب أموالي وقطع لساني

وقال أبو حسَّان التِّهاميّ

إني لأرحم حَاسِدي لِحَرِّ ما ...ضمت صدورهم من الأوغار [(٢)]

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنَّةٍ وقلوبهم في نارِ

---

(١) هو الشاعر الحكيم: محمد بن الحسن الوراق، وهو شاعرٌ مشهور، وله نظمٌ رائق في الحكمة والأدب، وتوفي في خلافة المعتصم نحو سنة (٢٢٤ هـ). انظر: تاريخ الإسلام ت بشار (٥/ ٦٩٩)، وسير الذهبي (١١/ ٤٦٢).

(٢) الأوغار: الحقد والعداوة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي...فكأنما بَرقَعْتُ وجه نهارِ [(١)]

وسترتها بتواضعي فتطلَّعتْ ... أعناقها تعلو على الأستارِ

وقال عنترة العبسي [(٢)]:

لا يحملُ الحقدَ من تعلو به الرُّتَبُ ... ولا ينالُ العلا من طبعه الغضبُ

وقال آخر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ...فالكلُّ أعداءٌ له وخُصومُ

وقال الشاعر:

إن الحسود الظلوم في كربٍ ... يخاله من يراه مظلــوماً

ذا نَفَسٍ دائمٍ على نفسٍ ... يظهر منه ما كان مكتوما

وقال غيره:

---

(١) كأنه ألبسه النقاب وهو القناع المعروف بالبرقع يوضع على مارن الأنف.

(٢) هو: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسيّ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، توفي نحو سنة (٢٢ ق. هـ/ ٦٠٠م). الأعلام للزركلي (٥/ ٩١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

يا طالب العيش في أمنٍ وفي دِعَةٍ ... رغـداً بـلا قترٍ صفراً بـلا رَتَقِ [1]

خلّص فؤادك من غلٍّ ومن حَسَدٍ ... فالغِلُّ في القلب من الغُلِّ في العُنقِ [2]

وقال غيره:

أيا حاسداً لي على نعمتي... أتدري على مَن أسأتَ الأدب

أسأت على الله في حكمهِ ... لأنَّك لم ترضَ لي مـــا وهب

فـــــأخزاك ربي بأن زادني ... وسدَّ عليك وجـــوهَ الطلب

(١) الرتق ضد الفتق.

(٢) الغِل –بكسرالغين–: الحقد، وبالضم: القيد من الحديد.

## سوء الظنُّ

لقد ذمَّ الإسلام من يجري وراء الظنون والأوهام، والخرافات، والأكاذيب التي أفسدت حاضر الناس ومستقبلهم؛ قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم:٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

وقال: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس: ٣٦).

إن سوء الظن مرضٌ خطير يفتك بصاحبه، ولا يصحُّ منه إلا بعد علاجٍ طويل؛ ولعلَّ الدافع إلى سوء الظن هو شدة الحرص أوالخوف على لعاعة من الدنيا؛ يرجو أن يحصل عليها، ويحرص ألا يصل إليها غيره.

ولا شك أن الإفتراء والكذب والتدليس من امارات النفاق، وانقطاع الصلة بالدين، وهذا الذي يسئ الظن –بعمله هذا –يكون كالأجرب بين الأصحاء، فلا يطيب له مقام بينهم؛ لكثرة شكوكه فيهم، وقلة ثقته بهم، وقد يؤدي به سوء الظن إلى العزلة، والجبن، والخوف الشديد الذي لا طائل من ورائه، قال رسول الله ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ)[1] .

وقال أبو الطيب:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم

وقال الشاعر:

وحسن الظن يحسن في أمور ... ويمكن في عواقبه ندامه

وسوء الظن يسمح في وجوه ... وفيه من سماجته حزامه

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٢٨٧/٤٣٨،ومالك في الموطأ: ٩٠٧/٢، برقم: ١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## ذمُّ البخل والشُّح

البخل والشُّح صفتان ذميمتان، وهما سبب كل لؤمٍ وشر؛ لأنهما يمنعان من أداء الحقوق، ويبعثان على القطيعة والعقوق، فالبخيل يرى ما ينفقه تلفاً وما يمسكه شرفاً لخسَّة نفسه، ولؤم طبيعته، وهو يستدعي بذلك كراهية الناس له وحقدهم عليه وحسدهم له، فحريٌّ به ألا يمنع حقّاً لأحد بل عليه أن يكون كريماً شريفاً يبذل ماله عن طيب نفس وحسن طويَّة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

وقال جل جلاله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان رسول الله ﷺ يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ) (١).

وعنه ﷺ أنه قال: (اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ)(٢).

وعن أبي هريرة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: (شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ: شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ)(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: (خَصْلَتَانِ لاَ تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: البُخْلُ وَسُوءُ الخُلُقِ)(١).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: ٧٩/٨، برقم: ٦٣٦٧، ومسلم: ٢٠٧٣/٤، برقم: ٢٧٠٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه: ١٩٩٦/٤، برقم: ٢٥٧٨، والبخاري في الأدب المفرد: ٤٨٨/١٧١. والشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح عام، وقيل: الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده.

(٣) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ١٢/٣، برقم: ٢٥١١، وابن حبان في صحيحه: ٤٢/٨، برقم: ٣٢٥٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحسن بن علي: من جاد ساد ومن بخل رَذُلَ، وخير الناس من يعطي من لا يرجوه.

وقال أحد الحكماء: الجبان يزعم أنه حَذِر، والبخيل يزعم أنه مقتصد. وقيل: اليد المضمومة لا تستطيع أن تصافح أحداً. وقيل: البخيل لماله، وماله ليس لأحد.

وقال أحد الأدباء: البخلاء جِمالٌ عطشانة والماء فوق ظهورها.

وقال أحد الصُّلحاء: البخل من سوء الظَّن، وخمول الهمَّة، ونكران النِّعم.

قال الشاعر:

والحرص إن يغدُ شُحّاً باء صاحبه ... بالعار طال به مُكثٌ أو انْصَرَفَا

وقال الشاعر:

وأقبح مــــا يكــون غنى بخيلٍ ...يَغُصُّ وماؤه ملءَ الزِّقــاقِ
إذا ملكت يداه الفلسَ أمسى ... رقيقاً ليس يطمع في العتاقِ

---

(١) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤٠٨/٣، برقم: ١٩٦٢، وانظر صحيح الترغيب: ٢٦٠٨.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال غيره:

ولا ترج السماحة من بخيلٍ ... فما في النار للظمآن ماء

## محاسن الأخلاق ومساوئها

إن الأخلاق الكريمة والشيم الحميدة سبب كُلِّ سعادة وهناء، والأخلاق السيِّئة، والطباع الدنيئة أصل كُلِّ شقاوةٍ وبلاء، فمن عمل على إصلاح نفسه وتجمَّل بكريم الطباع، وتكمَّل بجليل الخصالب، وتحلَّى بأفضل السَّجايا، وتخلَّى عن النقائص والدنايا، فقد تمسَّك بدينه، وعمل بما يُرضي الخالق جل وعلا، وكان عند الناس موضع الاحترام والتبجيل، ولكن من ساءت أخلاقه، وسقلت طبائعه، فعقَّ دينه، وارتكب من الدنايا أرذَلها، ومن الخطايا أخسَّها، وأساء إلى النَّاسِ فقطع منهم حبل المودة، وأفسد النظام بينهم، فلا ريب أن عاقبة أمره الوبال، ومصيره إلى الخسران والزوال، وسيلقى جزاءه الأوفى من الرَّبِّ الأعلى يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليم .

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الجاثية:١٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الاسراء: ٧).

وقال جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠).

وقال عزَّ وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر).

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ) (١).

---

(١) صحيح، رواه ابن حبان في صحيحه: ٢/٢٣١، برقم: ٤٨٢، وأحمد في مسنده: ٢٩/٢٦٧، برقم: ١٧٧٣٢. المتشدقون: هم الذين يلوون أشداقهم للتفاصح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ) (١).

وعنه ﷺ أنَّه قال: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) (٢).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (كَفُّ شَرِّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ) (٣).

و قال ﷺ: (البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (٤).

---

(١) حسن لغيره، رواه البيهقي في الشعب: ١٠/٤٠١، برقم: ٧٦٩٥، والبزار في مسنده: ١٥/١٧٧، برقم: ٨٥٤٤.

(٢) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٤/٢٥٣، برقم: ٤٧٩٩، والترمذي: ٤/٣٦٢، برقم: ٢٠٠٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: ١/٨٩، برقم: ٨٤، وابن حبان في صحيحه: ١٠/١٤٨، برقم: ٤٣١٠.

(٤) صحيح، رواه الترمذي في سننه: ٤/١٧٥، برقم: ٢٣٨٩، والدارمي: ٣/١٨٣٦، برقم: ٢٨٣١. حاك: ثبت وقرّ.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال النَّبيُّ ﷺ: (خَيْركم مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وشَركم مَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ) (١).

وعن أبي هريرة رض الله عنه، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: الفَمُ وَالفَرْجُ) (٢).

وعنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) (٣).

وعنه عليه السلام أنَّه قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا) (١).

---

(١) حسن لغيره، رواه الدارمي في سننه: ١٨٠٢/٣، برقم: ٢٧٨٤، وأحمد في مسنده: ١٢٤/٣٤، برقم: ٢٠٤٨١.

(٢) حسن، رواه الترمذي في سننه: ٤٣١/٣، برقم: ٢٠٠٤، وابن حبان في صحيحه: ٢٢٤/٢، برقم: ٤٧٦.

(٣) صحيح، رواه أبو داود في سننه: ٢٢٠/٤، برقم: ٤٦٨٢، والدارمي: ١٨٤٠/٣، برقم: ٢٨٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: اعْبُدُوا اللهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَعَدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يَكْفِيكُمْ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى، وَأَنَّ الدَّيَّانَ لَا يَمُوتُ.

وقال عليّ: من كَثُرَ همُّه سَقُمَ بدنه، ومن ساء خلقه عذَّبَ نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته وذهبت كرامته، وأفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان.

وقال بعض الحكماء: بالتأني تسهل المطالب، وبحسن المعاشرة تدوم المحبَّة، وبخفَض الجانب (٢) تأنس النفوس، وبالخلق الحسن يطيب العيش.

وقال غيره: سعة الأخلاق تفتح كنوز الأرزاق، وتكثِّرُ من الأصفياء، وتقلل من الأعداء، وتسهِّلُ المصاعب، وتُنيلُ أسنى الرغائب، وأعزُّ للطالب.

---

(١) حسن، رواه الحاكم في المستدرك: ١/١١٢، برقم: ١٥٢، والبيهقي في الشعب: ١٠/٣٧٢، برقم: ٧٦٤٧. سفاسفها: رديئها.

(٢) خفض الجانب: اللين والتواضع.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال بعض الأدباء: من أكبر الشوائب[١]، وأفحش المعايب أن يكون المرء بذيء اللسان، شرس[٢] الطباع، خشن الجانب، سيئ الآداب، تأخذه فورة الغضب لأقل إساءة، وتبدر منه بوادر[٣] الحِدَّة لأدنى إعانة.

وقال آخر: حسن الخلق يوجب المودة، وسوء الخلق ييوجب المباعدة، والانبساط يوجب المؤانسة، والانقباض[٤] يوجب الوحشة.

وقال غيره: صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق[٥].

وقال بعض البلغاء: دماثة الأخلاق تُخمد من الصدور جذوة[٦] الأحقاد، وتطفئ من القلوب لظى[٧] الضغائن، وتزيل الإِحَن[٨] والحزازات[١]،

---

(١) الشوائب: الأقذار والأدناس.

(٢) شرس: سيئ الأخلاق والصعب الذي لا يُطاق.

(٣) البوادر جمع بادرة، وهي كا يبدر من الحِدَّة في الغضب.

(٤) الانقباض: ضد الانبساط، والانبساط هو الطمأنينة والسكينة والوقار.

(٥) الأعراق: الأصول.

(٦) جذوة: جمرة.

(٧) لظى: لهب النار.

(٨) الإحن: الأحقاد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشراسة الطباع تُضرم الفتن وتوقد الشَّرور، وتورث الهلاك، وتُعب الندم، وتُفقد السكينة، ونُعرِّض للُّخرية، وتحط من مقام الأدباء ولتحققهم بزمرة السفهاء الغوغاء.

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق؛ فقال: هو أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الفضول، قليل الزلل، وهو برٌّ وصولٌ وقورٌ صبورٌ، رضيٌّ حليمٌ رفيقٌ عفيف، لا يلمز (٢)، ولا يبخل، ولا يغتاب ولا يسبُّ ولا ينم، ولا يعجل ولا يحقد ولا يحسد، هشَّاش بشَّاش (٣)، حبُّه في الله، وبغضه في الله، ويرضى في الله ويغضب في الله.

وقال الشاعر:

إذا لم تتسع أخلاق قومٍ... تضيق بهم فسيحات البلاد

---

(١) الحزازات: لأم في القلب من غيظ أو أذى.

(٢) اللمز: هو العيب والطعن.

(٣) الهشاشة والبشاشة: طلاقة الوجه مع الفرح والتبسُّم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

إذا ما المرء لم يُخلق لبيباً ...فلبس اللب عن قدم الولادِ [(١)]

وقال آخر:

واحذر مساوي أخلاقٍ تُشانُ بها ... وأسوأ السوءِ سوء الخلق والبخلِ

وقال غيره:

وكم فتى أزرى به سوء الخلق ...فأصبح مذموماً قليلُ المَحامِدِ [(٢)]

وقال غيره:

ولو أنني خُيِّرتُ كُلَّ فضيلةٍ ... ما اخترتُ غير مكارم الأخلاقِ

تم والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء وسيِّد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) اللبيب: العاقل.

(٢) أزرى: عابه ووضع من قدره. المحامد: الخصال المحمودة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

## (تقريظ الشَّيخ: يُوسف الدَّجويّ)

قَال عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام: (إنمَّا بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق)[1]

تَفَضَّلَ حضرة صاحب الفضيلة مولانا العلَّامة الجليل والفليسوف الكبير الشَّيخ يوسف الدَّجوي من هيئة كبار العلماء بالأزهر، ورئيس جمعيَّة النهضة الدينيَّة الإسلاميَّة بإهدائنا هذه الكلمة القيِّمة بعد اطِّلاعه على كُتيِّبنا (فتحُ الخلَّاق في مكارم الأخلاق)، وقد رأيتُ أن أُحلِّي بها صدره معترفاً بجزيل فصله وجميل عطفه.  قال فضيلته حفظه الله:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسلين، سيدنا محمد معدنُ الأسرار، ومنبع الأنوار، ذي الخُلُقِ العظيم، الهادي إلى الصراطِ المُستقيم، وعلى آله مصابيح الدُّجى، وأصحابه شموسِ الهُدى، (وبعد)؛

---

(١) سيأتي تخريجه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقد أطلعت على هذه الرسالة الجليلة المُسمَّاةُ (فتحُ الخلَّاق في مكارم الأخلاق)، لمؤلِّفها الفاضل الشَّيخ أحمد سعيد، فوجدتها من خير ما كتب الكاتبون، تدعو إلى الفضائل وتنهى عن الرذائل، وتحثُّ على مكارم الأخلاق، مبيِّنةً فضلها، وما وردَ فيها، تاليةً عليك ما قال الله ورسوله ﷺ، ذاكرة لك ما جاء عن الأدباء والحُكماء، فأنعِم بها روضةً طابَ شذاهَا، ودنا جَناها، وإنَّا لفي زمنٍ قلَّ فيهِ الرَّشاد، وكَثُرَ فيه الفساد، وتغيَّرَ فيه فيهِ كُلُّ شيءٍ بِمَا طَغى عليه من سيلِ المَدنيَّةِ الأوروبيَّة، التي جرفت ما بقي لنا من سجيَّةٍ إسلاميَّة، أو مزيَّةٍ خُلُقيَّة، أو عادةٍ شرقيَّة، فجزى الله الأستاذ خيرَ الجزاء على ما له مِن حُسنِ النيَّةِ، وجليل عمله بمنِّهِ وكَرَمِهِ.

يُوسف الدَّجويّ

مِن هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

ورئيس جمعيَّة النهضة الدينيَّة الإسلاميَّة

❁ ❁ ❁

www.alukah.net
شبكة الألوكة

## (تقريظ الشَّيخ: عبد الرَّافع نَصِر الدَّجويّ)

وقد تفضَّل حضرة صاحبِ الفضيلة الأستاذ النابغة الشَّيخ عبد الرَّافع نصر الدَّجويُّ أحد عُلماء الأزهر الشَّريف بعد اطِّلاعه على هذا الكتاب بكتابة هذه الكلمة البليغة شاكرين لفضيلته حُسنَ صنيعه. قال حفظه الله:

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ﷺ، أمَّا بعد؛

فإنَّ علم الأخلاق من أجلِّ العلومِ وأنفسها، وبه جاءت الأنبياء، وبعثت الرُّسلُ، وقد اتفقت الكتب السَّماويَّة في الحثِّ على مكارم الأخلاق، وبثِّ الرُّوح الدينيَّة في النُّفوس، فإنَّها أساسُ العُمران، وأوَّلُ حجرٍ في يناء تقدُّمِ الأُمَم، وحسبنا في هذا قوله ﷺ: (بُعثتُ لأتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق).

وبمكارِمِ الأخلاق انتقلت الأمَّةُ العربيَّة من همجيَّةٍ مُطلقة ووحشيَّةٍ داهمة إلى أحسنِ نظام، وأبدعِ رُقيّ، في زمنٍ غيرِ طويل، ومكارمُ الأخلاق هي العنصرُ الوحيد لتطهيرِ النُّفوس من أدران الرذائل، وتخليص الأرواح من أشواك التقليد، التي قد تعرض لها، وليس في الوجودِ أمَّةٌ تهاونت في أخلاقها ونبذت عاداتها واستبدلت بها غيرها إلّا تدهورت، وتقوَّض بناؤها، وهبط بها التقليد من سماءها العليَّةِ إلى هاويةٍ سحيقة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإنَّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بقيت .... فإن همُ ذهبت أخلاقُهم ذهبوا

أيُّها القارئُ الكريم؛ إن تَلْقَ في عصرنا الحاضر تجد دليلاً ساطعاً على أنَّه لا تستكملُ التربيةُ شرائطها ولا تأخذُ شكلها الحقيقي إلَّا بالدِّين، ولا تقدُّمَ ولا رُقيّ، ولا أَدْعَي لبقاءِ العمران إلَّا غرس بذور مكارم الأخلاق في النُّفوس أول نشأتها، فتقوى على مقاومةِ جيوش التقاليد الغربيَّة التي جرفت نفوسَ الشُّبَّان وعرَّجت على بعضِ الشُّيوخ !! .

فمن لي بمن يُحرِّكُ تلك الأجسام، ويبعثها من سُباتها العَميق وغفلتها الطَّويلة.

لقد أحسنَ وأجاد حضرةُ الشَّاب النَّابِه الشَّيخ السَيِّد أحمد سعيد في صوغهِ هذا الكُتيِّب الصغير الحجم الجمِّ الفائِدّة، وإنِّي صغَّرتُهُ تعظيماً، فبينما نراك ناعماً في رياضِ أسلوبه الخلَّاب، إذ نراك غريقاً في معاني آياتهِ، وما أحسَنَ تناسُقَ الآيات الكريمة، وتناسُب الأحاديث الشَّريفة عند الاستشهاد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّهُ لحَسَنَةٌ للنَّشءِ إذا هُم أخذوا به في تثقيفهم، وحاكوا ثياب أخلاقِهم على مِنواله، فللّه أنت أيُّها الشَّاب، فسعيُكَ مشكور، وعملك مبرور، ولله عاقبةُ الأمور.

عبد الرَّافع نصر الدَّجوي

مِن علماء الأزهر الشريف



شبكة الألوكة - قسم الكتب

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | رقم الصفحة | الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- | --- | --- |
| مقدمة المحقق | ٣ | المروءة | ١٥٦ |
| عملي في هذا الكتاب | ٨ | القناعة | ١٦١ |
| ترجمة الشيخين | ١١ | العفة | ١٦٨ |
| مقدمة المؤلف | ١٢ | المشورة | ١٨٠ |
| الأدب | ١٤ | الروية والتؤدة | ١٨٨ |
| تأديب الأولاد | ٢٤ | الاتحاد والتعاون | ١٩٥ |
| الحلم والصفح | ٣١ | الأمانة | ٢١٤ |
| الصدق | ٤٥ | الرفق | ٢٢٩ |
| الحياء | ٦٧ | بر الولدين | ٢٤٦ |
| الوفاء | ٧٩ | صلة الرحم | ٢٥٣ |
| التواضع | ٩٠ | العمل للدارين | ٢٥٨ |
| الصبر | ٩٧ | الكرم والمعروف والإحسان | ٢٦٣ |
| الاقتصاد | ١١٦ | الشكر | ٢٨٠ |
| العدل | ١٢٥ | الإخلاص | ٢٨٧ |
| القوة والعزة | ١٣٣ | الصراحة | ٢٩٦ |
| العفو | ١٤٧ | الاستقامة والاعتدال | ٣٠٤ |

www.alukah.net


| الموضوع | رقم الصفحة | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| الأمل | ٣١١ | ذم الحرص والطمع | ٤٣١ |
| الجد والعمل | ٣١٦ | البعد عن الفحش في القول | ٤٣٧ |
| الثبات في الأعمال | ٣٢٣ | ذم النميمة والغيبة والسعاية | ٤٤٣ |
| الألفة والأخوة | ٣٢٩ | تجنب الحقد والحسد | ٤٥١ |
| اختيار الأصدقاء | ٣٤٤ | سوء الظنّ | ٤٦٨ |
| المعاتبة | ٣٦٤ | ذمُّ البخلِ والشُّح | ٤٧٠ |
| أدب الكلام | ٣٩٦٩ | محاسن الأخلاق ومساوئها | ٤٧٤ |
| النظافة والتجمل والصحة | ٣٨٧ | تقريظ الشيخين | ٤٨٣ |
| المزاح والضحك | ٤٠١ | | |
| الاعتبار | ٤٠٦ | | |
| قمع النفس عن الهوى | ٤١٢ | | |
| كتمان السر | ٤١٨ | | |
| النهي عن السؤال | ٤٢٥ | | |




شبكة الألوكة - قسم الكتب